

الدكتور أحمد سوسة



حياتي في نصف قرن

أشتريته من شارع المتنبي، بغداد
فسي 9 / نو الحجة / 1443 هـ
فسي 08 / 07 / 2022 م هـ

سرمد حاتم شكر السامرائي



حياتي في نصف قرن

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٩٨٦



الأهلاء

إلى ولديّ، عَالِيَةِ وَعَلَى

أهري هذه الحزلة، وهي تمثل مدى

فضالي في معترك الحياة في خلل نصف فرح

طوبته وأنا أقتس عبر السنين المحشاة

حد الظرف السري لكي أسلك في خرسنة اللهمة

العربية التي أنبتني، وخرسنة الوحد الذي

رعا في رغبته عسى له تجل فيها عبرة في

مسيرة حياتكما وحياة الأجيالكم.

أحمد موسى

المحتويات

١٥	تقديم
٢٣	مقدمة
٥١	القسم الاول - أسرة آل سوسة

- ١ - تمهيد
- ٢ - هجرة جدنا الاقدم وحاشيته من جزيرة العرب
- ٣ - اصل تسمية لقبنا (سوسة)
- ٤ - مدينة سوسة في تونس
- ٥ - قرية سوسة في البر كمال بسورية
- ٦ - جزيرة سوسة وعين سوسة في منطقة الحديثة
- ٧ - قرية سوسة في الصقلاوية وستان سليم الفندي سوسة في بغداد
- ٨ - انتقال أسرة آل سوسة الى الحلة - تاريخ ولادتي فيها
- ٩ - حادث مفاجئ

٧٩	القسم الثاني - تاريخ يهود العراق القديم
----	---

- ١ - تمهيد
- ٢ - اقدم وجود لليهود في شمال العراق
- ٣ - اليهود في الأسر في آشور
- ٤ - اماره حدياب في آشور
- ٥ - بقايا يهود كردستان العراق وتهجيرهم الى « اسرائيل »
- ٦ - اليهود في الأسر في بابل
- ٧ - هجرة اليهود العرب من جزيرة العرب الى الفرات الاوسط
- ٨ - اليهودية في جزيرة العرب
- ٩ - عروبة يهود الجزيرة العربية
- ١٠ - صلة يهود جزيرة العرب بفلسطين
- ١١ - الخلاصة

الباب الاول - نشأتي الاولى ودراستي الابتدائية

- ١ - نشأتي الاولى
- ٢ - اسعد الأيام
- ٣ - دراستي الابتدائية
- ٤ - النظام الاقطاعي
- ٥ - مشروع سدة الهندية
- ٦ - افتتاح مشروع سدة الهندية
- ٧ - أيام الرعب
- ٨ - في عالم الذكريات
- ٩ - السيارات تحل محل الجمال في نقل الفلات الزراعية
- ١٠ - الاحتلال البريطاني وثورة فلسطين
- ١١ - فترة قلق

الباب الثاني - دراستي في الجامعة الامريكية في بيروت

- ١ - التحاقني بالجامعة الامريكية
- ٢ - الطلاب العراقيون في الجامعة الامريكية في بيروت
- ٣ - كلمتي في الجمعية العراقية يوم ٢١ ايار ١٩٢٤
- ٤ - كلمتي في الجمعية العراقية يوم ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٤
- ٥ - تورتي على مجلة للمصباح
- ٦ - مشاركتي في مباراة انشائية خطابية في ٢١ شباط ١٩٢٥
- ٧ - حفلة ادبية في العلة يوم ٢٢ نيسان ١٩٢٥
- ٨ - مشاركتي في مباراة انشائية خطابية ثانية في ٩ ايار ١٩٢٥
- ٩ - بعض الوقائع والاحداث في الجامعة الامريكية في بيروت

الباب الثالث - دراستي في امريكا

- ١ - مفادرتي بيروت وسفري الى امريكا
- أ - تمثال الحرية
- ب - جزيرة السس
- ج - نيويورك بلدة ناطحات السحاب
- د - الوصول الى الكلية
- هـ - تقاليد وعادات غريبة
- و - جمعية الطلاب الاجانب في الكلية

- ٢ - الجمعية العراقية في بيروت تعتبر أعضائها في الخارج مستمرين في عضويتهم فيها
- ٣ - انقسام الطلاب العراقيين في الجامعة الامريكية في بيروت
- ٤ - المرأة في امريكا وفي العالم العربي
- ٥ - دراسات في امريكا
- ٦ - الامس واليوم
- ٧ - مضامير غرامية

الملاحق

- ٢١٧ الملحق الاول - دراسة مقارنة بين الاسلام والمسيحية
- ٢٤٢ الملحق الثاني - فلسطين بين العرب والصهاينة
- ٢٤٩ الملحق الثالث - القضية الصهيونية والروح العربية

التصاوير والمرتسمات

المقدمة

- التصوير رقم (١) - ولدا المؤلف عالية وعلي في عهد الطفولة ..
- التصوير رقم (٢) - صورة غلاف كتاب « في طريقى الى الاسلام » ، الجزء الاول ، مطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٣٦ .
- التصوير رقم (٣) - صورة لغلاف كتاب « في طريقى الى الاسلام » ، الجزء الثاني ، مطبعة الغري ، النجف الاشرف ، ١٩٣٨ .
- التصوير رقم (٤) - صورة الاعلام الترمي الصادر من محكمة مصر الابتدائية الشرعية بتاريخ ٢٢ شعبان سنة ١٣٥٥ هـ (٧ نوفمبر ١٩٣٦) .
- التصوير رقم (٥) - اخذت هذه الصورة في الحفلة التكريمية التي اقامتها جمعية الهداية الاسلامية بالقاهرة ويرى في الصورة الاستاذ السيد محمد الخضر حسين رئيس الجمعية ، ومن يمينه المؤلف ومن يساره الدكتور محمد الهادي عضو اللجنة العراقية ويعيط بهم صاحب المزة محمد حلمي بك وكيل التفتيش الاداري وبعض شبان الجمعية وشباب الجامعة المصرية .

التصوير رقم (٦) - هذه صورة ثانية أخذت في الز حفلة التكريم التي أقامتها جمعية الهداية الإسلامية ويرى الأستاذ محمد الخضر حين رئيس الجمعية يحيط به أعضاء الجمعية وبعض شباب الجامعة المصرية ..

التصوير رقم (٧) - من لصيدة للعلامة الشيخ كاظم آل كاشف الغطاء الى المؤلف (مؤلف كتاب « في طريقى الى الاسلام » ..) ..

التصوير رقم (٨) - صورة لخلاف كتاب « مفصل العرب واليهود في التاريخ » ، الطبعة الرابعة ، قام بشره المكتب العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة ، دمشق ، ١٩٧٥ .

التصوير رقم (٩) - مشروع سدة الهندية (١٩١١-١٩١٢) ، قام بتصميمه وتنفيذه السير ويليام ويلكوكس احياء لمشروع بالاكوباس القديم ..

التصوير رقم (١٠) - سير ويليام ويلكوكس (١٨٥٦-١٩٣٢)
التصوير رقم (١١) - المؤلف في مزرعة وبستان المناوية ١٩١٢ ، حيث كان يقضى اكثر اوقاته فيها ..

التصوير رقم (١٢) - مشهد من حفلة افتتاح مشروع سدة الهندية يوم ١٢ كانون الاول ١٩١٣ (انظر الفقرة ٦)

التصوير رقم (١٣) - صورة كتاب « مشروع سدة الهندية - تاريخه ، تصميمه ، صله » ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٤٥ .

التصوير رقم (١٤) - اطلاق مدينة بابل ..

التصوير رقم (١٥) - المؤلف فوق اسد بابل سنة ١٩١٩ .

التصوير رقم (١٦) - منظر لاطلال مدينة كيش .

التصوير رقم (١٧) - صورة لخلاف كتاب « تاريخ حضارة وادي الرافدين » ، دار الحرية ، ١٩٨٣ .

القسم الاول - اسرة آل سوسة

التصوير رقم (١٨) - الامام المغفور له الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في الحلة يحيط به وجوه البلد (انظر الفقرة ٩) .

مرسم رقم (١) - انعم مستمرة سامية تمارس الزراعة التي تعتمد على الري في منطقة الخابور (انظر الفقرة ٥) .

القسم الثاني - موجز تاريخ يهود العراق القديم

مرسم رقم (٢) - خارطة تبين منطقة حدياب في شمال العراق ومنطقة بابل اللين سي اليهما اليهود في زمن الاشوريين والكلدانيين (الفقرة ٤)

التصوير رقم (١٩) - احد الرمسة اليهود في شمالي العراق قبل تهجيرهم الى

«إسرائيل» وهم من بقايا السبي الآشوري لم يزالوا يتكلمون بلمجتصم
القديمة ، (لغة المسيح) العرولة بالترجوم (انظر الفقرة ٥) .

القسم الثالث - حياتي المدرسية

أ - نشائي الاولى ، دراستي الابتدائية .

التصوير رقم (٢٠) - بلدة الحلة كما كانت عليه سنة ١٩١٩ (انظر الفقرة ١)
التصوير رقم (٢١) - والد المؤلف وكان عضواً في مجلس إدارة لواء الحلة ، انظر
الفقرة ١)

التصوير رقم (٢٢) المؤلف بالوي العربي سنة ١٩١٩ . (انظر الفقرة ٢)
التصوير رقم (٢٣) - المؤلف في مكتبة والده في الحلة سنة ١٩١٩ (انظر الفقرة ٢)
التصوير رقم (٢٤) - المؤلف على ظهر لمرسه المكنية ذات الارومة الاصلية سنة ١٩١٩
التصوير رقم (٢٥) - المؤلف على ظهر جواده « قورفل » . (انظر الفقرة ٢)
التصوير رقم (٢٦) المؤلف في سيارته (الفورد) سنة ١٩١٩ - أول سيارة اعلية تدخل
بلدة الحلة . (انظر الفقرة ٩)

التصوير رقم (٢٧) - منظر من مناظر سبيل الفرات (نيسان ١٩٢٠) الذي اقامه
الانكليز في الحلة (انظر الفقرة ٩)

التصوير رقم (٢٨) - منظر آخر من سبيل الفرات (نيسان ١٩٢٠) (انظر الفقرة ٩)
التصوير رقم (٢٩) - لمرس المؤلف الفاترة في سبيل الفرات . (انظر الفقرة ٩)
التصوير رقم (٣٠) - أول محطة للقطار تأسس في الحلة تحت إدارة موظفين من
الهنود بعد الاحتلال البريطاني (انظر الفقرة ١١)

التصوير رقم (٣١) - أول محكمة مدنية تشكل في منطقة الفرات برئاسة حاكمهم
بريطاني بعد الاحتلال البريطاني (انظر الفقرة ١١)

التصوير رقم (٣٢) أول تشكيل لجيش أهلي في الحلة برئاسة سباط مرابيين تحت
إشراف مدربين انكليز وكان يعرف بجيش الشبانة . (انظر الفقرة ١١)
التصوير رقم (٣٣) - ضابطان عراقيان في جيش العميلة (انظر الفقرة ١١)
التصوير رقم (٣٤) - أول تشكيل لجيش الشبانة من الضيالة تحت إشراف مدربين
من الانكليز (انظر الفقرة ١١)

القسم الثالث - حياتي المدرسية

ب - دراستي في الجامعة الأمريكية في بيروت

التصوير رقم (٣٥) - صورة تاريخية للطلاب العراقيين في الجامعة الأمريكية في
بيروت (أول بعثة عراقية تأسست الى الخارج للدراسة) مع رئيس
الجامعة المستر بايارد دوج أخلت في ٢١ مارس ١٩٢٤
الجالسون على الأرض من اليمين الى اليسار :

جلعيران ، خلدوري خلدوري ، تأليف لثام
 الحائزون على الكراسي :
 من اليمين : شلومو ، أحمد سوسة ، رئيس الجامعة دودج ، من
 عقراوي ، نور ملكة
 الصف الاول الوامعون :
 مظهر لمي ، اكرم رفعت ، ممتاز عارف ، اكرم فتحي جلعيران ،
 دجيج التخماني ، ... ، النعمة .
 الصف الثاني : يعقوب وذن ، نواد حو ، نور منه ، اكرم ريتل ، بونس
 حنا ، أنطوان صبري يانتو ، عبد الواحد بيتون .
 الصف الثالث : محمد الدشني ، لوري روفاليس ، داود سلمان ، فرح الله ويردي ،
 كمال خليل ، ... ، درويش الحبسدي ، يوسف خلدوري ،
 يحيى الساجي .
 الصف الرابع : حسن جواد ، أحمد النعمة ، ابراهيم البسام ، صبيح الوهي ،
 حسين ابراهيم ، وديع سليمان ، صموئيل بيتون ، تولىق
 شكوري ، جميل جموعة ، اسماعيل الجوريجي
 الصف الخامس : احمد دوفرامحي ، بدروسيان ، محي الدين يوسف ، يوسف
 ريتل ، خليل لدو ، لائق ...
 التصوير رقم (١٣٦) - المؤلف بتوسط مجموعة من زملائه في الجامعة الامريكية في
 بيروت سنة ١٩٢٥ .

القسم الثالث - حياتي المدرسية

ج - دراستي في الولايات المتحدة الامريكية
 التصوير رقم (١٣٧) - المؤلف يمارس تمارين القفز فوق الحواجز على ظهر الخيل
 سنة ١٩٢٦ ، (انظر الفقرة ١ د)
 التصوير رقم (١٣٨) المؤلف في لفة الخيالة ، (انظر الفقرة ١ د)
 التصوير رقم (١٣٩) - المؤلف وهو احد طلاب الصفوف العليا يضرب احد طلاب
 الصف الاول (انظر الفقرة ١ هـ)
 التصوير رقم (١٤٠) - المؤلف وهو الثاني من اليمين اخذت في ٢٨ شباط ١٩٢٦ .
 (انظر الفقرة ١ هـ)
 التصوير رقم (١٤١) - المؤلف وهو يحمل على ظهره امتته في جولته في اسبوس
 الجنوبية من الولايات المتحدة الامريكية (انظر الفقرة ١ و)
 التصوير رقم (١٤٢) - سرب من طالبات جامعة تكساس في احدي متزهاتين .
 (انظر الفقرة ٤)
 التصوير رقم (١٤٣) - المؤلف في كلية تكساس العسكرية (انظر الفقرة ٥)
 التصوير رقم (١٤٤) - المؤلف في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الامريكية .

(الفترة ٥) *

التصوير رقم (٤٥) - الفنان الذهبي الذي منح لجريجي الحاميات في أمريكا
يقول (انظر الفترة ٥)

التصوير رقم (٤٦) - المؤلف في إحدى حدائق كولورادو (انظر الفترة ٦)
التصوير رقم (٤٧) - المؤلف في كلية تكساس العسكرية (انظر الفترة ٦)
التصوير رقم (٤٨) - المؤلف في كلية تكساس العسكرية (انظر الفترة ٦)
التصوير رقم (٤٩) - المؤلف مع مكي لي في مقامره الفراسية الأولى .. (انظر
الفترة ٧)

التصوير رقم (٥٠) - تصوير آخر للمؤلف مع مكي لي في مقامره الأولى ..
(انظر الفترة ٧)

التصوير رقم (٥١) - المؤلف مع دوبي في مقامره انفرامية الثانية في حدائق
كولورادو . (انظر الفترة ٧)

التصوير رقم (٥٢) - المؤلف في ري النخرج من جامعة جونس هوبكنس سنة ١٩٣٠
التصوير رقم (٥٣) - المؤلف في زحمة مع الاخوة العراقيين وهم من اليمن :
المؤلف ، المرحوم الشاعر الشيخ مهدي الصير ، عبدالوهاب كمو ، سي الوائلي ،
ميود ثلاثي (احدث في ٢٩ تموز ١٩٣٠) (انظر الفترة ٧)

التصوير رقم (٥٤) - ماري في بغداد قبل اسابقتها بالختان اخلت في تموز ١٩٣٢
(انظر الفترة ٧)

التصوير رقم (٥٥) - فيصل جميل وهو في السنة الثانية من العمر
التصوير رقم (٥٦) - سورة بيت ماري في الزهرة في « آيوا سوني »
التصوير رقم (٥٧) - فيصل جميل ولدحته «جودي»
التصوير رقم (٥٨) - جيفري سوسة ، وهو في الثالثة والنصف من عمره .
التصوير رقم (٥٩) - اول لقاء بين ليمن جميل وبين اخته ماية عندما كنت تتمتع
بزمالة في أمريكا سنة ١٩٦٥ .

تقديم

« ولعل أعمالوا فسرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون »
صلى الله العظيم

مرت ثلاثة اعوام ونيف على رحيل
العلامة الدكتور احمد سوسة ولا تزال
بعض آثاره مخطوطة لم تر النور بعد .
ومذكراته هذه التي اضعها بين يدي
القارى الكريم هي احدى هذه الآثار .
كان الفقيه قد قضى العقد الاخير من
حياته متفرغا للبحث والتأليف ، وهو
في العقد الثامن من عمره حتى وافته
النية مساء السادس من شباط عام
١٩٨٢ .

ومن مؤلفاته التي صدرت في تلك
الفترة « العرب واليهود في التاريخ »
(بخمس طبعات الاولى عام ١٩٧٢
والاخيرة - ملخص العرب واليهود في
التاريخ - عام ١٩٨٢) ، « الشريف
الادريسي في الجغرافية العربية »
(بجزئين ١٩٧٤) ، « ملامح من التاريخ
القديم ليهود العراق » (١٩٧٨) ،
« حضارة العرب ومراحل تطورها عبر
العصور » (١٩٧٩) ، « حضارة وادي
الرافدين بين الساميين والسومريين »
(١٩٨٠) ، و « تاريخ حضارة وادي
الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية
والكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية »
(بجزئين صدرت بعد وفاته ١٩٨٣ -
١٩٨٥) .

ولد الدكتور سوسة في مدينة الحلة
 سنة ١٩٠٠ ، واتم دراسته الاعدادية في
 الجامعة الاميركية ببيروت سنة ١٩٢٤ ،
 ثم حصل على شهادة البكلوريوس في
 الهندسة المدنية سنة ١٩٢٨ من كلية
 كولورادو في الولايات المتحدة . وواصل
 بعد ذلك دراسته العالية فنال شهادة
 الدكتوراه بشرف من جامعة جونز
 هوبكنز الامريكية سنة ١٩٣٠ ، وقد
 انتخب عضوا في مؤسسة « فاي بيتا كابا »
 العلمية الامريكية المعروفة ، كما منحته
 جامعة واشنطن في سنة ١٩٢٩ جائزة
 « ويديل » التي تمنح كل سنة لكاتب
 احسن مقال من شأنه ان يسهم في دعم
 السلم بين دول العالم . وبعد اقام
 مهندس عمراقي تخرج في الجامعات
 الغربية .

وبعد عودته الى الوطن ، عين اول
 مرة مهندسا في دائرة الري العراقية سنة
 ١٩٣٠ ، ثم تقلب في عدة وظائف فنية
 ذات مسؤولية في هذه الدائرة مدة ١٨
 سنة حتى عين سنة ١٩٤٦ معاونا لرئيس
 الهيئة الفنية التي الفت للدراسة مشاريع
 الري الكبرى العراقية ، وفي سنة ١٩٤٧
 عين مديرا عاما للمساحة ثم مديرا عاما
 في ديوان وزارة الزراعة سنة ١٩٥٤ ،
 ثم اعيد مديرا عاما للمساحة وبقي في
 هذا المنصب حتى سنة ١٩٥٧ .

وعند تاسيس مجلس الاعمار سنة
 ١٩٥١ عين مساعدا شغصيا في الامور
 الفنية لنائب رئيس مجلس الاعمار

إضافة إلى وليفته الأصلية . كما كان من أوائل أعضاء المجمع العلمي العراقي منذ تأسيسه سنة ١٩٤٦ وبقي عضواً عاملاً فيه حتى وفاته .

وخلال سنتي ١٩٣٩ و ١٩٤٠ ترأس البعثين اللذين أوفدتهم الحكومة العراقية إلى المملكة العربية السعودية لدراسة مشاريع السري في الخرج والإشراف على تنفيذها . وقد مثل الحكومة العراقية في أكثر المؤتمرات الهندسية للبلاد العربية عضواً ورئيساً للوفد العراقي . وكان أحد مؤسسي جمعية المهندسين العراقيين سنة ١٩٣٨ ، وعمل فيها سكرتيراً عاماً لأكثر من عشر سنوات ، وبقي حتى وفاته عضواً فيها وفي نقابة المهندسين العراقية التي عمل فيها بصفة مدير عام سنة ١٩٦٢ ثم مستشاراً للنقابة سنة ١٩٧٠ وحتى سنة ١٩٧٤ حيث تفرغ للبحث والتأليف .

أما مؤلفاته فتربو على الخمسين من كتب وتقارير فنية وإطالس إضافة إلى أكثر من (١١٦) من المقالات والبحوث التي نشرت في الصحف والمجلات العلمية المختلفة . وتتوزع مؤلفاته في حقول الري والهندسة والزراعة والجغرافية والتاريخ والحضارة . وإلى جانب كتابه « في طريقنا إلى الإسلام » بجزئين ١٩٣٦ ، و « نظام الامتيازات في الدولة العثمانية » الذي طبع باللغة الانكليزية عام ١٩٣٣ ، فإن أغلب مؤلفاته الأولى كانت في حقل الري وأهمها : « المصائد عن ري العراق » (١٩٤٢) ، « وادي الفرات » (بجزئين

١٩٤٤-١٩٤٥) ، « تطور السري في العراق » (١٩٤٦) ، « دليل ري العراق » (١٩٤٦) بالانكليزية ، « الري في العراق » (١٩٤٥) بالانكليزية ، « سدة الهندية » (١٩٤٥) بالانكليزية ، « ري سامراء في عهد الخلافة العباسية » (بجزئين ١٩٤٨) لم صدر له في الستينيات « فيضانات بغداد في التاريخ » (بثلاثة اجزاء ١٩٦٣ و ١٩٦٥ و ١٩٦٦) و « الري والحضارة في وادي الرافدين » (١٩٦٨) .

اما اهم الاطالس التي وضعها فكانت « اطلس بغداد » (١٩٥٢) ، « اطلس العراق الادبي » (١٩٥٢) ، « اطلس العراق الحديث » (١٩٥٢) ، « العراق في الخوارط القديمة » (١٩٥٩) ، « الدليل الجغرافي العراقي » (١٩٦٠) ، « اطلس العراق » (بالانكليزية ١٩٥٢) ، « اطلس العراق المصور » (بالانكليزية ١٩٦٢) . هذا الى جانب اشتراكه في وضع كتاب « بغداد - عرض تاريخي مصور » (١٩٦٩) و « دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ » واعمال وبعوث اخرى .

لقد قال الدكتور سوسة خلال حياته الطويلة العديد من الاوسمة والجوائز عن عمله في حقل السري وعن مؤلفاته العلمية ، فاضافته الى عضوية فاي بيتا كابا وجائزة جامعة واشنطن للتيقن عر (كمرهما) منح وسام الملك عبدالعزيز سعود لتفيلم مشروع ري الخرج في نجد (عام ١٩٢٩) ووسام الرافدين من الدرجة الثانية عن خدماته في دوائر الري والمساحة عام (١٩٥٢) ، ووسام الكفاءة المتميزة

بمناحه عام ١٩٦١ (٦٦٦)

من ملك المغرب عن كتابه « الشريف
الادريسي في الجغرافية العربية »
(١٩٧٦) . كما فاز كتابه « ليسانات
بغداد في التاريخ » بجائزة الكويت لاحسن
كتاب صدر عام ١٩٦٢ اضافة الى جائزة
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
(عام ١٩٧٥) . هذا وقد كرمته وزارة
الثقافة والاعلام لخدماته المتميزة للثقافة
العربية عام ١٩٧٧ .

تفطري المذكرات التي بين يدي القارىء
الفترة الاولى من حياة المؤلف والتي تمتد
من نشأته الاولى في مدينة الحلة الى
مراحل دراسته المختلفة . وقد اوثايت
ابقاء العنوان الذي كان قد اختاره
(« حياتي في نصف قرن ») رغم ان هذه
المذكرات كان من المفترض ان تكون
الجزء الاول على ان يليه الجزء الثاني
الذي يتعلق بحياته الوظيفية . ولسوء
الحظ لم يكن قد وضع من الجزء الثاني
سوى وريقات قليلة عندما وافته المنية .
لكن البحوث التي اعدتها لادخالها
في الجزء الثاني والتي ورد ذكرها
في المقدمة موجودة ، لذلك فارجو
ان اتمكن ، بعون الله ، من اعداد
الجزء الثاني في المستقبل بنفسى بمساعدة
اوراقه ومساهمات رفاقه واصدقائه الذين
واكبوا مسيرة حياته ، ومن الله التوفيق .

د . عالية احمد سوسه

بغداد ١٩٨٥

رحمها الله تعالى ، استشهدت
في انجبار مبنى الامم المتحدة في بغداد
سنة ١٩٩٢ هـ - ٢٠٠٣ م .

« أن الحياة تبدأ في الشيخوخة ، ولكن
هل يعلم الناس كيف يكون شعور
الرجل عندما يبلغ من العمر ما بلغت ؟
انه يتمنى لو انه استطاع ان يعيش
حياته كلها من جديد . . . انه يشعر
بقسوة عجيبة على الاستمرار في العمل
وفي الحياة وكأنه ما زال شابا » .

من القوال لوماس جفرسون فيل وفاته
وهو في الثالثة والثمانين من عمره

مقدمة

يعيش في حياة المرء بعد بلوغه سن البلوغ،
 منعة تمتع الحياة والنشاط في نفسه، مثل المتعة التي
 تمنحها فيه يستمتع بسيرة الأحداث التي مرت به طوال
 السنين التي طواها برعوه عبر المصير، وهو على ظهره - صفة
 الحياة، بحر عبات من أكله وموت نزل، وهو مودعة يتركها
 المرء والتجارب، هي جزء من كيانه ومسيرته... وليس أحداث
 الحياة الإنسانية التي يراها ينمائها منه خبر صور
 وتكرارات ددعي، فيلزم من جميع المواقف وحلوها ما يفرح له
 القلب، وفيلزم من مرارة الكسات ما يدميه، وفيلزمه أقصى
 الدم الكفاح ما يليه... فهي تبدأ بالطفولة البريئة الساجدة
 لتعقيد مرحلة الشباب في هذه المراهقة التي تتميز بالقدرة
 العاطفية والخيال، ثم تستقل الحياة إلى مرحلة النضج التي تنضم
 بالمشاغل الحقة في الكفاح الرئيسي الذي يحوطه المرء في المجتمع،
 وهي تحرك في مطاوي العقل والعلم أهم تجارب الوجود، وتتغير زوايا
 رخصها وأكتاف نموها، ويدخل المرء بفترة الحياة وهو في سراع من
 يحميها: من تداعى البقاء، ويبدأ العصور، فناره يصحب به الحياة
 بأعذب المعطيات وطول تعبته به الأقدار فتصيفه مرارة الشقاء
 حتى إذا ما جاء، وهو بالشيخوخة، يقف المرء وحده غره يابض السيب
 نقلا فيما إذا تجاوز الصلح رقيقة شاملة، فننظر إلى المرء نظرة فاحصة
 متألدة "ما هو المرء الذي انجزه في حياته عبر السنين التي طواها
 من عمره الطويل في خدمة المجتمع الذي عاش في دوله وما هي الأعمال

مقدمة

ليس في حياة المرء ، بعد بلوغه من الشيخوخة ، متعة تبحث الحيوية والنشاط في نفسه ، مثل المتعة التي تغمره ، حين يستعرض مسيرة الأحداث التي مر به طوال السنين التي طواها من عمره عبر العصور ، وهو على ظهر سفينة الحياة ، يمرر عباب مشاكلها ومسئولياتها ، وقد حملته بالمزيد من العبر والتجارب ، هي جزء من حياته ووجوده .. وليست أحداث الحياة الإنسانية إلا شريطا سينمائيا تعرض عليه صور وذاكرات وروى ، فيها من جميل العواطف وحلوها ما يلجج له القلب ، وفيها من مرارة التكرسات ما يدميه ، وفيها من القسى الام الكفاح ما يبيكه .. فهي تبدأ بالطفولة البريئة الساذجة لتعقبها مرحلة الشباب في سن المراهقة التي تتميز بالثورة العاطفية والطيش ، ثم تنتقل الحياة الى مرحلة الكهولة التي تتسم بالنشاطات الجمة في الكفاح الرئيسي الذي يخوضه المرء في المجتمع ، وهي تخزن في مطاوي العقل والفكر اهم تجارب الحياة ، فيبلغ ذروة نضجها واكتمال نموها ، فيدخل المرء مترك الحياة وهو في صراع مستمر يحكم سنة تنازع البقاء وجهاد الوجود ، فتارة تضحك له الحياة بأعجب المعطيات وطورا تعبس به الاقدار فتدبفه مرارة الشقاء حتى اذا ما جاء دور الشيخوخة ، يقف المرء وقد غمره بياض الشيب ، هنا فيها اذا نجا من الصلح ، وليلة متأمل ، فينظر الى الوراء نظرة فاحص متسانل : « ما هو العمل الذي أنجزه عبر السنين التي طواها من عمره الطويل في خدمة المجتمع الذي عاش في وسطه وما هي الاعمال التي اجزها في خدمة الإنسانية ؟! احلها انه سيفارق العيش ويغيب عن الاعزة التي أنبتت السنون في قلبه عاطفة المودة والحنان ؟! احلها انه سيمضي الى يومه الابدي الذي لا يليق منه بعد ان يكون قد استكمل عقله ونضج تفكيره بحيث أصبح يخزن في مطاوي ذهنه الكثير مما يطمح في تدوينه ! ولكن اتى له ان يحقق هذا الطموح وايامه أصبحت معدودة وطاقة عمله معدودة !

فمعلقة الحياة لا ترجع الى الوراء .. الى الامام والى الامام تسير بسرعة دون توقف كعلم في دجى الليل عبر المراحل المعلقة لها حتى تنهي الى مصيرها المحتوم . والشئ المؤسف في حياة الانسان انه بعد ان يكون قد نضج واصبح يخزن في ذهنه المعرفة والخبرة ، اللتين اكتسبهما عبر حياته الطويلة ، وفي الوقت الذي يستعد لتكوين ما اختزنه من علم ومعرفة طوال هذه السنين ، واذا بالشيخوخة تصرع طاقة عمله فتقله عن تحقيق طموحه وامانيه . ان هذه طبيعة المخلوقات فلا دوام ولا بقاء . والشخص السعيد هو الذي يكون قد ارتشف من مناهل الحياة العبر والحكم وعمل على نشرها بين الناس فيكون قد افاد واستفاد من التجارب التي اكتسبها في مسيرة الاحداث التي مرت به عبر الحياة ، لأن ما مضى لن يعود ثانية ، وما غمره الزمن وطوبه السنون لن يبعث من جديد ، وانما المرء بما يتركه وراءه من العمل الصالح المفيد وبما يقدمه لمجتمعه من خدمات نافعة (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب) .

فقيمة الحياة لا يعادلها شئ في الوجود اذا كانت حقبة عمل يفيد الوطن والانسانية ، وما اصدق قوله تعالى : ((واما الزبد فيذهب جفا ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)) .

وبواجه المرء في مسيرة حياته مواقف مشيرة وحرارة جدا يتوقف مصير مستقبل حياته كلها على ما قد يتخذ من خطوات وقرارات في معالجتها ، وهذه الخطوات والقرارات هي التي ترسم له تطلعاته المقبلة في مدارج حياته .. فانا لن انسى تلك الحادثة ذات الشجون ولا ذلك الموقف المثير للذين واجهتهما في مسيرة حياتي ، وقد كان للقرار الذي اتخذته ان اغتر مجربات حياتي كلها .. اما الحادثة فهي انني كنت قد تزوجت في مطلع شبابي من فتاة امريكية مثقفة ثقافة عالية من اسرة مسيحية بروتستانتية من العوائل الامريكية المرفهة بعد ان حكم سلطان الحب بان تصبح رفيقة دربي وشريكة حياتي ، كان كل املني ان اعيش في كنفها وان اعم بعطفها وعونها بعد عودتي معها الى الوطن . وقد دزقت منها بطفل جميل اسميته ((جيلا)) (اسما على مسمى) . لم يوافق جو العراق مزاجها الصحي فمرضت ومرض طفلنا مما اضطرني ان اذهب بها مع الطفل الى اهلها في الولايات المتحدة للتداوي . واما عن المؤلف المثير جدا والخرج جدا فانه يلخص لي انها بعد ان تعافت وعادت اليها والى الطفل صحتها ، لاعود بهما ، فوجئت بها تطلب الي بل تتوسل الي ان ابقي الى جانبها في امريكا بحجة ان الاطباء قروا ان مناخ العراق لا يوافقها صحيا ، ولكنني ابيت .. اخذ ابواها يضمنان توسلاتهما الى توسلاتها

واضعين تحت تصرفي ثروتهما على اعتبار ان ابنتهما هي وحيدتهما ..
 فابيت ايضا . وجاء دور الطفل الذي نظر اليّ بمطرب وجراءة ولكن ببراعة
 ايضا قائلا : ((الى اين تذهب يا (داد) اي يا ابتي ؟ لماذا لا تبقى معنا؟
 وها قد مضى على تلك الحادثة حوالي نصف قرن وصورة ذلك المشهد
 المشير تلاحقني ولم تفارقني لحظة واحدة رغم مرور زمن طويل عليها ..
 وكان لا بد من قرار حاسم : (البقاء مع الغنى وضمان المستقبل) او
 (العودة الى الوطن مع الكفاح) وهذا يعني خسارة زوجتي وولدي ايضا
 وكان القرار ، قراري الحاسم بلا تردد (العودة الى الوطن) . وهكذا
 كان ، لفقر ذلك القرار مجريات حياتي كلها وسار بي القدر الى ما انا
 عليه اليوم .. وانا لست بنادم على ما فات ولا على ما اخترته في حياته ،
 وان كان الحنين والشوق الى تلك الزوج وولدها يكويانني بنارهما ..
 فالوطن عزيز حتى وان جفاله او جار عليك .. فما اجفى حياة المرء في
 ديار الغربة حتى مع اسعد واوفر الظروف المعاشية المادية !

كثيرا ما يسألني بعض الاخوان : ما الذي دفعني الى النزوع الى
 التاريخ وانا مهنتي مهندس ري؟ . وجوابي على ذلك ، ان هندسة الري
 والزراعة مرتبطتان بالاحداث التاريخية وبخاصة الاحداث التاريخية القديمة
 المتعلقة بحضارة وادي الرافدين وكيفية نشوئها وتطورها عبر العصور .
 ان الزراعة التي تعتمد على الري والحضارة صنوان لا يلتزمان ، فحيثما
 وجدت الحضارة في مستهل نشوئها وظهر التمدن في اقدم عصوره ، ازدهرت
 معها الزراعة التي تعتمد على الري ، وحيثما وجد نظام الري ازدهرت
 معه الحضارة ، والماء مصدر الحياة (وجعلنا من الماء كل شيء حي - قرآن
 كريم) ، والعراق بوفرة انهاره ومياهه وارضيه الخصبة كان لعنصر الماء
 دخل في بناء كيان الحضاري القديم وازدهار مدينته المشهورة ، فبعد
 الازل كان الماء ولم يزل مصدر الحياة والازدهار اذا استخدم كاداة للاعمار .
 فما كانت حضارة ذات شان في تاريخ الانسان القديم الا كانت تنظيمات
 الري ومشاريعها الزراعية تحتضن تلك الحضارة فتسير معها جنباً الى
 جنب في مسيرة تطورها وتقدمها ، ولا ادل على ذلك من ازدهار الحضارات
 القديمة على ضفاف الانهار حيث الماء والارض وهما عنصران اساسيان
 في حياة الانسان ، وعليهما قامت في ربوع وادي الرافدين دجلة والفرات
 وبي وادي النيل اقدم وارقى حضارتين معروفتين في تاريخ العالم القديم ،
 وقد كان لوادي الرافدين نصيب اكبر في النور الذي لعبه في تأسيس
 اقدم حضارة في العالم وذلك في ظل اقدم نظام للري الدائم عرفه تاريخ
 العالم .

وكان للعرب في مجال العقل الهندسي جولات وصولات والهندسة عندهم كانت نظريات تصف خواص الاشكال والاجسام وابان ذلك ابراهيم ، فكان للمهندس العربي ادوار خطيرة في شتو الحضارة الاسلامية العربية وقيام النهضة العمرانية التي تركت للعرب تراثا مجيدا ، وهذا التراث بما فيه من عمارات قديمة وآثار طرازها العربي الخاص بها هو من اسهام المهندس العربي بما تركه العرب من مؤلفات وكتب في مختلف الفنون والعلوم ، وكان للهندسة من هذا الاثر البناء الجبري الذي ابتعته المتوكل العباسي في قصوره (انظر خلافة المتوكل في مروج الذهب للمسعودي) . وكان اشهر فلاسفة العرب الفيلسوف الكندي الذي كان متضلعا متخصصا في علم الهندسة وعلم الحساب ولم يكن يناقسه على الشهرة في هذا الميدان غير ابي معشر وهو جعفر بن محمد البلخي ولكنه لما دخل في المباراة مع الكندي فشل فاضطر الى العود الى علم آخر غير الهندسة والحساب . وكان للكندي خزنة واسعة بهذا العلم كانت تعرف بالخزانة الكندية لشهرتها . وعلى ذكر هذه الخزنة تعظم الى ذاكرتنا القصة التي رواها ابن ابي اصيبعة في كتاب « عيون الانبياء في صفات الاطباء » ج ١ ، الطبعة الوهابية سنة ١٨٨٢ (ص ٢٠٧-٢٠٨) حول المناقشة العلمية في الهندسة بين محمد واحمد ابني موسى بن شساکو من جهة وبين الكندي من الجهة الاخرى بمناسبة حفر النهر الجعفري في عهد المتوكل هذا نصها :

« قال ابو جعفر احمد بن يوسف بن ابراهيم في كتاب حسن العقبى حدثني ابو كامل شجاع بن اسلم الحاسب قال : كان محمد واحمد ابنا موسى بن شاكر في ايام المتوكل يكيان كل من ذكر بالانتم في معرفة فاشخصا سند بن علي الى مدينة السلام وباعدها عن المتوكل ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل ووجهها الى داره فاخذنا كتبه باسرها وافرادها في خزنة سميت الكندية ومكن هذا لهما استهنار المتوكل بالالات المتحركة وتقم اليهما في حفر النهر المعروف بالجعفري(*) ، فاستننا امره الى احمد بن كثير الفرغاني الذي عمل المقياس الجديد بمصر وكانت معرفته لوني من توفيقه لانه ما تم له عمل قط فغلط في فوهة النهر المعروف بالجعفري وجعلها اخفض من سائر فصار ما يفرر الفوهة لا يفرر

(*) انظر كتاب « ماسة هندسية او النهر المجهول » للدكتور احمد سوسة ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٢٧ .

سائر النهر فدافع محمد وأحمد ابنا موسى في امره واقضاهما المتوكل فسمي بهما اليه فيه فانه مستحقا في احصاء سنده بن علي من مدينة السلام فوالى فلما تحقق محمد وأحمد ابنا موسى ان سند بن علي قد شخص ايقما بالهلكة ونسبنا من الحياة فدعا المتوكل بسند بن علي وقال له ما ترك هذان الرديان شيئا من سوء القول الا وقد ذكرناك عندي به وقد اتفقا جملة من مالي في هذا النهر فاخرج اليه حتى تناله وتخبرني بالفلط فيه فاني قد آليت على نفسي ان كان الامر على ما وصف لي اني اصلهما على شاطئيه وكل هذا بعين محمد وأحمد ابني موسى وسمعهما فخرج وهما معه فقال محمد بن موسى لسند يا ابا الغليب ان قدرة الحر تذهب حفيظته وقد فرغنا اليك في انفسنا التي هي انفس اعلاقتنا وما ننكر اننا اسانا والاعتراف يهزم الاعتراف فتخلصنا كيف شئت قال والله انكما تعلمان ما بيئي وبين الكندي من العداوة والمباعدة ولكن الحق اولي ما اتبع اكان من الجميل ما اتيتماه اليه من اخذ كتبه (كتب الكندي) والله لا ذكرتكما بصالحه حتى ترداه عليه كتبه فتقدم محمد بن موسى في حمل الكتب اليه واخذ خطه باسنيهما فوردت رعدة الكندي بتسلمها عن آخرها فقال قد وجب لكما علي ذمام برد كتب هذا الرجل ولكما ذمام بالمعرفة التي لم ترعيها في والخطا في هذا النهسر يستتر اربعة اشهر بزيادة دجلة وقد اجمع الساب على ان امير المؤمنين لا يبلغ هذا المدي وانا اخبره الساعة انه لم يقع منكما خطا في هذا النهر ابقاء على ارواحكما فان صدق المتجهون افلتنا الثلاثة فشكر محمد وأحمد هذا القول منه واسترقهما به ودخل على المتوكل فقال له ما غلطا وزادت دجلة وجرى الماء في النهر فاستتر حاله وقس المتوكل بعد شهرين وسلم محمد وأحمد بعد شدة الخوف مما توقعوا .

هذا ما يوضح مكانة الهندسة في العلوم الانسانية عند العرب ، فقد اشتغل ثابت بن قرة في الهندسة التحليلية واجاد فيها ووضع كتابا بين فيه علاقة الجبر بالهندسة والهندسة بالجبر وكيالية الجمع بينهما وحل بعض المعادلات التكميية بطرق هندسية ، ومن كتبه في هذا الموضوع كتاب « استخراج المسائل الهندسية » و « تنقيح ترجمة اصول اقليدس في الهندسة » التي عربيها حنين بن اسحق . « مجلة بين النهرين » (١٩٧٤) العدد الخامس من ٢١-٢٩

يصل كل ذلك على انه لا يوجد أي تناقض بين هندسة الري والتاريخ بل بالعكس ان كلا منهما متمم للآخر ، ويتميز المهندس في تحليله الدقيق للأمور تحليلًا سليما علميا . فقد سلكت منذ تخرجي من امريكا وحصولي

على الدكتوراء مسلكتا علميا بحثا فكانت هوايتي في أثناء ممارستي المهنة كمهندس ري ثم كمدير عام تتبع آثار الجداول التي اشأها اجنادنا في هذه الربوع ومطالعة الكتب والمؤلفات والتقارير التي تبحث في تاريخ الري لا طبق ما دونه القدماء عمليا ، وهذا ما حملني على دراسة التاريخ القديم الذي يبحث كيفية نشوء وتطور الحضارات القديمة وبخاصة حضارة وادي الرافدين ، وهذا ما قادني الى دراسة تاريخ الحضارات وتطورها عبر العصور .

وهكذا فقد تهيأت لي الفرصة السانحة بحكم عملي في مسلك الوظيفة لدراسة مشاريع الري القديمة ومرافقتها طيلة حياتي العملية ، فمنذ ان عينت مهندسا للري سنة ١٩٣٠ اثر تخرجي من جامعات امريكا اتابع دراسة هذه المشاريع دراسة عملية . وهنا وجدت ضالتي فكرست زهدة اربعين عاما من حياتي العملية اتبع واتجول واحقق دون كلل او ملل ، فلم اترك بقعة من بقاع العراق ، شماله وجنوبه ، جباله وامسواره الا زرتها للوقوف على مكنونات هذا التراث العظيم . وكتابي « الري والحضارة في وادي الرافدين » ان هو الا حصيلة هذه الحقبة الطويلة من السبع والتحقيق ، وكذلك كتابي « العرب واليهود في التاريخ » ان هو الا حصيلة دراسة تاريخ الاديان .

هذا واذا صح ما يقال بان شخصية المرء تتكون بما تتركه من اثر في حياة الطفولة ، اي بما تتركه من اثر في سلوك المرء في مصترك حياته عند بلوغه عتفوان شبابه ، فقد كان نصيب هذا الاثر على حياتي الثقافية بوجه خاص كبيرا . اذ مرت في حياتي في عهد الصبا حوادث ثلاث كان لكل منها اثر كبير في تكوين شخصيتي الثقافية بشكل خاص نمغض عنها نتاج علمي مفيد دونه ايام النضوج الفكري :

كانت اولي هذه الحوادث حادثة اعتناق عمي شقيق والدي المذمو شاول للاسلام . وخلاصة هذا الحادث ان عمي الذي كان يسكن في بيتنا مع الاسرة في مدينة الحلة قد غاب بصورة مفاجئة عن البيت من غير سابق انذار او ترك ما يشرح سبب هذا الغياب المفاجيء . فكنيت اشاهد الوجوه تطفح بالحزن والقلق مما يشي عن حادث جلل اشبه بفجعة لاوت بالنسبة للاسرة بأسرها كما كنت اصفي الى الافواه وهي تردد همسا والحرة طاغية على الوجوه (انه صار مسلما) . وهكذا غاب عمي عنا الى الابد وانقطعت اخباره مع انه كنت اصفي الى الافواه القائلة بانه ذهب الى الصقلاوية حيث كان يقيم جدي في مزرعته ولا تزال القرية

التي اسمها هناك تحمل اسم (سوسه) وهي تقع بالقرب من اطلال الانبار
في منطقة اللوجة .

لقد كان لهذا الحادث وانا لم ابلغ بعد السابعة او الثامنة من العمر
الامر العميق في نفسي فترك انطباعات وتساؤلات كانت بالنسبة لعقلي
الصغير عقدة حيرتني طوال السنين التالية : ما هو الفرق بين المسلم
واليهودي ، الم يكن دفاعي كلهم من المسلمين المب معهم وتبادل العواطف
الطيبة فيما بيننا ، الم تكن كلنا عربا نتكلم اللغة العربية ؟ لماذا اذن هذا
الفرق بين المسلم واليهودي ؟ اما المسيحية فلم اكن اعرف عنها شيئا
مع انه كان هناك في الحلة عائلة مسيحية كانت تتعاطى جمع عرق
السوس وشعنه الى الخسارج لاستعماله في صنع بعض العقاقير وكان
للشركات الاجنبية وكلا في مدن اخرى في الجنوب لجمع هذه المادة .

واذا صدق القول بان الحوادث في الصغر هي التي ترسم مستقبل
تفكير الانسان في حياته ، فان هذا الحادث طبع في ذهني صورة ذلك المشهد
والامر الذي تركه بين افراد الاسرة ، وقد ظلت هذه الحوادث تحثني على
اكشاف هذا السر الغامض وعلى ايجاد الاجوبة على تلك الاسئلة التي
استأثرت بتفكري سنوات طويلا ، فاول ما دخلت الجامعة الامريكية في
بيروت لنيل الشهادة الاعلادية اخذت اقرا واقرا واطالع الى جانب واجباتي
المدرسية الكتب التي تبعت في تاريخ الاديان ، وحتى بعد التحاقني بكلية
الهندسة في امريكا تفرغت صيفية كاملة ودخلت دورة للدراسة تاريخ الاديان
وعلم اللاهوت على اشهر استاذ في جامعة شيكاغو التي تعنى بمثل هذه
المواضيع التاريخية القديمة . وكان ذلك قبل اكثر من نصف قرن
وبالتحديد صيفية سنة ١٩٢٥-١٩٢٦ . ولما كانت هذه الدراسة تقضي
بوجوب اعداد بحث في الموضوع ، فقد اخترت موضوعا بعنوان « دراسة
مقارنة بين الاسلام والمسيحية » فعظي هذا البحث برضا الاستاذ وشرح
عليه « بحث جيد يتسم بالروح الطيبة » . وقد نالته هذا الموضوع
باللغات لفهام القاري، الامريكي المسيحي حقيقة الاسلام وتسامحه بنظرته
الانسانية الى الديانات السماوية ، ونظسرتة الى انبيائهم نظرة نجلسة
وتقديس وبخاصة السيد المسيح عليه السلام . وهذا كان اول بحث وضعت
في موضوع الاديان وهو خارج نطاق دراسني الجامعة(*) في موضوع
الهندسة .

(*) انظر المجلد الاول : « الاسلام والمسيحية »

صممت الر ذلك ان الاسلام هو الدين الحق الذي يجمع بين الديانات السماوية وهو مبني على المبدأ الانساني الذي يقوم على المساواة والتسامح والعطرة فاخترته عن عقيدة وايمان ومعرفة ، ولكنني كتبت ذلك عن عائلتي مدة لتجنب انزال مصيبة على الاسرة بعد ان طوى الزمن ذكرى الحادثة الاولى . لذلك لم اعلن عن اعتناقي للاسلام الا بعد ان انتهيت من دراستي الجامعية وحصولي على الدكتوراه وعودتي الى الوطن . ثم توظفت فعيّنت في مديرية الري العامة وبعد مدة قدمت استقالتني وذهبت الى مصر حيث قضيت حوالي اربعة اشهر مداوما في الازهر كسمتسم وكمستبح ، وهناك اعلنت اسلامي بصورة رسمية في ٢٢ شعبان ١٣٥٥ المصادف ٧ تشرين الثاني ١٩٣٦ ، اي قبل خمسة واربعين سنة . وقد وضعت هناك الجزء الاول من كتابي « في طريقني الى الاسلام » وطبع في مصر ، اما الجزء الثاني فطبع في العراق (انظر التصاویر ٢-٧) . ثم ظهر كتابي « العرب واليهود في التاريخ » فتولت وزارة الاعلام العراقية طبعه سنة ١٩٧٢ تحت عنوان « سلسلة الكتب الحديثة » رقم ٤٢ . ثم طبع عدة طبعات في البلاد العربية وعلى الرغم من محاولة الصهاينة شراء عدد كبير منه واتلافه انتشر الكتاب انتشارا واسعا ، وتقوم الآن وزارة الثقافة والاعلام العراقية بطبع آخر نسخة ملصقة في طبعته الخامسة على الاوفست وهي تقع في اكثر من الف صفحة (انظر التصوير رقم ٨) . وهكذا فقد تم لي ما كنت اصبو اليه في عهد الصبا من مصرفتي لحقيقة تاريخ الاديان فتعققت اول امنية من امنياتي (**).

اما الحدث الثاني الذي ترك اثره في نفسي ايضا فهو مشروع ري سدة الهندية (انظر الفقرتين ٥٦ من القسم الثالث) وهو المشروع الذي لا يزال قائما في الوقت الحاضر وقد قام بوضع تصميمه والاشتراف على تنفيذه سير ويليام ويلكوكس المهندس البريطاني المشهور الذي كانت الحكومة العثمانية قد استقدمته لدراسة مشاريع الري في القطر العراقي . وكان في جملة المشاريع التي اقترحها مشروع سدة الهندية (انظر التصوير رقم ٩) . وخلاصة هذا المشروع ان مجرى نهر الفرات كان يسير قديما بانجام بابل حيث تقع مدينة الحلة الحالية الا ان عوامل الطبيعة آلت الى تحول المجرى الرئيس من مجراه البابلي منذ القرن الثامن عشر الميلادي الى الشرق الى جهة ما يعرف الآن بشط الهندية . واهم المواصل التي ادت الى تحول مجرى الفرات صوب شط الهندية المشروع الذي قام به

أصل الدولة وزير محمد شاه الهندي في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي لإيصال المياه إلى مدينة النجف فحفر جدولاً يأخذ من الضفة اليمنى لنهر الفرات من فوق بابل في نقطة تقع على مسافة حوالي مائة كيلومتر منها ويجري باتجاه نهر الكوفة القديم ولد عرف هذا الجدول فيما بعد بنهر الهندية نسبة إلى أصل الدولة الهندي . ويؤخذ من الروايات التاريخية أن هذا الجدول أخذ يتوسع على حساب فرع بابل الذي كان يؤلف الجرى الرئيس لنهر الفرات ، ففي سنة ١٨٢٠ تعاقمت الحالة حتى أصبح من الضروري اتخاذ بعض التدابير لإيقاف توسع هذا الجدول إذ بدأ يتقلص فرع بابل شيئاً فشيئاً وما حلت سنة ١٨٨٥ حتى كاد يجلب فرع بابل نهائياً مما أدى إلى قلق المزارعين المقيمين على فرع بابل وضرورة اتخاذ التدابير للحيلولة دون هلاك مزارعهم وبساتينهم . ففي عهد ملحدت ياشا (١٨٦٩-١٨٧٢) تم استقدام مهندسين فرنسيين لإصلاح الحالة وفي سنة ١٨٩٠ قام المهندس الفرنسي شندروفير بإنشاء سد محكم على صدر فرع الهندية فاستعمل ما يقارب ستة عشر ألف متر مكعب من عتيق الأجر المستخرج من خرائب بابل في إنشاء هذا السد إلا أن أعمال صيانتة أدى إلى تصدعه وبقيت الحالة على ما هي عليه حتى استقمت الحكومة العثمانية سير ويليام ويلكوكس للدراسة مشاريع الري في القطر ، فوضع تصميمًا لسد جديد يحل محل سد شندروفير في جملة مقترحاته في تقريره المرفوع إلى الحكومة العثمانية سنة ١٩١١ فأنيط أمر تنفيذه إلى سير ويليام ويلكوكس نفسه . وقد قامت شركة السير جون جاكسون البريطانية بإنشاء المشروع تحت إشراف ويلكوكس ، فبشر العمل على إنجازه في شهر شباط من سنة ١٩١١ وبعد مضي سنتين وتسعة أشهر تم إنجاز المشروع وقد افتتح رسمياً في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الأول من سنة ١٩١٢ فاليم احتفال مهيب ذبحت فيه الذبائح وأقيمت فيه الولائم حضره والي بغداد وكبار الموظفين وكناصل الدول وغيرهم من الوجهاء والأعيان وتبادلت الخطب بين والي ومدير الشركة التي قامت بالمشروع فحضرت الافتتاح مع أبناء بلدتي الحلة لشاهد انطلاق المياه من أمام سد الهندية وانسيابها نحو بلدة الحلة التي عانت الكثر من العطش سنوات عديدة(*) .

(*) انظر كتاب الدكتور أحمد سوسة « وادي الفرات ومشروع سد الهندية » ،

مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٥

وذكرتاتي عن ويلكوكس ترجع الى عهد الصبا (١٩١٢-١٩١٣) حين كان ويلكوكس منهما في تنفيذ مشروع سدة الهندية ، اذ كنت ازور ذلك المشروع وهو في حيز التنفيذ وكنت آنذاك لم اتجاوز الاثنتي عشرة سنة فاشاهد ويلكوكس وكله حركة ونشاط برغم كبر سنه يراقب أعمال البناء وفخر الأجر حريصا على تطبيق التصاميم التي وضعها ولا ازال اذكر انه قصي ليلة في بيتنا في الحلة حيث كان يتردد بين الحين والاخر بزيارة مدينة الحلة وكان يكلف والذي ان يختار له بعض الموظفين من السبب لاستخدامهم في أعمال المشروع فطلب ان لا يقدم له اي طعام للمشاء فخرج كوب من اللبن المحلي (الروبة) وعندما سألناه عن سبب ذلك قال ان اهم علاج للوقاية من الامراض بالنسبة للاجانب فخرج المتعودين على طقس العراق هو اللبن (الروبة) لذلك انصح كل الاجانب الذين يعملون في مشروع سدة الهندية ان يكثروا من استعمال اللبن للمحافظة على صحتهم (انظر التصوير رقم ١١)

ثم كان موعد الفتح المشروع في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الاول سنة ١٩١٣ فاستعد ابناء الحلة الفتحاء للذهاب الى سدة الهندية منذ اليوم العادي عشر لحضور الافتتاح فكنت معهم وبيتنا ليلة في الهناوية(**) وحضرنا كلنا في اليوم التالي لمشاهدة الافساح . وكان البرد شديدا قارسا ومع ذلك فكنت استهز مثل هذه المناسبات لاشباع رغبتني في الذهاب الى الريف خارج البلدة ممطيا ظهر فرسي المعنكية وكان هذا الاحتفال فرصة سانحة لتحقيق هذه الرغبة .

ولقد كان لهذا اليوم المشهود عميق الاثر في نفسي وانطباع راسخ في ذهني الصغير اكبارا واعجابا بمعجزة الفن الهندسي وعبقريه مصمم هذا المشروع العظيم الذي احبب منطقة جنوب الفرات باسرها بعد ان حرمتها الاقدار من عماد حياتها (الماء) سنوات طوال . وكم تمنيت لو كنت مهندسا مثل ويلكوكس لكي يتسنى لي ان اقوم يوما ما بمثل هذه الاعمال الجبارة وان انسى فلم انس ولن انسى ذلك اليوم وانا معتق

(**) الهلوبة محافظة واسعة من الاراضي الزراعية كانت تحت ادارة والذي وكانت هناك بناية حديثة وبستان واسع فيه كل انواع الاشجار المثمرة كما كان هناك مصيف خاص لاستقبال السيوف مجهز بالافرشه لتنامهم والطعام لهم فكان يرحب بكل زائر او مستطرق ان يادي اليه ، وكان هناك اصطبل واسع جدا لا يواء خيول الزوار والسيوف (انظر التصوير رقم ١١) .

سهوة غرسى عند عودتنا ونا اسرع مع جمهوره من الفلاحين والمرارعى وهم يحلون باناشيدهم (وهوساتهم) العربية العامة مهللين فرحين فكنا في عودتنا بمضي مع مجرى الماء الجديد على طول طريق النهر نسابق مجرى الماء وقد عطشه رغوؤه بضياء وهو ينساب كالافعى بين منعطفات على النهر الجاف حتى وصلنا واياء الى بلدة الحلة حيث كاتب الجماهر المحسنة على النهر يسجل المياه الباعثة الى الحياة مستبشرين بالبشرى السارة وهو ترحب بوصول الماء الى هذه المنطقة التي بقيت محروقة منها سنوات طوال (انظر التصوير رقم ١٢) .

وقد لم لي بعد مضي خمس واربعين سنة ان اصيحت مدبرا لمنطقة ري الغراب المسؤول الاول عن اداره مشروع سده الهندية نفسه وانا الذي اقر منهج مناوبه بتسييم المياه بين شط الهندية (جنوب اصف استوله الهندي) وشط الحلة (مجرى الغراب القديم) ، والاهم من كل ذلك كنت بحكم مسؤولياتي اقضي بعض الليالي في سده الهندية في نفس البناية التي كاتب شركه جون جاكسون قد انشأها لسكنى مهندسيها في انشاء تنفيذ المشروع ، فكتب ابداً ايام الصبا حين كتب اذهب الى سده الهندية عندما كاتب هذه البناية نفسها تحت الاشياء .

وهذا تحفهم امشي الناسه فصرت مهندسا بل اكثر من ذلك اصيحت مسؤولا عن اداره منطقة ري الغراب كلها ومن ضمنها مشروع سده الهندية فتعرفت على كل ما كتب اتوق الى معرفته في عهد الصبا عن المعجزة الفنية التي انطوت عليها تصاميم مشروع سده الهندية التي وضعها سير ويليام ويلكوكس حتى اصبحت ملما بكل ما يتعلق بهذا المشروع من حيث تاريخه وتصاميمه فانهيت الى تاليف كتاب بالكلمة الانكليزية عن تاريخ مشروع سده الهندية وتفاصيل تصاميمه عنوانه (سده الهندية ، تاريخها ، تصميمها ، عملها)

"The Hindyah Barrage—its History, Design and Function".

ولد طبع هذا الكتاب في مطبعة الحكومة سنة ١٩٢٥ وكما اسهب الغضيه الاولى بتاليف كتاب « العرب واليهود في التاريخ » كذلك اسهب الغضيه الثانية بتاليف كتاب « مشروع سده الهندية » المذكور (انظر التصوير رقم ١٢) .

اما الحادث الثالث الذي كان له اثر في تكوين شخصيتي المعاشيه فهو ولعي منذ الصغر بالآثار والتاريخ ، فقد كنت في مرحله الطفوله ازور بين حين وآخر المواقع الاثرية المجاوره لبلدي ومسقط رأسي الحلة واعلمها

خرائب بابل وهي لا تبعد عن مدينة الحلة أكثر من بضعة كيلومترات بحيث تكاد تكون من ضواحي المدينة ثم اطلال مدينة كيش الواقعة في الصحراء وهي مجاورة الى بابل وهي مدينة سرجون مؤسس الامبراطورية الاكدية (السامية العربية) . اما بابل فلم تفارقني اثارها طيلة الفترة الاولى من حياتي حيث كان اجرها الذي يحمل أسماء ملوكها الاوائل على جدران بيوتنا اذ أنشئت من الحجر المنتزع من بنايات بابل الضخمة . واما اطلال كيش فكانت تقع في صحراء قاحلة غير مأهولة آنذاك تعرف باطلال الاحير فكان لا بد من زيارتها برفقة الجندرية للمحافظة . وبعمكم مركز والذي كان علماء الآثار يراجعونه لارسال الأدلة معهم .

لقد كان هذا التراث الحضاري التليد مصدر ولعي منذ الصبا حيث كنت وانا لم اظن بعد العاشرة من عمري اتردد على بابل كلما سنحت لي الفرصة لذلك، فكنت اشاهد الآثار الانثى الانثى الشهير الدكتور دوبرت كولدوي (Dr. Robert Ko dewey) غارقا بين القطع الاثرية المكسدة في مقر اقامته في « كويرش » وهو يصنلها ويرمها ويرتبها ويحفظها في صناديق خاصة . وان انس فلن انس تلك القطع النادرة ذات الوبر الكثيف في فاره وقد توالدت حتى أصبحت أشبه بقطيع من الغنم وكنت ألعب الصغار منها (انظر التصويرين ١٥١٢) .

وان انس فلن انس سمرتي الاولى في شتاء ١٩١١-١٩١٢ الى اطلال الاحير وهي بقايا مدينة كيش السامية حيث كان الاب « دي جنويلا » (Abbé H. de Genouillac) الانثى الفرنسي يقوم بتنقيباته بمعاونته وزارة المعارف العمومية الفرنسية (انظر التصوير رقم ١٦) .

وكم كنت أتمنى لو كنت افهم تاريخ هذه الاقوام التي أسست العلم حضارة عرفها التاريخ (حضارة وادي الرافدين) . والآن وقد انقضى على ذلك أكثر من خمسين سنة كانت حصيلتها تأليف كتاب ضخيم عن « تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الاثرية والمصادر التاريخية » (انظر التصوير رقم ١٧) .

والآن وقد تجاوزت الثمانين من عمري احمد الله الذي متمنى بنعمة الحياة طيلة هذه المدة ما جعلني قادرا على الاستمرار في البحث والتأليف . كما احمده تعالى الذي مهد لي السبيل وقبض لي من برعي طبع بحولي بشخص السيد الرئيس صدام حسن ذلك المصلح الكبير مهندس الثورة وقائدها الفذ الذي لبيخته العناية الالهية للامة العربية لاصلاح شأنها وبعث نهضتها في كل مجالات العمران . فكان لسيادته الفضل الاول بطبع

كتاب « حضارة العرب وتطورها عبر المصور » فأمر بطبع خمسين ألف نسخة منه سنة ١٩٧٩ . وكذلك أمر بطبع خمسين ألف نسخة من كتاب « حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين » سنة ١٩٨٠ ، وأخيرا أمر بطبع ١٥ ألف نسخة من كتاب « تاريخ حضارة وادي الرافدين » الذي يقع بجزئين وبأكثر من ألف صفحة من القطع الكبير مع أكثر من لثمائه تصوير وخارطة . فالفضل الاول في ظهور هذه البحوث يعود إليه حيث كان ولا يزال يتابع الصغيرة والكبيرة في كل ما يتعلق بمستقبل هذا البلد وتنوين تاريخه الحقيقي .

والآن وأنا أعيش المرحلة الأخيرة من حياتي ، فتدفعني الرغبة الشخصية ورغبة الكثير من أصدقائي الأدباء والكتاب والباحثين في عرض شريط أحداثها لأركن في آخر أيامي إلى ذكرياتها . ولحسن الحظ أنني احتفظ بمفكرة دونت فيها أحداث السنين الأولى من دراستي في الجامعة الأمريكية في بيروت وبعض أحداث دراستي في الولايات المتحدة الأمريكية قبل أكثر من نصف قرن ، كما أنني احتفظ بمجموعة من الرسائل المبادلة بيني وبين الأصدقاء مع مجموعة من المقالات المنشورة وغير المنشورة في مختلف المواضيع ، فاخترت البعض منها أدونها كما وردت في الأصل دون أن أغير وأصحح فيها متمسكا بالأمانة العلمية التي اعتدتها في جميع بحوثي .

ولا بد من الإشارة في هذا الصدد إلى أن سيرتي هذه تختلف عما اعتاد القاري أن يطالع من السير والمذكرات السياسية المألوفة ، فانا لم أكن من أصحاب المعالي والفخامة ولا طمعت في يوم من الأيام أن أصل إلى هذه المناصب السياسية في حياتي ، فانصرفت كليا للبحث والتتبع منذ أن وطأت قدمي أرض الوطن بعد العودة من الدراسة في خارج العراق قبل حوالي خمسين سنة مستغلا وظيفتي القصوى حدود الاستغلال في هذا المجال بعيدا عن الجو السياسي المشحون بالتعاق والرياء ، ومع إبعادي عن هذا الجو فلم أسلم من الاكتواء بنار حقد وحسد بعض الزملاء ممن أوصلتهم الظروف إلى أعلى درجات سلم الحكم بحيث أصبح مصري في الوظيفة مرتبطا بأهواء هؤلاء الحاقدين يتلاعبون به كما يشاؤون ، ولكن رغم كل ذلك فامثال هؤلاء عاشوا في عالم الخمول والاهمال وسيفادرون هذه الدنيا كما جازها دون أن يتركوا أثرا لهم . ومهما قيل في الماضي فإذا استعرضنا دخائله وبواطنه وفحصناها بدقة نجد أن ذلك الجو المليء بالقوم والرعود هو الذي بعث سيل الثورة العارمة على الأوضاع الشاذة السائدة آنذاك .

للك وبناء على ما تقدم فسوف يجد القارئ في هذه السيرة ما يتصل ببعض الشؤون التاريخية والمشاريع الهندسية التي مارسها في السنوات التي طويناها من حياتي وقد فرضها ظروف السيرة . وبذلك يكون هذا البحث قد جمع بين ترجمه الحياه وبين دراسة جانب مهم من تاريخ العراق، ففي هذا الجزء الاول ادخلت بحثا موجزا عن تاريخ يهود العراق القديم لما كان في احداث سيرتي من صلة به فكانت حائزا للخصوص في هذا الموضوع التاريخي الشانك . وفي الجزء الثاني بحث آخر عن تاريخ الانوريين في العراق ابجزته اثر اشتغالي في مشروع دي اعد للانوريين في المناطق الشماليه سنة ١٩٣٣ ما جعلني ان اعيش مع تلك الاحداث فسر من الزمن . وهناك في الجزء الثاني ايضا بحث عن مشاريع الري في المملكة العربية السعوديه التي عهد الي باجازها بمكليف من الحكومه السعوديه وبموافقة الحكومه العراقيه سنة ١٩٤١ وغير ذلك من المشاريع التي تمت بها في العراق في الوظيفة وحاجج الوظيفة .

ولئن بطرقت في القسم الثالث الى بعض الحوادث الشخصية مما يتصل بعهد الشباب ، تلك الحوادث التي سميها « معامرات عراميه » (انظر الفهرصج في الباب الثالث من القسم الثالث) وهي رواية واقعه من واقع الحياه الامريكه حاله من اي (رتوش) فانما اسهدفت من ذلك الكشف عن بعض جوانب الحياه الاجتماعيه في المجتمع الامريكى والدور الذي لعبه للثالثه وبانيرها فيه ، هذا الى جانب المشاكل التي برافق الروح بالاجنيبيات والقلق النفسي الذي يواجهه الطالب العراقي لاوئ مره حين يختلط بالمجتمع الامريكى الصاخب .

وقد ارباب ان القسم هذه المذكرات ، ان صح اطلاق هذا المصطلح عليها ، الى بابين او جزئين ، يتناول الجزء الاول ، وهو هذا الجزء ، حياتي ايام الصبا والدراسه ، والثاني يتناول حياتي في الوظيفة ، والجزء الاول هذا يقسم الى ثلاثة اقسام وهي كما يلي :-

- ١ - القسم الاول - اسره آل سوسه
- ٢ - القسم الثاني - تاريخ يهود العراق القديم
- ٣ - القسم الثالث - حياتي المدرسيه ويقسم بدوره الى ثلاثة اقسام :

- ا - نشاتي الاولى ودراستي الابتدائية
- ب - دراستي في الجامعة الامريكية في بيروت
- ج - دراستي في امريكا



التصوير رقم (١) - ولدا المزال حالبة وعلي في عهد الطميلة ..

فِي طَرِيقِ الْإِسْلَامِ

بقلم

الدكتور أحمد محمد سليم

« وما كان قط اعتناق الناس لدين من
الدينين لم يبرهنوا من شاع ولادة « بل لما
ينور في قلوبهم من مواهب الشرف والبطولة »
موتيس كارليل

القاهرة

١٣٥٥ - ١٩٣٦

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

المطبعة الفلاحية - ومالكها
أصحابها صاحب الميراث

التصوير رقم (٢) - صورة ثلاث كتاب « في طريق إلى الإسلام » ، الجزء الأول ،
طبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٣٦ .

فِي طَرِيقِ الْإِسْلَامِ

بقلم

الدكتور أحمد رشيد سليم

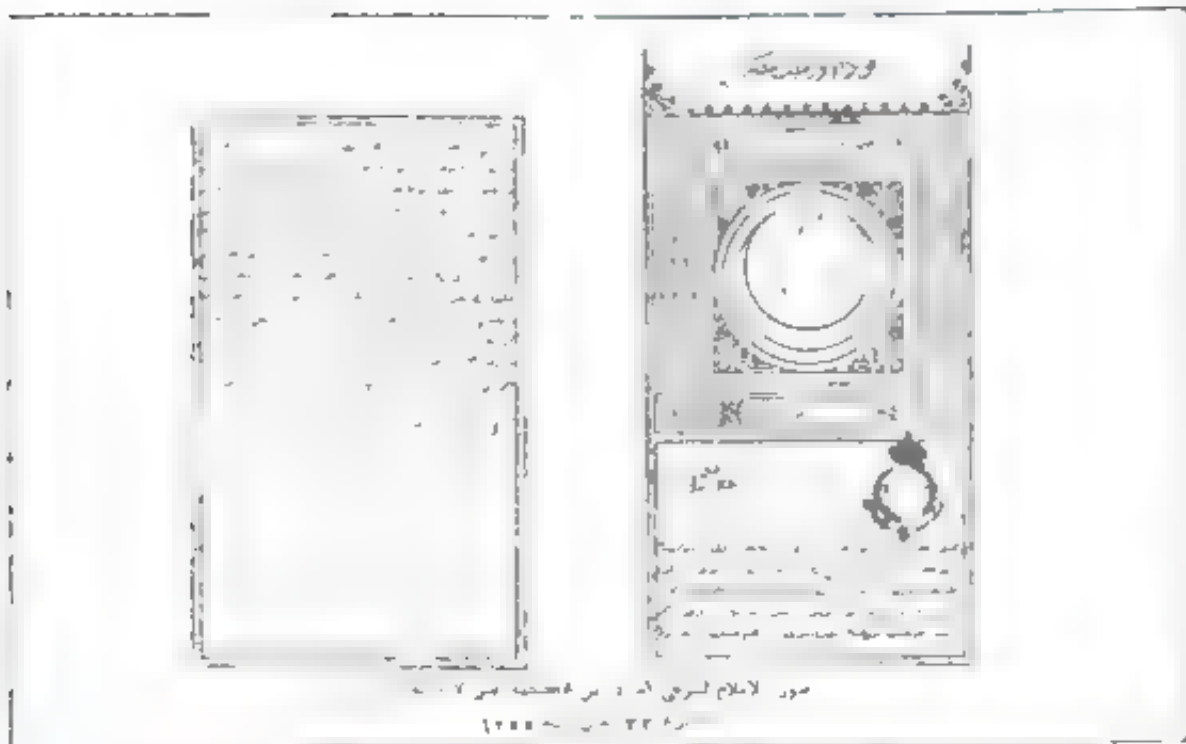
المجلد الثاني

حقوق الطبع محفوظة

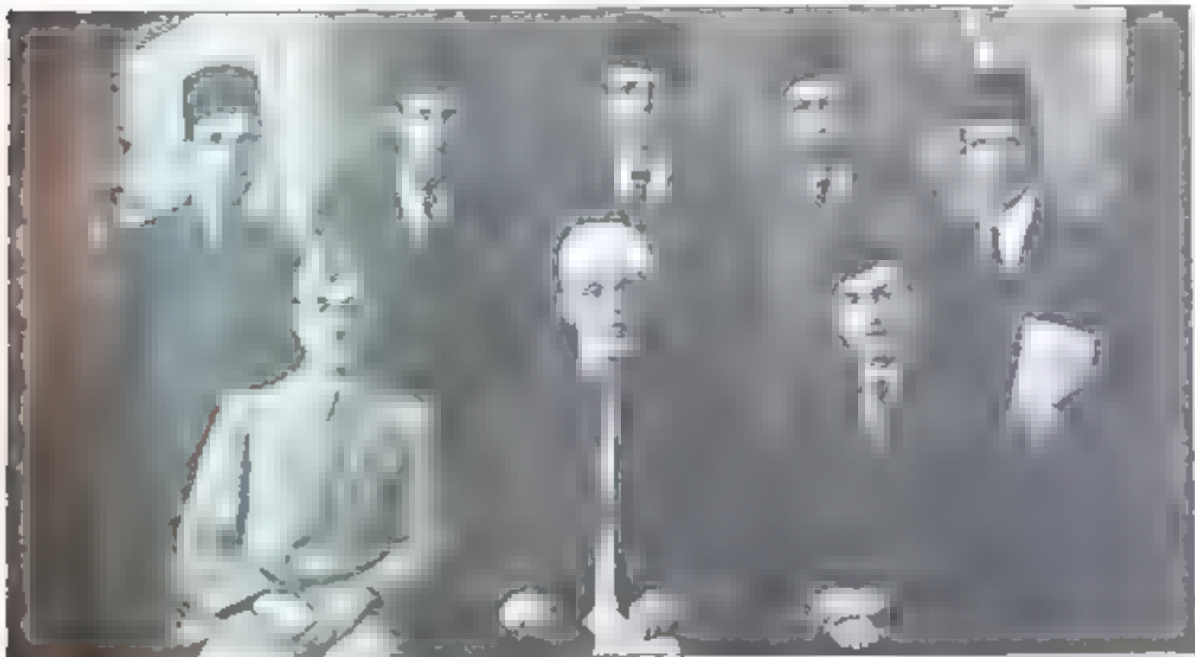
مطبعة الغري
النجف

١٣٥٢ - ١٩٣٨

التصوير رقم (٢) - سورة خلاف كتاب في طريق إلى الإسلام ، الجزء الثاني ،
مطبعة الغري ، النجف الاشرف ، ١٩٣٨ ،



التصوير رقم (٢) - صورة الأعلام الشرعي الصادر من محكمة مصر الاسمية سرعية بتاريخ ٢٢ شعبان سنة ١٣٥٥ هـ (٧ نوفمبر ١٩٣٦) .



التصوير رقم (٣) - أحداث هذه الصورة في الحفلة التكريمية التي أداها جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة ويرى لفيلة الأستاذ السيد محمد الحضر حسين رئيس الجمعية ، ومن يمينه المؤلف ومن يساره الدكتور محمد الهادي عضو الهيئة العراقية ويحيط بهم صاحب العزة محمد حلمي بك وكيل التفويض الإداري وبعض مشايخ الجمعية وشباب الجامعة المصرية .



التصوير رقم (٦) - هذه صورة لدية اخذت في الرحلة التكريم التي اقامها جمعية الهداية الاسلامية ويرى الاستاذ محمد الخطر حسين رئيس الجمعية يحيط به أعضاء الجمعية وبعض شباب الجامعة المصرية ..

الى المؤلف

من نصيدة للعلامة الشيخ كاظم آل كاظم النطاء

حَفَّتْ رَبُّ مَكَّةَ وَالْمَكَّةَ

وبالبيت المقدس والحلیم

لَذَكَرَكَ بِالنِّسْبِ أَحَبَّ عِنْدِي

من الشهد المصنوع والنسيم

مدحك يا قليل المثل لما

رأيتك حلواً خلق الحلیم

أقول لعل ذلك لما لحاق

غواي في محبة غريمي

عشت مكارم الأخلاق منه

وحسن الخلق يمشق في الكرم

يمشوق بقله علم البرايا

ويسر حله عقل المحكم

تغرب في طلاب العلم غرباً

وأشرق نوره فوق النجوم

يحب الخير والاحسان طبعاً

يقول نفسه للخير رؤى

وخير طابع الانسان فيه

من المعروف والقلب السليم

يزيد تواضعاً إن زاد شأنه

كذلك شأن ذي الشرف القديم

فبشرى يا بني الأوطان بشرى

لهذا القطر بالرجل الكرم

يتمتع بما يجيب في حياة

أقول لها مدى الأيام دوى

بأنواع المسرة والتأني

ورغد العيش والشرف الجسيم

فروح الحلة الفيحاء منه

بطيب الذكر والفضل العسيم

بحجر المجد والمعروف ربي

وغي في المعارف والطوم

وهاجر لاكتساب العلم دهرأ

يخاطب نفسه بالجد قومي

بحقق سائر الأديان مهما

يكلفه من النصب الالغ

كفى الاسلام والتصير بحثاً

لتميز الصحيح من القيم

ويسر دائماً طول الليالي

يقول لكتبه أنت نديمي

مديم يطرب الأفكار طوراً

ويؤنس سهر الليل البيم

نديم لا يمل ولا يماي

ولا يفشي لأسرار الكتوم

التصوير رقم (٧) - من نصيدة للعلامة الشيخ كاظم آل كاظم النطاء الى المؤلف

(مؤلف كتب « في طريقتي الى الاسلام » ١٠٠)

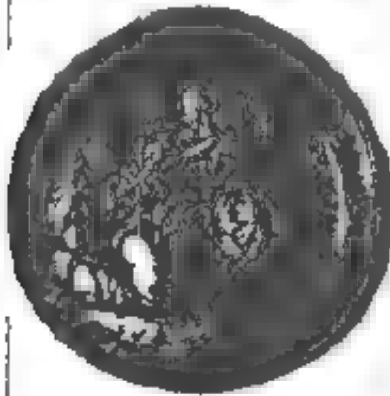
مفصل

العزوة اليهودية في التلخ

حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية

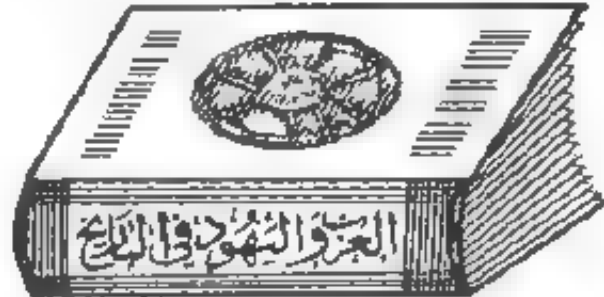
بقلم

الدكتور أحمد روضة



الطبعة الرابعة

طبعة جديدة متحقة ومنصّلة



حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية

التصوير رقم ١٧٨ - سورة ملاف كتاب « مفصل العرب واليهود في التاريخ » ،
الطبعة الرابعة ، قام بكتبه المكتب العربي للاعلان والنشر والطباعة
والترجمة ، دمشق ، ١٩٧٥ .



التصوير رقم ٩٠ - مشروع سده الهدية، ١٩١١-١٩١٣ م - قام بصميمه وتجهيزه
السيد ويليام ويلكوكس احياء مشروع بالاكوياش القديم .



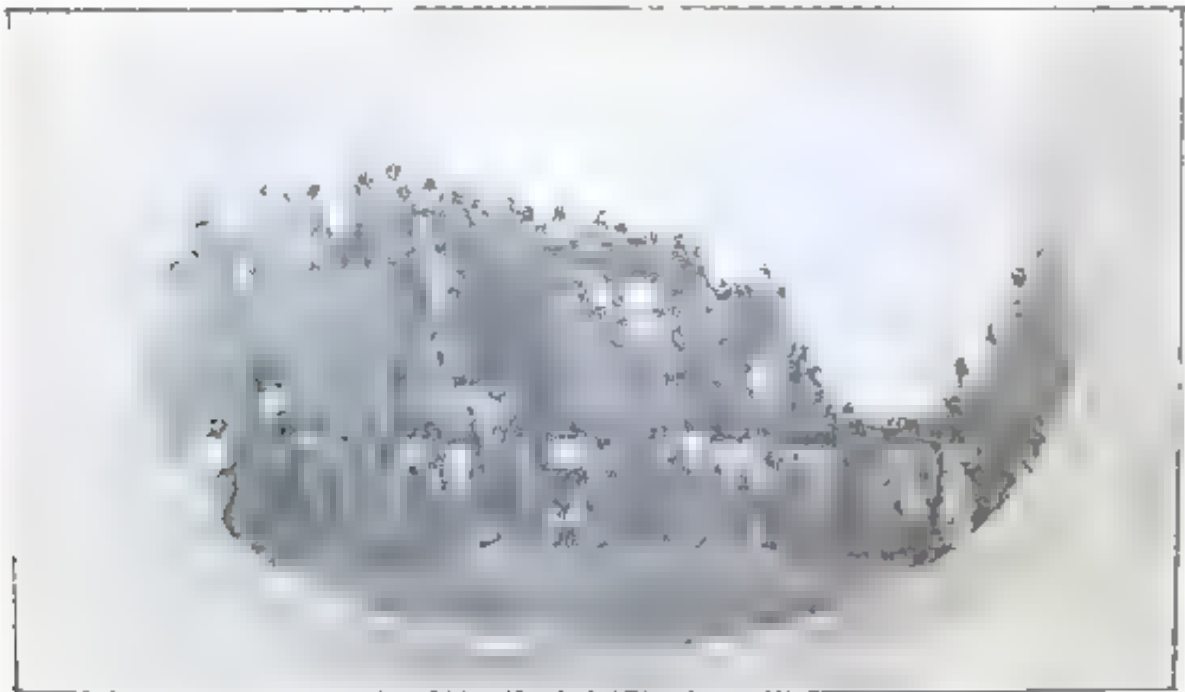
التصوير رقم (١٠)

سير ويليام ويلكوكس (١٨٥٦-١٩٢٦)



التصوير رقم (١١) المؤلف في مؤرخه
رئيسه المهاجرة ١٩٠٢ هـ حيا كبر
عيسى اكثر اوقامه فيها ..

التصوير رقم (١٢) - مشهد من حفلة التناج مشروع سده المديية يوم ١٢ / ثور الاول ١٩٠٢
(انظر الصفحه ١٦)



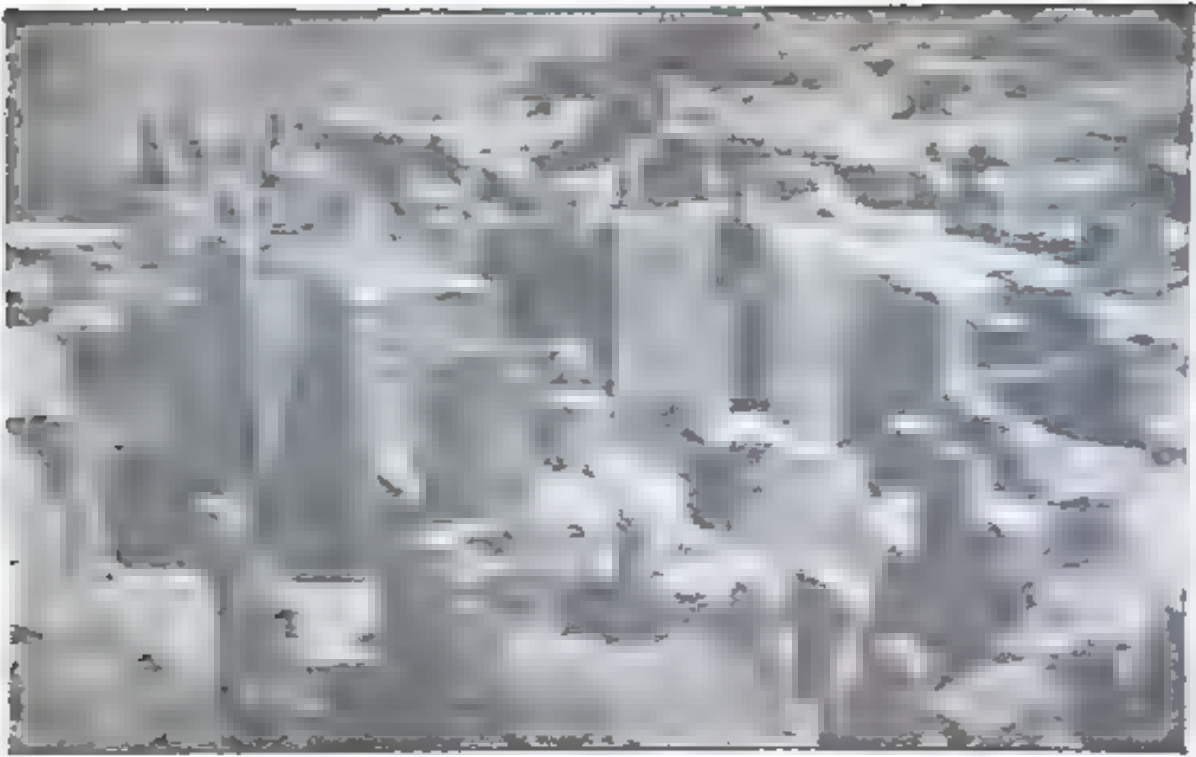
THE
HINDIYAH BARRAGE
Its
History, Design and Function

By
Ahmed Souza, B. Sc., M. A., Ph. D
Irrigation Engineer, Irrigation Directorate General

With 17 Maps and 22 Illustrations

Printed at the Government Press,
BAGHDAD
1945

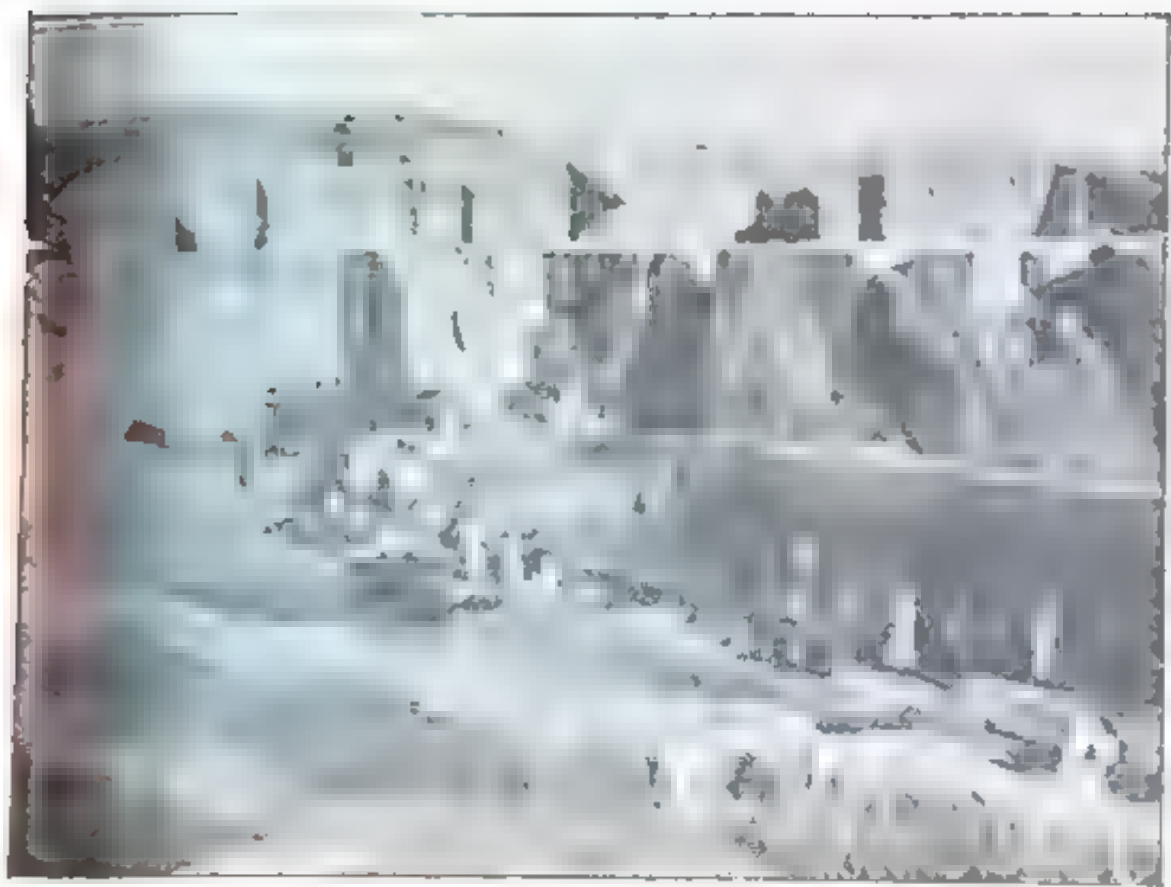
التصوير رقم (١٢) - صورة كتاب « مشروع سيلة الهندية - تاريخه » تصميمه :
همله « مطبعة الحكومة » بغداد ١٩٤٥ .



المتحف رقم ٤ - طابق مدخله رئيسي .



المتحف رقم (١٤) - المرفف فوق اسم نابيل سنة ١٩١٩ .



التصوير رقم (١٦) - منظر لاطلال مدينة كيش ،



فِي ضَوْءِ مِشَارِيعِ الرِّيِّ الْزَّرَاعِيَّةِ
وَالْمَكْشَفَاتِ الْإِثْرِيَّةِ وَالْمَصَادِرِ الْبَارِئِيَّةِ

تَرْجُمَهُ
أَحْمَدُ مَسْرُوتٌ
عَمِلَ عَلَيْهِ مَسْرُوتٌ

النصير رقم (١٧) - صورة غلاف كتاب « تاريخ حضارة وادي الرامدين » دار
الحرية ١٩٨٢ م.

القسم الاول

اسرة ال سوسة

« ان اسرتنا (آل سوسة) عريسة
الأصل ، في الوطن ، وفي العراق ، وفي القومية
واللغة ، وهي من قبائل الجزيرة العربية
المهودة قبل الاسلام ، وقد اسقرت على
ساحل الفرات الأوسط على عهد الخليفة
عمر (رض) حين اخرج القبائل العربية المتهودة
والمتنصرة من جزيرة العرب . وقد امتهنت
الاسرة الزراعة ومارستها في جنوب اليمن
(حضرموت) وفي سواد العراق واسمرت تعمل
في هذا الميدان منذ ان وطأت اقدامها ارض
العراق لفترة حوالي ثلاثمائة واثم سنة .
لتركت ثلاث قرى زراعية على نهر الفرات
وبستانا على نهر دجلة وهذه لا تزال تعمل
اسم الاسرة (سوسة) حتى هذا اليوم . »

١ - تمهيد . ٢ - هجرة جدنا الأقدم وهاشيته من جزيرة العرب الى منطقة الفرات الأوسط . ٣ - أصل تسمية لفينا (سوسة) . ٤ - مدينة سوسة في تونس . ٥ - قرية سوسة في البوكمال بسورية . ٦ - جزيرة سوسة ومن سوسة في منطقة الحدثة . ٧ - قرية سوسة في الصلاوية ويستان سليم الذي سوسة في بغداد . ٨ - انتقال الأسره الى الحلة - تاريخ ولادتي فيها . ٩ - حادث ملجع .

إن وطن أسرتنا (آل سوسة) الأصلي هو جزيرة العرب حوضي اليمن) ، وأسرتنا تنتمي الى القبائل العربية التي نهود بعض بطونها وأصنادها في حوضي الجزيرة ، وقد أحبيب البطون التي لم تكن لها عهدود خاصة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن جزيرة العرب في عهد الحبيبة عيسى (رض) (١٢-٢٣ هـ، ٦٢١-٦١١ م) ، فرحب إلى سوسة من نهر الفرات الأوسط امحادثة لمدنة الشام ، وقد كانت أسرتنا من بينها .

وقد حافظت هذه البطون متهودة على قوميتها ولعناب العربية وتديهم وعادات انقبائل اسي تفرعت منها متمسكة بأعرافهم ونصم حبيب الاحتماعية في انجاهية ، ولم يفرق بين احوالهم العرب في نبي عن نبي عسقوه عن طريق التشر ، فحفظوا على ظهر نسب بعض نصوص سورة ناسخه العربية تنمى انكهنه المشرى من اليهود من غير أن يسهمو معه . هذا في حين أن بعض بطون اخرى من قبائل الجزيرة قد تنصروا فيما بعد عن طريق التشر أيضاً محافظين مثل لبحون اليهود على عنهم العربية وعاداتهم وتديهم وأعرافهم كنصارى نجران والمندرة والساسنة وغيرهم .

وقد بقي أهل لجزيرة بين اليهودية والصراية ولؤسة حتى ظهر الاسلام ، دين الحق والفضرة ، فاحد به العرب عن عقيدة وأصل . وقد أمرل بمنسأ لبعه العربية التي ورثوها عن أجدادهم (أنا أمرلده نراد عربياً) ، متحمسوا له ودخلوا فيه امواجاً حتى أشرف في لآفاق واكسح الوثنية من أكثر بلاد العالم (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) . وفي ذلك يقول احام الاماسي الدكتور « دتلف نيلسون » : « لا يوجد دين من لآدن قدّر الله له اسحاح في القصاء على الوثنية كما قدّر للاسلام » (١)

(١) « التاريخ العربي القديم » ، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين علي ، ص ١٧٢ .

وهناك ما يدل على أن أكثر الجماعات المنهودة والجماعات المنصرة التي أخرجت من جزيرة العرب وفي جملتها بعض أفراد عائلة سوسة اعتنقت الإسلام بعد ظهوره وانتشاره لما بينهم وبين مجاورهم من القبائل العربية من تراث مشترك يجمع بينهم جميعاً . وهو التراث المصري اشتمل بحياة البداوة القاسية والبيئة الصحراوية .

ولما هاجر الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة حرص على تحقيق الوحدة بين القبائل العربية وإزالة ما كان بين أهل المدينة قبل الإسلام من العرقلة بإبطال حروبهم ومنازعاتهم حتى يسود إخوان بينهم حياً . وتحقيقاً لذلك كتب كتاباً في ذلك جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم : أنهم أمة واحدة من دون الناس » وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والياسة غير مظلومين ولا متناصر عليهم وإن يهود بني عوف أمة من المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوقع إلا نفسه وأهل بيته وإن يهود بني الحارث ويهود بني الحارث ويهود بني ساعدة ويهود بني جشم ويهود بني الأوس ويهود بني ثعلبة ولحمة ولبنسي الشظية مثل ما . . . يهود بني عوف وأن موالي ثعلبة كسبوا وإن بطانة يهود كانوا أنفسهم وأنه لا يخرج منهم أحد (إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم) (٢٤٠)

يتضح مما تقدم أن الذي كان يفرق بين الأمة الواحدة هو فكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يرمي من وراء كـ تحقيق الإخاء بين الجميع بصفتهم أمة واحدة وأن لا يكون الدين سبباً في العرقلة بين القبائل ذات اللهجة الواحدة (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم) وفي هذه الشعارات الأسماوية السامية دليل واضح على أن القبائل المنهودة منسوبة لأصل واحد وأن اليهودية كانت منتشرة بين أكثر القبائل العربية حتى بين قبيلة الأوس المشاوية لليهود (٢٤٠) ومن الواضح أيضاً أن المقصود باليهود في كلام النبي صلى الله عليه وسلم هو القبائل العربية المنهودة في جزيرة العرب .

وذكر العلماء أن البعض من الانصار كان مسترضعاً في بني قريظة (من يهود يثرب) وغيرهم من اليهود ، فتهودوا ، وأن من الانصار من كان يرى في الحاجة أن اليهودية أفضل الأديان ، فتهودوا أولادهم ، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه ، أرادوا إكراه آبائهم الذين تهودوا على الدخول فيه ، فنزل

(٢) سيرة ابن هشام ، ج ٢ ، ص ١٤٧-١٤٩ وما بعدها

(٣) « تاريخ الطبري » ، طبعة النجف ، ١ : ٢٢٦

الوحي بالآلة الشريفة : « لا اكراه في الدين » قد تبين الرشد من الغي . (١) وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « قد حشر اصحابكم فان اختاروكم لهم منكم ، وان اختاروهم فهم منهم » (٢) وقد شرحنا هذا الموضوع بشكل اوسع في القسم الثاني « مرحة تاريخ يهود العراق لتقديم » .

٢ - هجرة جدنا الاكبر وحاشيته الى منطقة الفرات الاوسط

لقد نزلت أكثر البطون المتهودّة من القبائل العربية التي اجلاها الخليفة عمر (رض) عن جزيرة العرب الى وادي الفرات في سوريا والعراق ، بينما اتجهت بطون أخرى الى شمالي افريقية وغيرها من لبلاد لعربية المجاورة ، كما لجأ بعض اليهود لعرب من نوحى العجر وحير الى الكوفة واشتهر من يهود الكوفة موسى بن اسرائيل الطيب (كوفي) (١٢٥-٢٢٢هـ) (٩) وقد استقر جدنا الاكبر واسرته وحاشيته ومعه مدينتهم واموالهم المقولة في منطقة الفرات الاوسط ، وهي المنطقة التي اتجهت نحوها الهجرات العربية من الجزيرة نفسها في عهد الاكديين والسوريين والساسانيين والآشوريين والكلدانيين قبل أكثر من خمسة آلاف سنة ، اذ كان الفرات منذ أقدم العصور ولا يزال الموئل الطبيعي للهجرات العربية من وطنها الصحراوي في جريده العرب . ولا كان يهود الجزيرة الذين كانوا يسكنون في منطقة حصرموت الزراعية ذوي خبرة بالاعمال الزراعية فمارسوا الزراعة في مستقراتهم الجديدة على نهر الفرات الى جانب أهل المنطقة ، وهم عرب مثلهم لم يفرق بينهم غير الدين .

وقد ورد عينا رواء (أخباريون أن الخليفة عمر (رض) لما أمر بجله من لم يكن له عهد خاص مع النبي محمد (ص) من اليهود عن جزيرة العرب أرسل أبا الهيثم بن التيهان وسهل بن أبي خيثمة وزيد بن ثابت ، فقوموا نصف التربة ببقية عدل ، فدفعها اليهم ، واجلاهم الى جهة بلاد الشام (١٠) وهذا ما معناه ان عمر (رض) دفع تمويضا الى العرب اليهود الذين اجلوا عن ديارهم عن اموالهم غير المنقولة وممتلكاتهم الارضية . أما المقصود ببلاد الشام فهو منطقة الفرات الاوسط .

ويلاحظ ان هذه المناطق التي نرح اليها اعراب الجزيرة المتهودون لم تكن في اواسط القرن السابع الميلادي ، اي قبل حوالي ألف وثلاثمائة سنة كثيفة السكان ، اذ كان المجال فسيحا لكل من كانت عنده امكانية اعمار الاراضي

(١) سورة البقرة ، رقم ٢ ، آية ٢٥٦

(٢) تفسير الطبري ٢ : ١٠ وما بعدها

(٣) « طبقات الاطباء » ، ج ١ ، ص ١٦١

(٤) الدكتور جواد علي ، « العرب قبل الاسلام » ، ٩ : ١٧٢

الزراعية ، فكان شأن القادمين الى هذه المنطقة شأن جميع القديس الذين اتوا
مرحلت من حرية الحرب واستقرت في مناطق الهلال الخصيب ، ولما كان
الاعداء من عرب نفة وقومية فلا عجب ان استقبلهم السكان ببإلغ الترحيب عملا
بما اشتهر به العرب من اكرام الضيف وايواء الغريب ، والهم في هذه المرحلة
ان مبداء الارض لمن يزرعها « كان هو المطبق عمليا وبصورة طبيعية مع مراعاة
حق الاسبعية لمن وحد من قبل » .

وهناك ما يدل على ان سكان هذه المنطقة سمحوا لهؤلاء القادمين بأن يستغلوا
بعض الاراضي الزراعية الخصبة على نهر الفرات واستقروا في المنطقة الممتدة
على طول نهر عفرات في مناطق دير الزور وعانة والحديثة ، حيث كانت هناك
مراكز يهودية مهمة . ففي بلدة «دورا» (صالحية الفرات) عثر على اثر كنيس
قديم يرجع الى القرن الثالث الميلادي مما يدل على ان صنع عائلات هناك اعتنقت
الديانة اليهودية (٨٠) . وفي كتابة آرامية عثر عليها في هذا الحيد تشير الى انه
قد شيد سنة ٥٥٦ سلوقية تعديها السنة الثانية من تولي لامراطور فيليبس
العربي . حوالي سنة ٢٤٦ م (٩٠) . وتتميز الرسوم الجدارية في هذا الحيد
بصياغتها التي تحكي اذ لم يعثر على ما يشبهها ، وقد احتفظ بهذه الرسوم
في المتحف الوطني بدمشق . وتتألف هذه الرسوم من صفوف متوازية تمثل
متابعه معتبسه من العهد لقديم (٩٠) ، منها قصة مولد النبي موسى وقصة استير
وكذلك توجد آثار كنيس قديم ومقبرة يهودية في عانة . ومن المراكز اليهودية
التي كانت على نهر الفرات في أثناء نزوح يهود الجزيرة العربية الى جهة الفرات
الجانبية اليهودية في منطقة « نهر دعة » قرب عانة وفي « قومبيشة » قرب
الابير وسورا على نهر الفرات وقد أسست فيها كبريات المدارس التلمودية .

(٨) كانت بلدة «دورا» مبنية على نهر الفرات ، تقع على بعد ٨٥ كيلومترا عن دير
الزور الى الجنوب الشرقي منها و٢٢٤ كيلومترا عن تدمر الى الشرق منها ، اسمها
الاعربي في اعداد الاسكندر المقدوني ، وسميت «دورا اورويس» أو «دورا بيكانوريس»
سنة الى بيكانور ، احد كبار القواد المقدونيين (٣٨٠-٢١٢ ق.م) قيل انه اشاعها
سنة ٣٠٠ ق.م. والمدينة على شكل حصن مربع والحفة على حصة على صفة الفرات الغربية
نظرا على النهر والصحراء . أما لفظ «دورا» فيعتقد انه آرامي .

(٩) هذا التاريخ السلوقي في العراق في أول نيسان عام ٢١١ ق.م. وهذا هو التويم البابلي
للمصر السلوقي . وقد شاع استعماله في العراق ويران وسورية والحضر وميسان في
سواحل الخليج لعربي كما استعمله الملوك الفرس في تاريخ الفود التي سكوها .

(١٠) - انظر : « المتحف الوطني بدمشق - دليل محصر » ، ١٩٦١ ، ص ١٥٤ ، ١٦٠ ، و
عبدالمبار عياش ، « منطقة البوكمال في محافظة دير الزور » ، ١٩٧٢ ، ص ١٧-٢١ .
انظر ايضا : Ency. Brit. 1965, 7 612

وكان ليهود الفرات اتصال وثيق بالعرب الساكنين بجوارهم وكانوا يمينون معهم بسلام ووثاق كما كانوا يتاجرون معهم ويعتدون أحلاماً على طريقه أهل المدن والحضر في عقد عهود ومواثيق مع سادات القبائل لمنع الطامعين بهم من التحرش بأموالهم ونجايتهم ، وكانوا يشاركون مع حلفائهم في دفع أندية وما إلى ذلك من الواجبات الملغاة على عاصي القبيلة المتعاقدين معها . ومن عادات القبائل العربية في العراق أن من ينزل بها من القبائل الأخرى يصبح ممتصياً إلى تلك القبيلة مع احتفاظه بنسب قبيلته الأصلية . وما لا شك فيه أن لقدمى إلى العراق من القبائل العربية المتهودة طبقت عليهم هذه العادة شأنهم في ذلك شأن لقبائل العربية الأخرى التي كانت تنزح من جزيرة العرب وتنزل بالسفن وتمارس الحياة الزراعية المستقرة .

وتدل الأخبار المتواترة على أن بعض اليهود العرب الذين نزحوا إلى ساحل الفرات الأوسط على أثر إجلائهم من جزيرة العرب كان من قبيلة قضاة (١١) التي ينسب إليها البكري في كتابه « معجم ما استعجم » أن بعض بطونها من قبيلة بلقي قد تهودت وسكنت في تيماء . فذكر البكري أن بني حشنة بن عكرمة ، وهم من بلقي قتلوا نفرا من بني الربيع ثم لحقوا بتيماء « فأبت يهود أن يدخلوهم حصنهم وهم على غير دينهم ، فتهودوا ، فدخلوهم المدينة . فكانوا معهم زماناً ، ثم خرج منهم نفر إلى المدينة ، فأظهر الله الإسلام ، وبقيّة من أولادهم بها (١٢) وهذا دليل واضح على أن العرب المهوديين في الجزيرة العربية كانوا ينظرون إلى اليهودية قبل الإسلام نظرة حزب سياسي أو تكتل قبلي لأن القومية العربية بما فيها التعصب انقبلي كانت أقوى وأرسخ من أن تستبدل بدين ثم يفهموا منه أكثر من أنه يدعو إلى عبادة إله واحد وهذا ما كانت سقيلته انقبائل العربية كعقيدة أفضل من الوثنية . لذلك لم يكن اعتناق لقبائل العربية مستنداً إلى أسس دينية صريحة كما فهمها الآن بموجب على معتقدها ممارستها كديانة ذات قواعد معينة فكان رئيس القبيلة هو وحده الذي يقرر ذلك فيقتبعه الأفراد .

(١١) كانت مساكن قضاة في شمال الحجاز بين جدة وذات عرق قرب مكة ، ثم انتقلت فمنازل فرقة إلى أرض الجزيرة (جزيرة ما بين النهرين) وعليها ملك يقال له الصيرى بن مدسه الطبر وكان فيما زعموا ملك الجزيرة كلها إلى الشام . انضم إلى الرومان وأغار على بلاد الفرس والسود ونهب على الفرس في منطقة شمرزور . ولكن الملك الساساني (سابور الجنود) جرد حملة على الحضر فدمج المدينة وقيل الفيروز وقضى على مملكته (انظر كتاب « الحضر مدينة الشمس » ، للزاد سطر ومحمد علي مصطفى ، بغداد ، ١٩٧٢)

(١٢) الجزء الأول ، ص ٢٩ .

وقد أخذ العرب المتهودون النازحون الى ساحل الفرات يمارسون الزراعة الى جانب المزارعين العرب في المناطق التي حلوا بها واندمجوا بالمحيط العربي الاسلامي بشكل طبيعي بعد انتشار الاسلام في هذه المناطق ذاتها واتخذ اكثرهم الاسلام ديناً لهم وبقي القليل منهم على اليهودية . ومما يدل على اندماج هؤلاء العرب المتهودين الذين بقوا على يهوديتهم مع السكان ما ذكره الرحالة البرتغالي « بيدرو تكسيرا » (Pedro Teixeira) الذي زار المصراق سنة ١٦٠٤/١٦٠٥م عن يهود عانة قال : « ان مائة وعشرين بيتاً من سكانها (سكان عانة) يهود عرب وان لم يكونوا اغنياء فانهم يمشون عيشاً وسطاً ويراعسون جانبهم امير البلاد وموظفوه وكانوا يملكون بيوتاً وأراضي كما يملك العرب (المسلمون) الذين يؤلفون بقية سكانها » (١٣) . ولا شك في ان هؤلاء من بقايا العرب المتهودين الذين نزحوا من جزيرة العرب الى شطآن الفرات الغربية وقد بقوا على يهوديتهم وهم عرب كما سماهم بيدرو تكسيرا . وقد اضاف بيدرو تكسيرا الى ذلك قوله : « وان عدداً من هؤلاء اليهود اغنياء ولكن اغلبهم في فقر مدقع وجميعهم يسكنون محلة واحدة ولهم كنيس ومصلى ويقومون بشعائر دينهم بكل حرية » .

اما القبائل العربية المنتصرة التي اجلاها الخليفة عمر (رض) مع القبائل العربية المتهودة فكان اكثرهم من نجران ، فاشترى عمر (رض) منهم أموالهم (بمعنى عوصهم عن ممتلكاتهم) ولجأوا الى جنوب الفرات في حوار الكوفة حيث اسسوا هناك مستعمرة سموها باسم بلدهم الاصلي (نجران) كما ان بعضهم انتقل الى قرية تدعى « نهر ابان » (من طساسيج الكوفة) وهؤلاء اندمجوا بالمحيط الاسلامي كلياً فاعتنقوا الدين الاسلامي على الأرجح حيث لم يسمع عنهم شيء (١٤) . وتشير الاخبار الى ان الخليفة عمر (رض) أعلى نصارى بني تغلب واهل نجران من دفع الجزية .

ومما كان يشجع اللاجئين الجدد من المتهودين ومن المنتصرين على الدخول في الاسلام التخلص من دفع الجزية التي كانت تؤخذ من اهل الذمة أي اليهود والنصارى الباقين من الذكور . اما مقدار الجزية التي فرضها عمر بن الخطاب (رض) على اهل الذمة في العراق فهناك روايتان ، الاولى تفيد انه فرض ٢٤ درهماً في السنة على كل شخص ، والرواية الثانية تفيد انه فرض ٨ درهماً على الانبياء و ٢٤ درهماً على متوسطي الحال و ١٢ درهماً على العامة ،

(١٣) يوسف خنيمة لا نزعة فلسطين في تاريخ يهود العراق ، ١٩٢٤ ، ص ١٦٠ .

(١٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ : ٧٥٧-٧٥٨ .

وهذه تستقطب عن المرء بسحره دخوله في الإسلام . (١٥) هذا مع العلم أن الصابرة إلى الإسلام كان يعفى من جميع الضرائب على الإطلاق ما لي ذلك الحراج أي ضريبة الأرض . فكانت تعفى الأرض التي يملكها غير المسلم من الضرائب إذا صبا المالك إلى الإسلام أو إذا باعها إلى مسلم . فنشأ نتيجة لذلك دافع اقتصادي قوي إلى التحول في الإسلام . وقد ظل هذا النظام معمولاً به أكثر من قرن في صدر الإسلام . (١٦)

٢ - أصل تسمية لقبنا (سوسة)

إن أصل تسمية لقبنا (سوسة) نسبة إلى قسبة عربية في حوض النهر كانت تعرف باسم « قبيلة بني سواسة » كانت مسكنها في مقاطعة رعين المشهورة الواقعة إلى الجنوب من صنعاء . وتاريخ هذه القسبة قديم جداً يصل بمسكان حصرموت القدماء الذين اشتهروا بممارستهم الزراعة التي تعتمد على الري كما اشتهروا في كونهم أهم شعوب العالم المصدرة للبحر الذي كان يؤلف مادة ثمينة في ذلك الزمن حيث كان يقدم إلى الملوك ولآلهة (*) . وكان هناك سد وحزان في مقاطعة (مخلاف) عين يمرى باسم سد دي رعين وكانت تنفرج من أنحران عدة جداول لارواء الحقول الزراعية . وكانت قسبة بني سواسة قبيلة فلاحية ساهمت في الزراعة التي تعتمد على الري شأن شأن منطقة

(١٥) الدوري ، « تاريخ العراق الاقتصادي » ص ١٩٦ ، من كتاب « نزهة القلوب » للآلفه حمدالله المستوفى القزويني ، من طبعة لندن ، ص ٢٩ .

(١٦) دانيال وينيت ، « الجزيرة والإسلام » ، ترجمة الدكتور فوزي فهمي جادالله ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٢٠ .

(١٧) البخور يتألف من القبان والبر وهو نوع من الصمغ يتجمع تحت قشور الأشجار وتستخدم هذه المادة في تحضير الأدوية والمواد العطرية والتخفيف ، وينمو نبات هذه المادة في المناخ الحار الرطب ، وكان يزرع في وقت ما في بيجان فيما يعرف اليوم باسم جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، وكان قدماء المصريين يحرقون البخور للآلهة في عباداتهم وكانوا يرسلون الحملات إلى الجزيرة العربية لجلب هذه المادة ، وقد جربت زراعة هذا النبات في مصر فجلبت منه أشجار عديدة إلى مصر ولكن زراعته لم تفلح في الجسو الجاف . وكانت تجارة البخور العمل الرئيس في عهد مملكة سبا في أربع أو خمس أممات تابعة للجزيرة العربية السعيدة وهي اليمن ولفار الحديثان . (انظر : إليزاست مورو ، مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة أكسفورد ، « الجزيرة العربية بين البخور والبترو » ، ترجمة محمد محمود عن الإنكليزية ، مجلة الدارة السعودية ، العدد الأول ،

حوي ايضاً المواجهة لمنطقة حصرموت- (١٧) ولما هاجر أهل حصرموت الى شمال جزيرة العرب اثر الحفاب الذي حل بالبلاد اسسوا اقدم مدينة يسبقه يرجع تاريخها للعروب الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ١١٠٠ ق.م - ١٨ قاطعوا عليها في ناءى الامر اسم (Hadrumetum) أي حصرموت ١٩ ، وهي اسم لمنطقه التي برحوا منها كما حرت العادة المتبعة عند المهاجرين العرب الاوائل ثم علبت عليها سمنة سوسة نسبة الى قبيله بني سوسة . وبعد حصرموت من اقدم المدن المهمة التي لا يزال تحتفظ باسمها اقدم حتى يومنا هذا ، الاسم الذي كانت تعرف به قبل اكثر من ثلاثة آلاف سنة (٢٠) وبعد ان تأسست برطاجنة سنة ٨١٤ ق.م . اصبحت مدينة سوسة تابعة لى قرطاجنة فوسمها لغيسيفيون (٢١) . وما كان الفينيقيون هم والكتانيون من اصل واحد وكلهم برحوا من جنوب جزيرة العرب فلا شك في ان يكون لتسمية المدخرة لمدينة « سوسة » علاقة بسكانها الاصليين الحضرميين ، وهذه التسمية نفسها اطلقت على القرى الزراعية التي اسستها أسرة آل سوسة ، المنسبة الى قبيلة بني سواسه . في سواد العراق بعد نزوحها من جزيرة العرب الى وادي الفرات اثر جلائها منها في القرن السابع للميلاد ، اي قرية سوسة في اسو كمال سورية وقرية وعين سوسة في الحديثة وقرية سوسة في الصقلاوية على نهر اعرات ويستان سليم افندي سوسة في شمالي بغداد على نهر دجلة . وقد ورد ذكر قبيلة بني سوسة مقرونة مع «عين» في شعر امرؤ القيس : « ودار بني سواسه

السنة الثانية ، ربيع الاول ١٢٩٦ هـ - مارس ١٩٧٦ ، ص ٢٨-٤٢)

(١٧) على عقل . « نعلوج تاريخي عن الري في وادي حصرموت » ، التراث ، العدد الاول عدن ، ١٩٧٧ .

(١٨) انظر الدكتور احمد سوسة ، « حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور » ص (19) D Harden, 'The Phoenicians' Penguin Books, Revised ed 1963, pp. 57, 63

(٢٠) ولد اسهرت في هذه المنطقة ذاتها منطقة قطبان (مملكة قطبان) المجاورة لحصرموت شرونها البحدورية كانت عاصمتها تمنع (كطلان حالياً) ، وقد اضرمت هذه المنطقة (وعاصمة منطقة وادي بيجان) بحصنها وكثرة مياهها ومزارعها التي تعتمد على الري ، انظر :

W Phillips "Qataban and Shiba—Exploring the Ancient Kingdoms of Biblical Space Routes of Arabia", London 1955, R B Bowen, "Irrigation in Ancient Qataban (Beljan).

(٢١) يرى اكثر الباحثين في التاريخ القديم ان الفينيقيين جاؤا في الاصل من منطقة الجسرين والساحل المقابل له ، فذكر هرودوتس ان المشهور في اسمه ان اصل الفينيقيين من البحر

في رعين تحط الى جوانبها الرجال « (٢٢)٠

أما تسمية رعين التي كانت تقع فيها مساكن قبيلة بني سواسه فهي
تصغير رعين ، ورعين جبل باليمن فيه حصن يسمي اليه ملك من ملوك اليمن
يقال له « دو رعين » ، وكان دو رعين في جملة ملوك اليمن الذين وقعوا الى
جانب البرهة حاكم اليمن في زمن احتلال الحبش لليمن ، وقد وردت أسماء
بعض أسرهم في أسصوص المدونة قبل الميلاد (٢٣)٠

ورعين بطن من بطون حمير من القحطانية واسمه « يريم بن زيد بن سهل
بن عمرو بن قيس بن معاوية بن حشيم بن عبد شمس بن وائل بن الفسوت
بن قطن بن غريب بن زهير بن الهيمسح بن حمير » (٢٤) ورعين اسم لمخلاف
من مخاليف اليمن الواحدة يقع جنوبي صنعاء بمسيرة ستة مراحل وفيه آثار
قبتانية . (٢٥)

ومن اشتهر من رعين جناب بن مريد بن زيد بن هاني الرعبي كان
من المتقدمين بعصر في ولاية عبدالعزيز بن مروان ولي بها أعمالا واستغلب مره
على امرتها وتوفي فيها سنة ٨٣ هـ (٧٠٣ م) ، وعمرو بن كرب بن صالح الرعبي
أحد المتقدمين في أيام عبدالعزير بن مروان أيضا توفي في القاهرة سنة ٨٣ هـ

الاحمر . ويرى الطمء ان المصود هنا الطسح العربي (Sinus Percicus)

لا البحر الاحمر ويلعبون الى ان اللينيين هاجروا من وطنهم الى البحرين ساكني الساحل
ثم اتجهوا نحو وادي الفرات ومن وادي الفرات انماحوا الى لبنان حيث اسسوا منهم
على الساحل في المنطقة التي عرفت باسمهم اي فينيقية (Phoenicia)

انظر : الدكتور جواد علي : « ملصق تاريخ العرب قبل الاسلام » ١ : ١٤٧ نقل من :
Hastings, Dictionary of the Bible, p. 725, Herodotus I, VII, 84.

ويستشهد الطمء بالمقابر التي شرطها في البحرين فيرى الذين تناولوا بدراساتها وفحصوا
انها مقابر فينيقية وان سكان البحرين هم اللينيون ويرى سكان جزيرة البحرين ان
اسماء جزائرهم ومنهم هي اسماء فينيقية . (الدكتور جواد علي ، المرجع السابق
١ : ١٤٦)

(٢٢) الاكليل للهمداني ، ج ٨ ، ص ٢٨٠ .

(٢٣) الدكتور جواد علي « ملصق تاريخ العرب قبل الاسلام » ١ : ٢٨٨ .

(٢٤) عصر دلسا كحالة ، « معجم قبائل العرب » ٢ : ٢٨٨ ؛ ياقوت معجم البلدان
٢ : ٧٩٢ .

(٢٥) تعود هذه الآثار الى مخططات مملكة قتيان إحدى ممالك اليمن القديمة الواقعة في الاقسام
الغربية من الجزيرة العربية في جنوب غربي أرض المينيين والتمتد حتى باب المقديس .
وقد حكمت هذه المملكة حوالي ٨٠٠ سنة بين القرن العاشر والقرن الثاني قبل الميلاد ،
وكانت عاصمتها «منع» تعرف باسم «طلائ» .

(٧٠٣م) ، وأبو خزيمه إبراهيم بن يزيد الرعني وهو من قصاة مصر توفي سنة ١٥٤ هـ (٧٣١م) ، وعبدالله بن عمر بن غانم بن شرحبيل الرعني قاصر فقيه ولاء هارون الرشيد قضاء افريقية توفي سنة ١٩٠ هـ (٨٠٦م) وغيرهم .

٤ - مدينة سوسة في تونس

تقع مدينة سوسة التونسية على الساحل الشرقي عند خليج « حمامات » على مسافة حوالي ١٤٥ كيلومترا الى الجنوب الشرقي من بلدة تونس وهي من اقدم المدن الفينيقية على ساحل البحر المتوسط . والذي يهسا من تاريخ المدينة القديم ارتباطها بحضرموت حيث أطلق عليها المهاجرون العرب من الجنوب اسم حضرموت في القرن الثاني عشر ق.م . مما يدل على أن أهل حضرموت كانوا قد أطلقوا عليها هذا الاسم نسبة الى المنطقة التي نزحوا منها ومن المهم ذكره أن حضرموت حافظت على اسمها القديم حتى هذا اليوم .

وقد ازدهرت مدينة سوسة التونسية حينما استخدمها القرطاجيني الشهير « هانيبال » (٢٤٧-١٨٢ ق.م) قاعدة لعملياته الحربية مع الرومان في أواخر الحرب القرطاجينية (البونيقية) الثانية (٢١٨-٢٠١ ق.م) ، ثم اتخذها الامبراطور تراجان مستعمرة رومانية ، وعندما نشبت الحرب البونيقية الثالثة (١٤٦-١٤٦ ق.م) اعترف الرومان باستقلال المدينة ولقبوها بالمدينة الحرة . وازدهرت المدينة في عهد يوليوس قيصر (٩١-٤٤ ق.م) واستمر حكم الرومان لهذه المنطقة حتى جاء غزو الفاندال لشمال افريقية فاحتلوها سنة ٤٣٩م واستمر احتلالهم لها حتى سنة ٥٥٣م عندما احتلها البيزنطيون فأطلقوا على المدينة اسم « جوستينيا نوبوليس » نسبة الى الامبراطور جوستنيان ، ثم سقطت المدينة في أيدي العرب بعد فتح طرابلس سنة ٦٤٢م . وفي أوائل هذا العصر نشبت معركة بين قوات الامبراطور قونستانس الثاني (باكوناقوس) سنة ٦٤٧م كان النصر فيها للعرب الذين الحقوا الهزيمة بقوات قونستانس ، ثم انتقلت المدينة من يد الى يد من الحكام العرب حتى استولى عليها الاغالبة (٨٠٠-٩٠٩م) حيث أصبحت ميناء القيروان ومنها انطلق أسد بن الفرات قاضي القيروان سنة ٨٢٧م لفتح صقلية . وبعد زوال حكم الاغالبة حل محلهم الفاطميون ثم تلاهم بنو زيري الذين دام حكمهم من عام ٨٧٥ الى عام ١١٦٠م ، وتلاههم الموحدون (١١٢٩-١٢٢٦م) ثم الحفصيون . وفي عام ١٥٢٥م حاول الاسبان احتلال بلدة سوسة الا أن أهلها قاوموهم واستمرت تحت حكم العرب حتى وقعت في أيدي الاتراك من عام ١٥٧٤ حتى عام ١٨٨١م ، ثم استولت فرنسا على تونس كلها واستمر الاستعمار الفرنسي لتونس حتى تم تحريرها بثورة الشعب التونسي فحصل على استقلاله عام ١٩٥٦م .

وقد تعرضت مدينة سوسة للخراب في الحرب العالمية الثانية بتأثير قنابل
الامان والامريكيين والحلفاء حتى هجرها أهلها إلا انه أعيد تعميرها بعد حصول
تونس على استقلالها حتى تحولت الى واحدة من أشهر المدن على ساحل البحر
المتوسط ومن أهم المراكز السياحية في تونس العصرية . ومن أهم عمارتها
الجامع الكبير أنشئ في بداية القرن الخامس الهجري ، وكان هذا الجامع
قلعة ثم تحول الى جامع في عهد المعز بن باديس . ويبلغ عدد سكان المدينة
حسب الإحصاءات التقديرية (الخير ٧٠-٨٠ ألف نسمة (٢٦) .

• قرية سوسة في منطقة البو كمال في سوسة

وقد أسس جدنا الأكبر أول قرية زراعية على ساحل الفرات الأيسر مقابل
الـ بو كمال ، وهي لا تزال تعرف باسم « قرية سوسة » حتى هذا اليوم ،
ذكرها موسىيل الذي زار هذه المنطقة بين سنة ١٩١٢ وسنة ١٩١٥ في كتاب
« الفرات الأوسط » (ص ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٣) وحدد موقعها على خارطته على
الضفة الشرقية من الفرات مقابل البو كمال وقال : « قرية سوسة هذه تدعى
في قسمها الشمالي « مرزان » وهي مجاورة لأرض الوردية وسنسول الكائنة
في منطقة الصالحية (صالحية البو كمال) ، وقد سماها موسىيل (السهل
الرسوبي لآل سوسة) « (٢٧) وقد ثبتها أندريه بارو مقابل البو كمال على الخائب
الشرقي من نهر الفرات ما بين أبو كمال وتل الحريري (ماري) (٢٨) وذلك في
خارطته المنشورة بكتابه « ماري المدينة المفقودة » (٢٩) (انظر المرسوم رقم ١-
أقدم مستعمرة سامية تمارس الري على نهر الخابور) .

(٢٦) انظر الاستطلاع الصور المنشور في مجلة العربي الكويتية (العدد ١٦٧ تموز ١٩٧٢ ،
ص ١٠٠-١٢٢) .

(27) The Alluvion Plain of As-Susa.

(٢٨) هاري « عاصمة دولة عبورو السامية (مارتو) تقع أطلالها المحروقة مطيا باسم « تل
الحريري » على الضفة الغربية من نهر الفرات على مسافة ١٦ كيلومترا من شاطئ
غربي بلدة البو كمال بقرب قرى السيل والقبرة في محافظة دير الزور ، وهي المدينة
الفاخرة التي أسست بعد الطوفان . كانت مركزا لحضارة راقية عظم شأنها في الألفين
الثالثة والثانية قبل الميلاد . نلق فيها أنفردية بارو الألفي الفرنسي المحروقة وكشف
فيها من آثار من حضارة وادي الرافدين من عصور ما قبل التاريخ ومن عصور فجر
السلالات . ومن أهم الآثار التي اكتشفت فيها قصر عظيم يرجع الى القرن العشرين قبل
الميلاد يحوي على ٣٠٠ حجرة وعلى قاعة واسعة . سعة مساحته تربو على ١٥ دونميا
حوالي ثلثه على مجموعة من الأنواح يبلغ عددها حوالي ٢٠٠٠ لوح .

(28) André Parrot, "Une Ville Perdue," Paris 1945, p. 44.



مخطط رقم (١) - أقدم مستعمرة سامية تمارس الزراعة التي تعتمد على الري في منطقة الخابور (انظر الفقرة ٥)

وقد كانت هذه المنطقة ، التي اتخذتها أسرة آل سوسة مقرا لها وأسسب قرية زراعية فيها والتي سميت باسمها حتى هذا اليوم ، مهجورة ولكنها من الخصب السهل المحاذاة للجانب الشرقي من نهر الفرات ، فهي تشكل مثلثا مستطيلا ما بين نهر الخابور (خابور الفرات) عند مصب نهر الفرات وبين الساحل الشرقي لنهر الفرات قاعدته لمستطيلة حدود نهر الفرات نفسه . فكان هناك سد قديم على نهر الخابور يسمى الآن السكير (تصغير سكر) أي السد الصغير وذلك في نقطة تقع على بعد خمسة عشر كيلومترا من شمال قرقسبا وكان يتفرع من أمام السد جدول قدم بسمه الاهلون (نهر دودن) نسبة الى دارا الثالث ملك الفرس الاخمينيين (٢٣٦-٢٢١ ق م) على ما يعتقد البعض فيمتد هذا الجدول بسوازة نهر الفرات مسافة ١١٢ كيلومترا تاركا قرية سوسة الى يمينه على ساحل نهر الفرات في وسط المثلث المذكور ثم ينتهي عند قل باغور (٢٠) حيث يصب في نهر الفرات . وكان هذا الجدول يروي السهل الرسوبي المتد على طول نهر الفرات جنوبي نهر الخابور ، هذا ما يدل على ان الزراعة التي تعتمد على الري كانت تمارس في هذه المنطقة الخصبة الواقعة بين الساحل الايسر لنهر الفرات والصحبة اليسرى لنهر الخابور منذ أقدم الأرمنة . وهذه كانت منطقة العموريين (الساميين) الذين أسسوا فيها مملكة راسمة منذ أقدم العصور وانحلوا من يد « ماري » القريبة منها عاصمة لهم . وقد استغل الفارحون الدين أخرجوا من حرية العرب في عهد الحديعة عمر (رص) هذه المنطقة بالذات حيث أسسوا قرية زراعية سموها قرية سوسة نسبة الى مشيديها وهي لم تزال محافظة على اسمها القديم حتى هذا اليوم .

ومما لا شك فيه ان هذه الاراضي الزراعية قد انتقلت من يد الى يد عبر الزمن الطويل من فتح الى آخر حتى أسست فيها قرية سوسة في بداية العصر

(٣٠) « قل بالوز » ، قل الري في سورية يقع على الجانب الايسر من نهر الفرات جنوب شرقي « قل الحريري » (ماري) يرجع الى عصر حونة (٥٥٠٠-٤٨٠٠ ق م) ، ومن المرجح ان هذا القل يمثل بقايا أحد المستوطنات القديمة التي أقامها العموريون على سفوح الفرات على اثر نزوحهم من الجزيرة العربية نتيجة جديها ، ولطه من ملطحات صفريه عاصمتهم .

ويقع قل بالوز في منطقة البوكمال في محافظة دير الزور بسورية عند قرية بالهوز الواقعة في أسفل هضبة عالية ويسمى الواقع بمنطقة الفرس . وعلى قمة هضبة بالهوز اثر حصن قديم لم يبق منه غير ثلاثة أبراج متباعدة من بعضها البعض ، اما بالهوز فلهذه قرية تعني المسيق (انظر : « منطقة البوكمال في محافظة دير الزور » للمحامي عبدالقادر عباسي ، دير الزور ، كانون الثاني ، ١٩٧٢ ، ص ١٦)

الاسلامي ، تم عادت فاشقت من يد الى يد ، ومع انها بقيت مهجورة بعد ذلك ولكنها احتفظت باسمها (قرية سوسة) حتى اليوم . كما ولا شك ان هذه المنطقة التي نزحت اليها اسرة سوسة في صدر الاسلام كانت مهجورة وجدولها مندرس ، فاعادوا حفر الجدول كما اعادوا انشاء السد على الحابور ونظموا الزراعة عليه . والراجح انهم حملوا معهم المعدات الزراعية اللازمة والحيوانات المستخدمة في الحراثة التي كانوا يستعملونها في وطنهم قبل نزوحهم منه ولا شك انهم كانوا يقتنون الجمال في التنقل ، وقد جاؤا معهم خبرتهم في الاعمال الزراعية التي يعتمد على السري وقد مارسوها في وطنهم الاصلي في حضرموت .

وهنا نقطة تاريخية مهمة لا بد من الاشارة اليها وهي ان سكان جزيرة العرب كانوا اقدم الاقوام الذين مارسوا الزراعة التي تعتمد على الري ، فقد اكتسبوا خبرة فنية قبل نزوحهم الى وادي الرافدين في اقامة تنظيمات السري عندما كانت جزيرة العرب تتمتع بجو رطب تكثر فيه الامطار على مدار السنة كما كانت اوديتهم الحالية انهارا جارية على مدار السنة ايضا ، وكان ذلك في خلال الدورة الجليدية الرابعة والاخيرة ، ففي هذه الفترة التي دامت حوالي مائة الف سنة قبل الميلاد ما بين سنة ١٢٠ الف سنة و ١٥٠ الف سنة قبل الميلاد كانت اوربا مغطاة بالثلوج (انظر بحث الدكتور احمد سوسة « حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين » ١٩٨٠ ، ص ٥٨) .

وتعد قرية سوسة اليوم من اهم قرى محافظة دير الزور في سورية ، فقد تناول المرحوم الاستاد عبدالقادر عياش وصف قرية سوسة الحالية في كتابه « منطقة البوكمال في محافظة دير الزور » (ص ٥٦) قال :

« سوسة - اهم سكانها قبائل : البو عبدالله والبو بدران والصويلبي والداخل والمراشدة ، نفوسها ٢٨١٠ ، المساحة المرخصة ١٤٢١٠ دونما ، فيها ٢١ محركا مجموع احصنتها ٩١٢ ، تملك ٢٣٥ رأس بقر » .

« فيها مدرسة ومخفر شرطة ، تتبعه قرية الباغوز الفوقاني وقرية الشطة ، وسوسة مشهورة في المنطقة برمانها وتينها ، وفيها جمعية تعاونية زراعية ، وعندما معبر عليه سفينة تصل ضفتي الفرات ، وتصل مخفر سوسة بمركز المنطقة . »

ويضيف الامتاذ عياش وصفا عن مجرى حياة هذه القرية بقوله : « يعيش سكان هذه القرى حياة بسيطة متخللة ، الرابطة بينهم اصولهم العشائرية ، المستوى الصحي متدن ، بيوتهم من الطين وخيام الشعر ، ومؤخرا اشادت الحكومة مدرسة في كل قرية ، ولا توجد مستوصفات في القرى . يحول السكان على المشاريع الزراعية التي قام بها بعض سكان قسبة البوكمال منذ

سنة ١٩٥١ ، كما يعولون على تربية الأغنام وما تنجعه من سممن وصوف .
ولسكان هذه القرى سمعات في بادية الشام وبادية الجزيرة ، حيث يرحل قسم
منهم في الربيع لرعي أغنامهم ، ويسكنون في مضارب أو أكواخ ، يعتمدون في
سقي أغنامهم وسد حاجاتهم من ماء على مياه الآبار في البادية . وهذه إن دلت
على شيء إنما تدل على محاطة الرراع في هذه المنطقة على مظاهر حياة البداوة
فصارت تجمع بينها وبين وسائل امتدن وبين الزراعة المستقرة وبين رعي الأغنام
مع اقتناء الحمال لفرض الثقل .

٦ - جزيرة سوسة وعين سوسة في منطقة الحديثة

وقد انحدرت بعد ذلك زمرة من عشيرة آل سوسة جنوباً لتأسست قرية
زراعية أخرى على العرات في منطقة الحديثة لا تزال تعرف حتى هذا اليوم بقرية
وعين سوسة . وفي هذه القرية عين ماء قديمة كانت على الإرجح مهجورة
محفروها واستفلوها في الزراعة فسميت باسمهم قرية عين سوسة ، ويسد
هذا الموقع اليوم موقعا أثريا يرجع تاريخه إلى العصر الإسلامي . ولا يخفى أن
عادة تسمية الأماكن باسم رئيس القبيلة أو الأسرة عادة قديمة جدا مارسها
العرب منذ أقدم الأزمنة .

وتقع هذه القرية على الجانب الغربي من نهر الفرات على بعد حوالي ١٥
إلى ١٦ كيلومترا إلى الشمال من مدينة الحديثة الحالية تسكنها اليوم قبيلة
البرابرة ، ومع أن مركز هذه القبيلة هي القرية المذكورة إلا أن أفرادها
يرتحلون إلى البادية للائتياع على عاداتهم العدية . والقرية من ضمن ناحية
الحديثة (قضاء عانة) في العراق ، وقد وصفها موسيل وسمها « جزيرة
مزروعة لآل سوسة » (٢١) .

وقد ورد الإيضاح التالي عن هذه القرية في « دليل التعداد العام لسنة
١٩٦٥ » (مديرية تسجيل الأحوال المدنية العامة) : « قرية عين سوسة ،
عدد سكانها ٢٠٤ بموجب تسجيل سنة ١٩٥٧ (ص ١٩٤) ، العشائر الرحالة
في قرية عين سوسة هم البرابرة عددهم حسب تسجيل سنة ١٩٥٧ (٦٢٠ نسمة)
ويرتحلون إلى الجزيرة (ص ٥٠٦) ، حويجة سوسة ١٤٦ نسمة بموجب تسجيل
سنة ١٩٥٧ (ص ١٩٤) » .

وقد ورد في تقرير مديرية الآثار العامة (الاضبارة ١٩٤) عن جزيرة
سوسة وقرية عين سوسة ما يلي :

« سوسة هي الجزيرة الكائنة في وسط نهر الفرات تقابلها على الضفة

اليمنى من النهر قرية عين سوسة ، وقرب القرية عين ماء جافة في الوقت الحاضر تعرف بعين سوسة تقع على مسيرة كيلومتر واحد شمال دور السكن . اقرب النقاط منها نهر الفرات وطريق السيارات ، والمين نقطة ثابتة ولها مدرسة رسمية ، يمكن الوصول اليها بالسيارة من حديثة على بعد ١٩ كيلومترا ، يسكنها بعض المزارعين من عشيرة الجلفايضة التي تنتقل من الحدود العراقية السورية حتى وادي حوران . ويقطن في القرية شيخ مشايخ العشيرة يدعى الشيخ محسن علي العياشي .

« وفي شرقي القرية حاوي فسيح يفصلها عن نهر الفرات منبسط لا تساريع فيه ، وفي طرف الحاوي الغربي قرب المدرسة وبعض الدور حفر المزارعون جداول عديدة لارواء مزارعهم فظهرت آثار حدار يمتد من جنوب القرية بمحاذاة الحاوي ويمتد شمالا حتى يقارب ساقية المين ، وتظهر من هذا الجدار الاقسام الواطئة . ولا توجد اية ملتقطات او كبير فخارية بقرب الحدار بيد ان السكان اكثروا بانه كثيرا ما كانوا يمشرون على كسر من الحرار كبيرة وصغيرة مبشرة في وسط مزارعهم قرب الحاوي فيهبسونها . »

« اما العين التي تعرف بـ « عين سوسة » فتبعد عن القرية الى الشمال الغربي منها مسافة كيلومتر ، فهي عبارة عن حفرة عميقة لا يزيد عمقها من الوسط عن الياردة مدورة الحواشي لا ماء فيها . وتبعد من العين مسافة باتجاه الفرات على صفته الغربية شمال القرية وهذه الساقية هي الاخرى جافة .

« ان انخفاض الحاوي المحاذي للقرية يوحي لنا انه تعرض في ازمان غامرة الى الخرق مما ادى الى ازالة معالم السكنى القديمة او الخرائب على ان وضع المنطقة وتوفر وسائل السكنى ليها وقربها من الفرات ومن سور ام الحراشيج ، كل ذلك يوحي لنا بانها كانت مسكونة قديما ولا يستبعد وجود آثار فيها ولكنها زالت معالمها بتأثير طغيان المياه او نتيجة اعمال الفلاحة في المنطقة . »

٧ - قرية سوسة في الصقلاوية وبستان سليم الفندي سوسة في بغداد

وقد شاعت الاقدار ان حدثت بعد مرور بضع مئات من السنين ظاهرة طيمية في نهر الفرات الأوسط ادت الى هبوط مستوى النهر في هذه المنطقة ، فحدث شبه شلالات (مساقط) في النهر ، فلم يعد بإمكان الزراع مواصلة رراعهم وايصال المياه اليها سريعا ، فضلا عن صيق الارض بالسكان ، فاضطر قسم من الزراع الى مفاددة ديارهم والوجه جنوبا ، بينما بقي القسم الآخر من السكان في مناطقهم واحذوا يستعينون بالنواير لرفع المياه الى حقولهم الرراعية مستخدمين القوى المائية المولدة من الشلالات التي احدثها هبوط قعر النهر في تدوير هذه النواير الصخمة ، وهذه لا تزال تستعمل حتى يومنا هذا في منطقة عامة وراوة كما كانت عليه في تلك الازمان . واخر ما وصل اليها

ان آل سوسه احادوا الزول جنوباً بانحدار اسهر حتى اسفروا في مطقه الصقلاوية واستسوا هناك قرية زراعية لا تزال تحمل اسم الأسرة تعرف بـ «قرية سوسه» وهي تقع الى الشمال من اصلال عديبه الاسار العديمه (٢٢٠) .
وهنا مارسوا الزراعة التي يعتمد على الري ، اذ وجدوا فيها أرضاً سهله تنحدر انحداراً طيماً من نهر الفرات باتجاه نهر دخله يسهل شق الجداول فيها للارواء السحي . وقد اشتهرت هذه المنطقة بحصونه أرضها ووفرة مياهها من الفرات ولا تزال تحفظ بهذه الخصائص حتى يومنا هذا حيث تشكل اهم شبكة من جداول الري في القطر . فجدول الصقلاوية الحديث يمتد حوالي ثلاثين كيلومتراً ويرري ما يقرب من ربع مليون دومة عراقية (٢٢٠) . والذي يعرفه على وجه التاكيد ان حد والذي كان يسكن هذه القرية وشعاطى مهة الزراعة فيها ، ثم انتقلت الأسرة الى القلوجة ومنها الى بغداد .

وأخر ذكر لآل سوسه ورد على لسان الرحالة الهولندي نيهولت (٢٢١) ، فذكر ان هناك بستاناً قديماً مشهوراً لسليم آفندي سوسه يقع في اعرجات شمالي بغداد على نهر دجلة ، فقال في وصفه لفيضان نهر دجلة سنة ١٨٦٧م ما نصه : « ان امطار سنة ١٨٦٧ الكبرى قد عطت في اواسط شهر آذار واستمرت اياماً تتدفق بفزارة شديدة ولا سيما في اعالي النهر » . وفي اليوم ذاته ذاع نيا انصداع سد الصفيه على مرحلة ثلاث ساعات شمالي بغداد ، ولم ينصرم النهار حتى غصت المياه كل السهل شمالي المدينة وشرقيها وجنوبها في الجانب الأيسر . ولإعطاء فكرة لمن يعرف بغداد ، أقول ان الماء قد أمشق بقوة من الثغرة التي فتحتها في سد الصفيه فأغار على اعرجات وهو بستان قديم شهير لسليم آفندي سوسه والأراضي المجاورة ، ثم مر بالطارمية ليصل الى باب المعظم (باب الميدان) . وقد عمر الماء من الناحية الأخرى كل الحقول والمراعي وابسانين حتى الشيرية والباب الوسطاني الخ . »

(٢٢) الأنبار مدينة عراقية قديمة تقع اطلالها اليوم على الضفة نهر الفرات (اليسرى على بعد حوالي ٨ كيلومترات الى الشمال من مدينة القلوجة ، جاء في « نزهة القلوب » لعمادته المستوفى ان مؤسس الأنبار الملك مهابد طايانيان سكن فيها الاسرى اليهود الذين سباهم نبوخذ نصر فسميت الأنبار ثم جدد بنائها سابور الثاني (ذو الكتاب) (٢١٩-٢٢٧) وجعلها السلاج كرسى مملكته . وقد ذكر ياقوت ان ابا جعفر التصوف (١٣٧-٢٧٥) الخ السلاج سكنها ايضاً ودحا من الزمن قبل ان ينتقل الى العاصمة الجديدة بغداد .

(٢٣) الفونم العراقي او ما يسمى الشفرة يساوي ٢٥٠ متر مربع .

(٢٤) « صفحات من مذكرات الرحالة الهولندي نيهولت للعراق قبل مائة عام » جريسة البلد ، عدد يوم ١٩٦٧/٥/٥ ، ص ٢ . انظر ايضاً : « فيضانات بغداد للدكتور أحمد سوسه » ٢ : ٢٧٦ .

ينصح مما تقدم ان أسرة (آل سوسة) عربية الأصل في الوطن ، وفي المرق ، وفي القومية واللغة ، وهي من أسر قبائل الحزيرة العربية المهدودة التي استقرت على ساحل الفرات الأوسط على عهد الحليفة عمر (رضي) . والمعروف عندها انها ترجع في نسبها الى قبيلة بني سوسة في محلاف رعيين جنوبي اليمن المتاحم لحضرموت فبلغت الأسرة ر (سوسة) نسبة الى قبيلة بني سوسة التي تقدم ذكرها . وقد اشتهت الأسرة الزراعة التي تعتمد على الري ومارستها في سواد العراق واستمرت تعمل في هذا الميدان منذ أن وطأت اقدامها ارض العراق لفترة حوالي ألف وثلاثمائة سنة .

٨ - انتقال الأسرة الى الحلة - تاريخ ولادتها فيها

بعد سكنى والدي بعدد فكانت له من الخبرة في الشؤون الزراعية والإدارية ما حمل آل دايال ، وهم من كبار الملاكين المشهورين في العراق كانوا يمتلكون مقاطعات زراعية شاسعة لا تحصى ولا تعد في جنوبي العراق . أن يهدوا اليه بإدارة هذه المقاطعات ، وبحكم عمه هذا انتقلت الأسرة الى بلدة الحلة التي انحلت مركزاً رئيساً لإدارة هذه المقاطعات الزراعية (٢٥) . وفي هذه المدة الريفية الجميلة كانت ولادتها سنة ١٩٠٠ ميلادية (٢٦) . والدي أعطاه جيذاً أن جسدنا الأخير الذي توفي ودفن في الحلة ، وأما لم أجاوز السابعة من العمر ، كان يحدثنا قبل وفاته عن الصقلوية وكانت لا تزال لديه بعض الصلات الزراعية مع أهلها .

(٢٥) الحلة مركز محافظة بابل حالياً (مركز لواء الحلة سابقاً) عدد سكانها حسب إحصاء ١٩٥٧ (٥٠٠٠ نسمة) تقع على مسافة ١٠٤ كيلومترات الى الجنوب من بغداد ، يشطرها نهر الحلة الى قسمين (غربي وشرقي) وهو المجرى القديم لنهر الفرات الرئيس . ولدى الحلة أهمية تاريخية لوقوعها بجوار بابل (المدينة الأثرية المشهورة) ، كان قد أسسها عام ٩٥٠هـ (١١٠١م) أحد أمراء الأسرة القزوينية في مكان يسمى الجامعين وذلك عندما هجر مركز أمارته في بلدة النيل القديمة فاقبضت في المحل الجديد مدينة سميت الحلة لأن بني مزيد حلوا فيها فصارت حلتهم ، ولا يزال موقع الجامعين يعرف باسمه القديم الى الآن . وكان طريق بغداد - الكوفة يمر بها فاهلته بالازدهار بسرعة واهتدت الى يومنا هذا مركزاً مهماً من الناحية التجارية ، وكانت الحلة في العقد الأخير من القرن التاسع عشر مركزاً للتصرفية التي كانت تشمل الديوانية والبطارية ، وبعد ذلك تقل مركز التصرفية الى الديوانية وبقي في الحلة مركز القيادة العسكرية .

(٢٦) ولدت يوم ١٠ سيوان سنة ١٣٦٠ من التقويم العبري يوم السبت الساعة الثانية عشرة والنصف في التوقيت العربي مساء . هذا ما وجدته مدونا في مذكرتي نقلاً عما دونه والدي . وهذا يصادف على ما شرجه الى أحد المعارض بالتقويم العبري يوم ١٠ حزيران ١٩٠٠ م . هذا مع العلم أن القليل من الناس من كان يهتم بتدوين تاريخ الولادات في تلك الأزمان .

٩ - حادث المفجع

قد يتصور القارئ لأول وهلة ان المقصود بالحدث المفجع هو موت قريب او فقدان أحد الأعزة ، اذ لا يوجد افجع من هذا الحادث بالنسبة لحياء الاسر ، ولكن لم يكن لا هذا ولا ذلك . فكن احداث افجع من الموت بالنسبة لعقيدة يهودية عاشت تحت كابوس احذر اليهود وتعصمهم ، ذلك الكابوس الذي يحمل الموت اخف وطأة من دخول وارث المدن اليهودي في دين عبر ديسه . نعم . فقد كان حادثا ملحما بالنسبة للأسرة بأسرها . وهذه خلاصة احداث : فقد فوجئت ذات يوم بغياب عمي شقيق والذي المدعو شاول الذي كان يسكن في بيت من حجر سابق اندار ومن غير أن يترك ايه معلومات عن سبب هذا غياب المذبح ، فكانت الوجوه تطلع بالحزن والقلق من يسبي عن حدث جليل . فقد كنت اصفي الى الامواه وهي تردد همسا واحسره طاعية عندها قولها : « به صار مسلما » . وهكذا غاب عمي عنا الى الابد واضعفت احبته . مع انه بلغنا على ما علمته من الامواه التي اصفي اليها انه ذهب الى الصقلانية حيث كان يقيم جدي وانتمج بالمحيط الزراعي الريفي بعد دخوله في الاسلام وغير اسمه .

لقد كان لهذا الحادث واما لم ابغ السابعة او الثامنة من عمري الانسراح العميق في نفسي ، فترك انطاعات وتساؤلات كانت بالنسبة لعقلي الصغير عفة حيرتني طوال السنوات التالية ، وستائرت بكل تفكيري واما اسائل نفسي : ما هو الفرق بين اليهودي والمسلم (لم اكن اعرف شيئا عن المسيحية) . ألم يكن روحي كلهم من المسلمين ؟ أم تكن كلها عربيا ؟ لماذا ، دن هذا الحزن والغلق ؟ فلا بد من سر عامض يجب أن اكتشفه : وادا صدق القول بأن ، احداث في الصغر هي التي ترسم مستقبل تفكير الانسان في حياته بما تحده من رواسب وعقد تسيطر على سلوكه طيلة حياته . فان هذه الاحداث طبعني في ذهني صورة ذلك الشهيد وقد طلعت نحني على اكتشاف هذا السر القامض وعلى ايجاد الاجوبة على تلك الاسئلة التي استتارت بتفكيري سنوات طويلا . ذي جانب واجباتي المدرسية صرت اقرا واقرأ واطالع الكتب التي تبحث في تاريخ الاديان وذلك عندما كنت في الجامعة الامريكية في بيروت ، وحتى بعد الحائني بكبيه الهندسة في امريكا تفرغت صيفية كاملة ودخبت دورة لدراسة تاريخ الاديان وعلم اللاهوت على أشهر استاذ في جامعة شيكاغو التي تسمى بمثل هذه المواضع التاريخية القديمة . وكان ذلك قبل أكثر من خمسين سنة (بالضغط سنة

(*) مع انه كانت هناك في الطلة عائلة مسيحية كان رجالها وكلاء لجهات اجنية يخدمون عراق السوس ويشحنونه للاستعمال في صنع بعض الطائرات في الخارج .

١٩٢٥-١٩٢٦) • ولما كانت هذه الدراسة تفضي بوجوب أعداد بحث في الموضوع، فقد اخترت موضوعاً بعنوان « الإسلام والمسيحية » ، فخطي هذا البحث برضى الاستاذ وشرح عليه (بحث - مسم باروحي الطيبة) • وقد ناقشته كطالب يكشف عن حقيقة الإسلام من دراسة مرقاه الكريم • وقد اخترت هذا الموضوع بالذات لأفهام انقاريء الأمريكى المسيحي حقيقة للإسلام وسامحه بنظراته الانسانية انسانية الى الديانات السماوية ، ونظراته الى انبياءهم نظرة تجلّة وتقديس وبخاصة السيد المسيح عليه السلام • وهذا كان أول بحث وضعت في موضوع الأديان وهو خارج نطاق موضوع دراستي الجامعية في الهندسة (٢٧) • صممت على اثره ان الإسلام هو الدين الحق الذي يجمع بين الديانات السماوية وهو مني على مبدأ الاسامي الذي يقوم على المساواة والتسامح والعظيمة فاخترته عن عقيدة ويمان ، ولكنني كنت ذلك عن عائلتي مدة لتجنب انزال مصيبة على العائلة تكون هي الثانية بعد ان طوى الزمن ذكرى الحادثة الاولى • لذلك لم أعلمها عن اعتماقي للإسلام الا بعد ان انتهيت من دراستي الجامعية وحصولي على الدكتوراه وعودتي الى الوطن ثم توظفت وبعد مدة قدمت استقالتني وذهبت الى مصر حيث قصيت حوالي اربعة اشهر مداوما في الازهر كهستيم ومتتبع ، وهناك أعلنت إسلامي بصورة رسمية في ٢٢ شعبان ١٣٥٥ المصادف ٧ تشرين الثاني ١٩٣٦ ، أي قبل أكثر من اربعين سنة • وقد وصعت هناك كتابي « في طريقي الى الإسلام » الذي طبع جزؤه الاول في مصر والثاني في العراق بعد عودتي الى الوطن حيث تم رجوعي بطلب من دائرتي التي أبدت حاجتها الى خدماتي للعمل في مشروع ري جديد • وهذه كلمتي في فاتحة الكتاب قلت : « الحمد لله رب العالمين ، على ان هديتني لدينك المين ، فادركت مقام فرقانك المحمدي ، ورايت فيه نور كلامك السرمدي ، ومنهاجك السوي ، أحسبك اللهم على أن ألهمتنني الروية والعقل ، وشنتني من حسوة الحيرة والجهل ، مما دلني على ينبوع الحقيقة ، وسلك بي الى نهر السليقة ، فارتشفت نطل ارشادك ماء الحياة الابدي ، وزهدت في التسابق الديوي ، فكان لي من الجرأة والاقدام للدخول في دينك القويم ، وسلوك صراطك المستقيم • وصلّ اللهم على عبدك ورسولك محمد بن عبدالله ، خاتم النبيين واسام المرسلين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه اجمعين ، فانيك نعم المولى ونعم النصير • » وبهذه المناسبة كتبت مقالا عندما كنت في مصر عن القصة الصهيونية نشر في عديد من مجلة الرابطة العربية لصاحبها أمين سعيد الذي توطنت بيني وبينه رابطة روحية اذ كنا نلتقي بين حين وآخر عند الامتاذ محبة الدين الخطيب (٢٨) •

(٢٧) انظر الفصل الاول : « الإسلام والمسيحية »

(٢٨) انظر الفصل الثالث : « القصة الصهيونية والروح العربية »

ومع اعترازي بالانتساب الى الدين الاسلامي (الحيثي) ، اني مؤمن بان هذه ارادة الله بان جعلني في خدمته على الصراط المستقيم ، فاقفتم حياتي لخدمة الاسلام والعروبة لذلك فان حبي للعرب ووطنتي اثاني (وادي الرافدين) معجون بلقي . فقد كان آخر كتاب قدمه للعالم العربي الاسلامي كتابي « العرب واليهود في التاريخ » الذي تبنت وزارة الاعلام العراقية طبعه سنة ١٩٧٢ واعيد طبعه مرارا وهو الآن قيد الطبع في طبعته الخامسة . ولا شك في ان وضع هذا الكتاب الذي يتطرق الى تاريخ الاديان وتاريخ العرب واليهود بالذات له دوافعه الخاصة التي ترجع جذورها الى عهد النضال . ثم التحقت كتاب « العرب واليهود في التاريخ » بكتاب آخر عن حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور ، طبع سنة ١٩٧٩ ، وكتاب عن حضارة وادي الرافدين صدر سنة ١٩٨٠ ، وفي يدي الآن بحث ضخم عن تاريخ حضارة وادي الرافدين ارجو ان يتم طبعه في آخر حياتي ان شاء الله .

واقف هنا لحظة لاثير نقطة حساسة تدور حول المذهب الذي اخذت به من مذاهب الاسلام الخمسة ، فكثيرا ما وجه الي السؤال : « انك اعلنت اسلامك ولكنك لم تعلن المذهب الذي احترته من مذاهب الاسلام فالي اي مذهب انتسبت ؟ » وهذا هو السؤال الذي يؤلف اهمية كبرى في وطننا . فاجوابي عن هذا : ان الاسلام واحد وان تعددت المذاهب . . فالاسلام هو الجوهر . وهذا ما درنته في كتابي « في طريقني الى الاسلام » (ص ٧٥ ج ١) قبل اكثر من اربعين سنة حيث قلت : « ان جوهر الاسلام في العراق المحمدي هو ثابت لا يتغير ، فانه كلام الله وسنته ، فلا يضاف اليه ولا يحذف منه (ولن تعبد لسنة الله تبديلا) . فلم يكن في صدر الاسلام مذاهب وفرق اد كان الاسلام صفوا من كل شائبة ، ان ظروفنا سياسية أدت الى انقسام المسلمين الى مذاهب ولكن هذا الانقسام لا يمس الجوهر بل قد يتناول بعض الفروع . فقد باعنت الفرق الاسلامية بين المسلمين وفرقت بينهم ، فوجد اعداء الاسلام في هذه التفرقة امضى السبل لاثارة واستغلال النزعات الطائفية وبذلك اضعاف الاسلام . هذا في حين ان المسلمين هم اليوم بأشد الحاجة من اي وقت مضى لتوحيد الصف والكلمة وتماسك الوحدة العربية الاسلامية . انا اقبل جميع الائمة على اختلاف مذاهبهم اذ كانوا وناضلوا وهدفهم السامي خدمة الاسلام والحفاظ على جوهره . ولحسن الحظ ان هناك عاملا قويا يجمع بينهم جميعا هو التمسك بالقرآن الكريم الذي لا يمكن ان يعرف ، ثم حب آل البيت وتكريهم ذلك الحب الذي يعد فرضا من مبادئ الدين الاسلامي ، وفي هذا الحب وفي هذا التكرم قصة غالية من نعم الله تجمع بين قلوب المسلمين على اختلاف آرائهم ونحلهم ، قصة يمكن ان تكون الاساس لفتح باب الاجتهاد

والإيمان على تكوين « اسلام بلا مذاهب » وهو المصان الذي احذره الدكتور مصطفى الشكعة بكتابه الجديد ، وهو يقول فيه « ان باب الاجتهاد يغذي الحياة العقلية والفكرية وان الاسلام بجوهره وتقاليد الاولي يساير ركب التطور والتقدم ولا يجالها او يصد عنها » . ويضيف الى ذلك قوله : « وباب الاجتهاد عند الاثنا عشرية لا يزال مفتوحا وللمجتهد ان يبدي رأيه وان يؤخذ به ما دام متفقا مع الكتاب والسنة متمشيا مع المعقول ، والا فلا قيمة له ان كان به ميل او شطط » . (٣٩٥)

وفي موضوع اتحاد المسلمين يقول الامام المغفور له الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في الميثاق العربي الوطني : « ان اهم واجبات المسلمين اليوم الاتفاق والوحدة وان يصهروا الطائفيات والاقليميات بينهم حتى تذوب وتتلاشى ويكونوا سبيكة واحدة » . فالواجب الاكيد على جميع المسلمين ان يلتفتوا حول راية الاسلام ويكونوا قلبا واحدا ويدا واحدة ولا يتركوا مجالا للحزابات الطائفية والخلافات المذهبية في نفوسهم » . ثم يضيف الى ذلك قوله : « ان من شهد على نفسه ، واعترف بان احدا من البشر او غيرهم من الانسة او غيرهم انه هو الاله او شريك مع الله في الربوبية ، او هو الخالق والرازق او اظهر البغض والعداء لأهل البيت والنصب لهم فهو كافر وان اظهر الاسلام فالاسلام بريء منه » . والاهم من كل هذه العوالم انضمام الجميع تحت راية (لا اله الا الله محمد رسوله) والاعتصام بحبل الاسلام » .

ان الاسلام دين سمح يتميز عن بقية الاديان السماوية بسعة الصدر في تقبل البحث العلمي واختلاف الاجتهاد فيه ، فما دام رائد المجتهد خلة الدين منه ان يتبع لمدرسة الفكرية التي يربصها لنفسه ما دام غير خارج عن المقائد الاساسية للدين . لذلك فعلى علماء الدين تقع مسؤولية التقريب بين المذاهب الاسلامية للقضاء على ما بين ابناء المذاهب من تباعد ، فهناك جمعية في القاهرة تعمل على اتقريب بين المذاهب ، ويدا جيدا لو اتسع نطاق عملها بتأسيس فروع لها في الاقطار الاسلامية الاخرى للمتعاون على العمل بقوله تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) (ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) . فالاسلام كما يقول احد كبار رجال الفكر الاسلامي « يحتاج الى علماء يدرسون الدين الاسلامي من مناهج الصافية وفي الوقت نفسه يعرفون التيارات الفكرية والاجتماعية الحديثة فيطبّقون الدين الاسلامي على واقع الحياة الحديثة » .



التصوير رقم (١٨) - الامام المظفر له الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في العلة
يعيط به وجوه البلد (انظر الفقرة ٩) .

وما المؤتمر الاسلامي الذي اقامته طائفة البهرة في الهند في نيسان ١٩٧٥
الا دليلا على اهتمام المسلمين بهذه الناحية ، فقد ضم هذا المؤتمر علماء من
جميع انحاء العالم الذين يمثلون جميع الطوائف والمذاهب الدينية في مصر ،
والكويت ، ودولة الامارات العربية ، وسورية ، ولبنان ، والعراق ، والاردن ،
واليمن ، وليبيا ، وتونس ، والمغرب ، والجزائر ، وايران ، وكينيا ،
والمملكة المتحدة ، وباكستان ، وسيلان ، وتانزانيا ، والولايات المتحدة ،
وفرنسا ، وسائر انحاء جمهورية الهند يتقدمهم شيخ الجامع الازهر الدكتور
عبدالحليم محمود ، وتحدث وفود المؤتمر في كثير من الامور التي تشغل العالم
الاسلامي وفي مقدمتها قضية العرب الكبرى فلسطين والاحتلال الصهيوني
للاراضي العربية . وكانت المحاضرات والمناقشات كلها تدور حول الوحدة التي
تشمل العالم الاسلامي شرقه وغربه ، وانفقوا جميعا على تدعيم ونشر الفقة
العربية في البلاد الاسلامية ووضع منهج للدعوة الاسلامية يتماشى مع التطور
الاقتصادي .

ولنعد الآن الى الموضوع الذي نحن بصدده ، اي موضوع المذهب السني

انتميت اليه فاقول : لقد اعلنت اسلامي في مصر ولم يطلب اليّ سوى النطق بالشهادتين كما هو مدون في الاعلام الشرعي الصادر من محكمة مصر الابتدائية الشرعية . ولكن هناك ناحية مهمة لا يسعني اغفالها او تناسيها فانا ابن المحيط الذي نشأت فيه وقد عرفت فيه منذ الصبا المذهب الجعفري (الاثنا عشري) الذي يدين به ابناء بلدتي ، فاصبح هذا المذهب جزءا من تكويني العقلي والمكري ومن واجبي تقبله والاخذ به لما يتسم به هذا المذهب من حب آل البيت ، ذلك الحب الذي تتفق جميع المذاهب على التمسك به كفرض من فروض المبادئ الاسلامية ، فكنت أشعر حين أسلمت بأنّي وارث للمذهب الجعفري من المجتمع الذي نشأت في وسطه شأني في ذلك شأن من يرث مذهبه عن آيائه واجداده . وهناك ناحية أخرى لا تقل أهمية وهي أن هذا المذهب يفتح باب الاجتهاد ويمكن في هذا المجال السبيل الوحيد الذي يمكن أن يؤدي أو يساعد على تحقيق ما ورد في شعار الدكتور مصطفى الشكعة ، أي شعار « اسلام بلا مذاهب » فما أجله من شعار لو تحقق ..

والآن قبل أن أتطرق الى نشأتي ودراستي رأيت من المفيد أن اعرض موجزا لتاريخ اليهود في العراق القديم ، فهذه صفحة مظلمة من تاريخ المراق القديم قل من تناولها بالبحث العلمي الدقيق وكشف عن حقائقها ، لأن اليهود احتكروا لأنفسهم البحث في كل ما يتعلق بتاريخهم وتاريخ الاقوام الذين اتصلوا بهم عبر الزمن الطويل ودونوه بحسب ما حلا لهم هواهم وقد قبل العالم كل ما دونوه ونشروه من غير تمحيص او تدقيق ، وبذلك يكون هذا الموجز في تاريخ يهود المراق القديم قد جمع بين ترجمة الحياة وبين دراسة جانب مهم من تاريخ المراق القديم . وامي اعتقد بأن قد حان الأوان لينتبه المسلمون والصرب الى الاحداث التاريخية العلمية فيعملون على اظهارها على حقيقتها وتفنيد الاساطير التي اتخذها الصهيونيون حجة للمطالبة بحق موهوم في فلسطين العربية بعد ان قبل الباحثون هذه الاساطير على اختلاف نحلهم ومذاهبهم على علاقتها دون تمحيص او تدقيق . ومن جملة هذه الاساطير الموروثة التي اظهرت الاكتشافات الاثرية الحديثة خطئها ادعاء اليهود بأن تاريخهم يرجع الى ما قبل اربعة آلاف سنة قبل الميلاد حين نزحوا من المراق الى فلسطين مع ابراهيم الخليل (ع) . لذلك ارى ان من واجب الجامعة العربية او منظمة التحرير الفلسطينية ان تعقد مؤتمرا علميا يحضره كبار المؤرخين في العالم وكبار رجال الدين الاسلامي ولا بأس في دعوة علماء واختصاصيين في الآثار والتاريخ القديم من جميع المنابر للتوصل الى الحقائق التاريخية في هذا المال ونشر ما يقررونه في هذا الصدد على العالم اجمع ، وبذلك يجري تصحيح المفاهيم المخلوطة التي كان ولا يزال الباحثون يرددونها باعتبارها حقائق تاريخية مما مكن الصهيونيين ان يخلصوا

بها الرأي العام العالمي ويستغلونها في تدعيم حق موهوم في أرض العرب •
فالى القسم الثاني الذي يتناول هذه الناحية التاريخية التي تتصل اتصالا
وثيقا بشطر مهم من حيالي الفكرية •

القسم الثاني

تاريخ يهود العراق القديم

(١) لقد مرّ تاريخ اليهود في العراق
 القديم بثلاث مراحل : تمثل المرحلة
 الأولى اقدم وجود لهم في شمالي العراق
 حين جاء الآشوريون بهم أسرى إلى آشور
 وعلم ترجع إلى أواخر القرن الثامن
 قبل الميلاد ، ثم تليها المرحلة الثانية حين
 جاء الكلدانيون بهم كآسرى أيضا إلى بابل
 في أوائل القرن السادس قبل الميلاد .
 أما المرحلة الثالثة فهي ترجع إلى صدر
 الإسلام حين نزحت قبائل العرب
 المتهودة من جزيرة العرب في عهد الخليفة
 عمر (رضي) إلى العراق وسورية في
 القرن السابع للميلاد أي بعد ظهور
 المسيحيين من العهد الآشوري والكلداني
 في العراق بحوالي ألف وأربعمائة سنة ،
 وقد جاؤا بصفتهم القبائلية العربية ومعهم
 مقتنياتهم ومواشيهم واستقروا في منطقة
 الفرات الأوسط حيث اندمجوا بالسكان
 العرب ، وهم عرب مثلهم ، فاعتنق
 أكثرهم الإسلام وبقي القليل منهم على
 يهوديته . «

- ١ - تمهيد . ٢ - أقدم وجود لليهود في شمالي العراق . ٣ - اليهود في الأسر في
أسود . ٤ - اعادة هدايت في أسود . ٥ - بلقاء يهود كردستان العراق وتهجيرهم الى
إسرائيل . ٦ - اليهود في الأسر في بابل . ٧ - هجرة اليهود العرب من جزيرة العرب الى
الفرات الأوسط . ٨ - اليهودية في جزيرة العرب . ٩ - هجرة يهود الجزيرة . ١٠ - صلة
يهود جزيرة العرب بـ فلسطين . ١١ - الخلاصة . ١٢ - تهجير يهود العراق .

ان تاريخ يهود العراق القديم صفحة مظلمة من تاريخ الحضارة البشرية
جميعاً ، أفصح اليهود بطمس حقيقتها أكثر من الذين وخمسائة عام ، اذ درنوا
في الأسر في بابل تاريخاً زائفاً لأصل اليهود ونسبهم وصنعتهم بالأقوام الأخرى
وبالعالم القديم وفق أهوائهم ورغباتهم الدنيوية ونزعاتهم الدينية ، وقد قبل
العالم كله هذا الزيف وظل الباحثون والكتاب يرددونه وكأنه حقائق تاريخية ،
حتى ظهرت الاكتشافات الأثرية الحديثة فكشفت لنا زيف الادعاءات اليهودية
كحقهم في أرض العرب وما الى ذلك من ادعاءات وهمية لا تستند الى أي سند
تاريخي . وهذه المدونات المكتشفة تسجل أحداثاً بلغات الأقوام القديمة ، وقد
عاصرت تلك الأحداث ذاتها ، كـ السومريين والأكديين والكمانيين - الفينيقيين
والمصريين والحيتيين والبابليين والآشوريين والكلدانيين وذلك قبل تدوين السورة
بعدة قرون .

لقد ادعى اليهود فيما ادعوه بأن تاريخهم يرجع الى عهد إبراهيم الخليل (ح)
الى ما قبل أربعة آلاف عام قبل الميلاد وأنهم صرحوا معه من العراق الى
فلسطين وكان عددهم أربعة آلاف نسمة (١) . وهكذا ربطوا نسبهم وأصلهم
بإبراهيم الخليل (ع) وبالعراق على اعتبار أن العراق كان موطنهم الأصلي الذي
هاجروا منه ، في حين أن المعلومات التي تركها لنا الأقدمون وأقربائنا التاريخيون
لا تقر هذه الادعاءات . فان آخر ما توصل اليه العلماء في ضوء المصادر المتوفرة
لديهم أن إبراهيم الخليل (ع) ظهر على مسرح الأحداث في القرن التاسع عشر قبل
الميلاد وليس أربعة آلاف سنة قبل الميلاد (٢) . كما حدد تاريخ ظهور اليهود

(١) انظر كتاب سولوف بعنوان « كيف نما الشعب اليهودي » وعنوانه بالانكليزية :
Mordecai I Soloff, "How the Jewish People Grew Up".

انظر أيضاً : « تاريخ اليهود كما يلقته الصهاينة لابنائهم » بقلم شريف يوسف ، مطبعة

العربي الكويتية ، العدد ١٠٨ ، تشرين الثاني ، ١٩٦٧ ، ص ١١١-١١٢ .

(2) W. Keller, "The Bible as History", p. 69; R. de Vaux, "Les Patriarches Hébreux et L'Histoire", Revue Biblique, 72 (1965), pp. 5-28.

في العراق لأول مرة بأواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع من الميلاد . وحدث حينئذ هاء لاشوريون بهم أسرى إلى بلاد آشور في شمال العراق . ومفصلاً عن ذلك أن أسوراء دلتها يؤكد بكل وصوح أن إبراهيم الحنبل ع هاجر من العراق بعمره ولم يكن لليهود وجود في العراق في عصره ، وذلك بدلالة ما يلي .

١ - أن دعوة الرب لإبراهيم الحنبل (ع) كانت موجهة إليه بعمره وهي أن يهجر أرض العراق مذهب ومعه ساراي زوجته ولوط أبي أخيه (٢٣) . فإين هم الأربعة آلاف يهودي الذين قادهم إبراهيم الحنبل ع إلى أرض كنعان ؟

٢ - أن يعقوب حفيد إبراهيم الحنبل (ع) الذي هو إسرائيل يصف نفسه وحده ارم بالارامي (المائة) (٢٤) ، فكيف يكون إبراهيم واسحق ويعقوب آراميين ويهوداً ؟ ثم لو كان إبراهيم (ع) قد قاد اليهود وعددهم أربعة آلاف نسمة كيف يكون آرامياً تأثراً بحسب وصف حفيده يعقوب له ؟

٣ - لو كان هناك يهود قادهم إبراهيم (ع) إلى أرض كنعان علا كان بإمكانه أن يزوج ابنة الوحيد من إحدى بناتهم وتقر عيشه بدلا من إرسال عبده إلى ارم السهرين أبي عشرينه ليأخذ زوجته به منها (٢٥) . وكذا هل من استحق عندما أوصى ولده يعقوب بأن يذهب إلى حاران ليأخذ به زوجة من هناك (٢٦) .

ولم يكف اليهود بأن اعتبروا العراق وطنهم الاصلي بل دبطوا تاريخهم القديم بحزيرة العرب بدعوة أن اليهود هاجروا من فلسطين إلى جزيرة العرب بعد شريدهم على يد الرومان في القرن الاول للميلاد . وعلى هذا الاساس اعتبروا شبه جزيرة العرب ارضا يهودية طوال التاريخ الى درجة أنهم اعتبروا عور لاردن يفصل أرض إسرائيل الشرفية عن العربية . هذا ما يلفتونه لطلاب احيل احديده من عرب ويهود في كتبهم المدرسية في « إسرائيل » (٢٧) هل من أحد رد على ذلك وأوضح ما شبه المصادر الساريجية من أن يهود جزيرة العرب كانوا عربا تهودوا وهم في ديارهم وبما محافظين على توميسهم ولغتهم العربية من غير أن تكون لهم أية صلة مع يهود فلسطين (٢٨) .

(٢٣) تكوين ١٢ : ١ : ٢٤ : ٥٤ .

(٢٤) تثنية ٢٦ : ٥ .

(٢٥) انظر الإصحاح ٢٤ من سفر التكوين .

(٢٦) تكوين ٢٨ : ١-٢٨ .

(٢٧) « إسرائيل معالم البلاد وجرانيتها » للصف الثامن ، ص ١٢٧ ؛ « جردا حفاة

والياس ذابال » « التاريخ » للصف الخامس ، ص ٢٠٠ .

(٢٨) انظر ما يلي في ذلك

٢ - اقدم وجود لليهود في شمالي العراق

ان اقدم وجود لليهود في العراق يرجع الى عهد لامراطورية الآشورية
الآخرة التي دامت حوالي ثلاثمائة عام من سنة ٩١ و٦٢٦ ق.م. وقد
كان لقيامها اثر في تغيير وجه الشرق . عهد حكم في حلال هذه الفترة حسنة
عشر ملكا بلغت الامراطورية في عهد بعضهم اوج عصبها واتساعها بحيث صمم
جميع اراضي الهلال الخصيب ومن ضمنها مصر . وقد لعبت دور رئيسيا في
اقتضاء على مملكة اسرائيل يهيا ونحطيم مملكة يهودا وسبي سكان اليهود
الى اماكن جبلية بعيدة في بلاد آشور (متفق كرددسان في عراق واسرا
وبركيا) وأحلوا محلهم اقوام من مختلف أنحاء الامرصوره الآشورية . عهد
تكن شلمنصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ ق.م.) من احصاع لاراميين واميسيين
واسرائيل . ثم قام الملك تحلات بلاشر الثالث (٧٢٦-٧٢٧ ق.م.) بحملة على
مملكة اسرائيل واستولى على اراضيها ما عدا السامرة وصممها في آشور وحمل
سكانها اليهود الى الاماكن الحسية النائية من المملكة وأحل محلهم سكان من
اقاليم أخرى . كما جرد خلعه شلمنصر الخامس (٧٢٧-٧٢٢ ق.م.) حمله
تأديبية على اسرائيل فحاصر عاصمتها لسامرة مدة ثلاث سنوات وقبل ان يظهر
بالنصر النهائي وافته المنية في الشهر العاشر من عام ٧٢٢ ق.م. ولكن انعائد
الآشوري اثم مهمته باحتلال السامرة في نهاية العام على عهد سرجون الثاني
(٧٢٢-٧٠٥ ق.م.) ، وبذلك تم اقتضاء على مملكة اسرائيل نهيا . وسما للحطة
التي سار عليها تحلات بلاشر الثالث اجلى سرجون الثاني يهود السامرة البالغ
عدهم ٢٧٢٩٠ نسمة الى المناطق الحلية في مملكة آشور وقد حل محلهم
اقواما من اقاليم أخرى (٩) . وفي عهد سرجون (٧٠٥-٦٨١ ق.م.) حلف
سرجون قام هذا الملك سنة ٧٠١ ق.م. بحملة على مملكة يهودا واستولى على
ست واربعين مدينة من مدنها الحصنة واحد من اليهود ماثي اعب اسمه الى
اماكن جبلية بعيدة ايضا وأحل محلهم اقواما أخرى (١٠) وقد ورد في الاخبار
ان بعض هؤلاء الأسرى سيق الى أرمينية (١١) . ومع ان اورشليم لم تسقط الا
ان الجيش الآشوري ترك البلاد حرا ولم يسقط ملك يهودا الاحتفاظ بعرشه
الا بعد دفع الجزية واعترافه بسيادة الآشوريين .

٣ - اليهود في الاسر في آشور

كانت سياسة الآشوريين ان يشنتوا السايان في عدة اماكن نائية معزلة
لكي لا يتيسر لهم التجمع في مكان واحد والتكفل فيه على امل العودة الى

(٩) ٢ ملوك ١٨ : ٩-١١ ، ١٧ : ٦ .

(١٠) ٢ ملوك ١٨ : ١٢-١٥ ، ١٧ : ١٩ ، ٢٦-٢٥ .

(١١) J. Neuenen, "A History of the Jews in Babylonia", III p. 338.

المناطق التي أحلوا منها . وهكذا فقد أبعد الآشوريون سبائياهم من اليهود من مملكتي إسرائيل ويهوذا إلى المناطق الجبلية المنعزلة في كردستان العراق وتركيا وإيران ضمن حدود الامبراطورية الآشورية وأحلوا محلهم اقواما أخرى من اسباط الامبراطورية حتى اختفت أخبار هؤلاء الماسوريين ، فسماهم الباحثون الاساط المعقودة (The Lost Tribes) ، وصار يعتقد الرهبان اليهود في بابل فيما بعد أنهم اندمجوا بمحيطهم الوثني واخذوا بالوثنية ديانة أهل المنطقة التي حلوا بها . والمعروف في لتقاليد اليهودية أن هذه الاساط المعقودة هم الاساط اليهودية العشرة من مجموع الاثني عشر سبطا .

أما الأماكن التي نقل الآشوريون اليهود المسيحيين إليها ، فهي منطقة كردستان الواسعة وهي تقع اليوم ضمن حدود العراق وتركيا وإيران . وقد تعتمد الآشوريون توزيعهم على هذه المناطق الجبلية النائية للحيلولة دون تكتلهم في مكان واحد ومحاولة رجوعهم إلى مناطقهم التي أجلوا عنها ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك . فقد ذكرت التوراة المناطق التي نقل اليهود إليها في زمن كل من تجلات بلاشر الثالث وسرحون الثاني وهي : « حلف » و « خابور نهر جوزان » و « هارا » ومدن مادي لايراية (١٣) . وتقع المواقف الثلاثة الأولى في منطقة حوضي الخابور والبليخ عند منابعهما ، فتحلف كلمة آشورية على الأرجح لا يعرف معناها وهي اسم لمقاطعة في آشور قرب « تل حلف » (١٤) في حوض نهر الخابور . أما « جوزان » فهي « جوزانا » عاصمة إمارة بعياني الأرامية وتقع عند « تل حلف » وقد كشف في هذا الموضع عن آثار قصر فخيم لأحد الملوك الآراميين كان يدعى « كپارا » (Kapara) يرجع إلى أوائل القرن التاسع قبل الميلاد (١٥) . وأما خابور فهو اسم اكدي ولفظه في العبرية « كمار » ، وهو النهر الذي أطلق عليه اليونان « خابوراس » ويحري على مقربة من نصيبين في أعالي بلاد ما بين النهرين ويصب في نهر الفرات ، وقد سمته التوراة « خابور نهر حوران » لتمييزه عن نهر خابور آخر في منطقة بابل . وأما « هارا » فهي « حاران » (حاران حاليا) (١٥) . ويرى البعض أن المدن

(١٢) ١ أخبار ٥ : ٢٦ ، ٢ ملوك ١٧ : ٦ ، ١٨ : ١١ ، ١٩ : ١٢

(١٣) تل حلف تل آري يقع في شمال سورية على بعد خمسة كيلومترات جنوب غربي رأس الصحن قرب منبع الخابور ، يرجع تاريخه إلى الحقبة المتأخرة من حوالي سنة ١٨٠٠ إلى سنة ٢٠٠ ق.م. وتحتل آثار تل حلف عمرا من العصور الثقافية التاريخية يتميز بها . وقد سماه علماء الآثار بصر حلف وهو أول ادوار العصر الحجري المعدني يتميز به من بقية الادوار التاريخية . وقد أصبحت منطقة تل حلف في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد ضمن دولة ميثاني العورية ، لم اخذ الآراميون موضع هذا التل في القرن العاشر قبل الميلاد لبناء عاصمة لأحدى ممالكهم المسماة بيت بعياني عليه كانت تسمى «جوزانا» .

(14) G. Roux, "Ancient Iraq", p. 249.

المادية التي نقل اليهود اليها هي منطقة همدان وما جاورها من القرى ، بينما يرى البعض الآخر انها منطقة نهاوند وما جاورها من القرى (١٦) . وتفيد المصادر التاريخية ان الآشوريين بعثوا البعض من اليهود المسيحيين الى ارمينية او الى حدود ارمينية (١٧) .

وقد كوّن اليهود المسيحيون في حال كردستان لهم قرى بين السكان الاكراد في المنطقة وبقوا منعزلين عن يهود فلسطين واليهود في البلاد الاخرى الذين كانوا يعتقدون بانهم اندمجوا مع السكان الوثنيين وصاروا الى الوثنية ، فقلّسوا الاكراد في نمط معيشتهم حيث صاروا يدرسون الاعمال الحرفية الزراعية وتربية المواشي تحت حماية رؤساء القبائل الكردية ويؤدون الحزبة لهم .

ومن المهم ذكره في هذا الصدد ان هذه الجماعات من اليهود المسيحيين في شمالي العراق ، على الرغم من مرور ٢٨٠٠ سنة على دحوهم العراق ، كانوا على اثر تحريرهم الى «اسرائيل» مؤجرا في حوادث فلسطين الاخيرة لا يزالون يتكلمون بلغتهم الاصليه ، هي اللهجة الارامية القديمة التي كانوا يتكلمون بها عند سبيهم الى هذه المناطق الكردية وهي نفس اللهجة التي كان يتكلم بها السيد المسيح . وكانت تعرف هذه اللهجة بـ «لترجوم» وقد سميت كذلك لان الاحبار اليهود ترجموا العهد القديم من العبرية الى هذه اللهجة فسميت بالترجوم ، ويقصد بها الفرع الغربي من مجموعة اللغة الآرامية الذي كان يستعمل في منطقة فلسطين واليهما .

وتدل العرائن التاريخية المدعومة من الباحثين على ان الاكثية الساحقة من هؤلاء اليهود المسيحيين صلبوا الى النصرانية بعد ظهور اديان المسيحية على يد المبشرين المسيحيين واليهود المتصرين ثم اخذوا بالذهب النسطوري وحافظوا على تعاليم هذا المذهب وطقوسه الكنسية بنفس اللغة التي كانت تمارس فيه هذه الطقوس قبل أكثر من اربع وثمانمائة عام ، وهي اللغة المعروفة اليوم

(١٥) «حاران» مدينة قديمة لا تزال تعرف باسمها القديم «حاران» وموقعها في الشمال الشرقي من بلاد ما بين النهرين في جوار الحدود التركية داخل حدود تركيا على منابع نهر البليخ ، أحد بؤائد الفرات الأوسط ، بعد حوالي اربعين كيلومترا من مصب البليخ في نهسر الفرات . كانت مركزا لأحدى الدويلات الآرامية ، كما كانت مركزا هاما على الطرق التجارية الرئيسية بين العراق وسورية وفلسطين ، وهي المدينة التي توجه اليها ابراهيم الخليل (ع) بعد خروجه من اود الكلدانيين في طريقه الى كنعان وقد ورد ذكرها في التوراة باسم (حاران) و(هاران) .

(16) Neuser, op. cit., II, p. 241.

(17) Ibid., III, p. 339.

بالسريانية ، وقد ساعدتهم على ذلك ازواجهم في جبال كردستان المسيحية (١٨) .
أما الناقور على اليهودية وهم منه فبقوا في أماكنهم إلى حاسب المنصرين من
أحوالهم محاطين على نبتهم العديدة (١٩) ، وهي نفس اللغة التي يتكلم بها
النساطرة مما يدل على أن كليهما يرجع إلى أصل واحد .

هذا هو الوحود الأول لليهود في العراق ويرجع إلى القرن الثامن قبل
الميلاد كما سبقت الإشارة إلى ذلك . ويؤيد الباحثون بقلا عن اليهود الأكراد
أنفسهم بأنهم أحفاد اليهود الذين سباهم الآشوريون (تجلات بلاشر الثالث سنة
٧٣٢ ق.م. ، وسرحون الثاني سنة ٧٢٢ ق.م. وسينحارب سنة ٧٠١
ق.م.) (٢٠) . وقد أيد ذلك بياضين لتطيلي الذي رار مطقة كردستان في
القرن الثاني عشر للميلاد ، فقال في كلامه على يهود العمادية في المنطقة الجبلية
من شمال العراق : « بقيم بها نحو خمسة وعشرين ألف يهودي وهم جماعات
منتشرة في أكثر من مائة موقع من جبال خفتيان عند بحوم بلاد مادي (إيران) .
ويهودها من بقايا أجليه الأولى التي أسرها شمنصر ملك آشور (٢١) ويتفاحون
بلسان الترجوم وسهم عدد من كبار العلماء . والعمادية على مسيرة يوم من
بحوم بلاد العجم يؤدي يهودها الجرية للمسلمين شأنهم شأن سائر اليهود

(١٨) أن ملهب النساطرة فرع من المسيحية ظهر إثر حدوث انشقاق مذهبي واسع في الكنيسة
المسيحية في الشرق سنة ٤٣١ م . ولم يقتصر هذا الانشقاق على النسطورية بل شمل
فرعا آخر وقع سنة ٤٤٨ م هو اليعقوبية الناثلة للنسطورية . والنسطورية نسبة إلى
معتنقها سطوربوس بطريرك القسطنطينية الذي تنص تعاليمه إلى أن السيد المسيح
شخصيتين منفصلتين (القنومين) : اقنوم الإنسان يسوع واقنوم الله ، ولا يجوز أن
تسمى مريم العذراء أم الله بل هي بشر ولدت المسيح بالشفعية البشرية وأن المسيح
مات على الصليب كإنسان . وقد انتشر هذا المذهب على عهد الإمبراطورية الساسانية
في العراق وفي الجزيرة العربية وفي إيران ، وقد امتدت تعاليمه إلى كردستان والهند
والصين . أما اليعقوبية نسبة إلى معتنقها يعقوب البرادي مطران الرها ، فتقسم
الجماعة الذين لا يرون بغير طبيعة واحدة في شخص السيد المسيح وهم بطرسون
طقوسهم الدينية بنفس اللغة السريانية التي يستعملها النساطرة في طقوسهم . وقد
انتشر هذا المذهب بين الألباط والاهباش والأرمن .

(١٩) انظر :

A. Grant, "The Nestorians or the Lost Tribes", N.Y., 1941; J. Neusner,
op. cit., III, pp. 15-16.

(20) Neusner, op. cit., I, p. 59, n. 1, p. 62, n. 1.

(٢١) الظاهر أن المقصود هنا هو شمنصر الخامس الذي حكم آشور بين سنة ٧٢٧ و٧٢٢ ق.م.
وهو الذي قام بعمله على إسرائيل .

المسيحيين في الديار الإسلامية وقدرها ديار أميري دهباً ٠ ٠ (٢٢)

٤ - اماره حدياب في آشور

ومما يذكر في هذا الصدد ان هناك اماره واسعه في منطقة آشور العديده اردهرت في القرن لاول بعد الميلاد وهي نفس اسطفه التي نقل اليها اليهود المسيحيون (الاسباط العشرة) من ومن الآشوريين ، تدعى « اماره حدياب » (Adiabene) في المصدر الكلاسيكية وبالعربية « حرة » ٠ وكنت هذه الامارة في اول الامر محصورة بين السرايين لاعلى والاسفل عندما ظهرت في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد ، ثم استمرت في النمو ولازدهار حتى بلغت اوج اتساعها وتعام استقلالها في اقرن الاول الميلادي وسرع بعودها وبسطت سلطانها على منطقة نصيبين وحراب ومردين وشملت حراً من بلاد ارمينية ، كما ان من ارجع عبد الباحثين ان نفوذها شمل مدينة حصر العربية ايضاً ٠ اما عاصمة الامارة فكانت مدينة اربيل ٠ وكنت هذه الامارة تابعة للامبراطورية الفرثية (٢٤٧ ق.م - ٢٢٦ م) الواسعة ٠ ولما كانت هذه الامبراطورية تتألف من اقاليم او امارات شبه مستقلة مع ارتباط ببيتها بالملك الفرثي في عاصمته طيمسون فكانت اماره حدياب من بين الامارات المهمة التي تمتعت بقسط وافر من الحكم الذاتي وخاصة في عهد فرهادس الثاني (٦٩-٥٧ ق.م) وابنه درود الثاني (٥٧-٣١ ق.م) ، حيث كانت الشازعات بين ملوك اسلالة الفرثيه فيما بينهم من جهة وحروبهم مع الرومان وملوك ارمينية من الجهة لآخرى قد مهدت لسبيل لاقاليم تابعة للامبراطورية الفرثيه ان تزداد نفوذا واستقلالاً فحققت ملكه حدياب في القرن الاول الميلادي استقلالاً تاماً بصرف في عهد ملكها « ايزاط » ٠ وكان « ايزاط » معاصراً للملك الفرثي ارطبان الثالث (١٢-٣٨ م) واكثر ملوك شهرة فكان مقرباً للملك الفرثي وتال عنده حظوة كبيرة لانه ساعده في استعاده عرشه من الامراء الفرثيين المذاعين فوجهه مقابل ذلك منطقة نصيبين وجرأ من ملكه ارمينية ٠ وتبعد الاخيار ان جنود المسيحية قد تمركزت في قديم حدياب منذ اوائل القرن الثاني للميلاد انر غزو تراجان للمملكة الفرثية سنة ١١٥ او ١١٦ م وذلك كما يؤكد التقويم الاربللي (٢٣) ٠

٥ - بقايا يهود كردستان العراق وتهجيرهم الى « اسرائيل »

لقد كان بقايا يهود كردستان العراق قبل تهجيرهم الى « اسرائيل » اثر حوادث فلسطين الاخيرة منتشرين في المدينة واعقر ودهوك وراخو والزيبار ورواري العليا والسفلى والمزوري والدوسكي ، وكانت لهم قريتان محتصتان

(٢٣) رحلة بنيامين ١ ص ١٥٤

[23] Neuner, op. cit., III, p. 354.



مخطط رقم (٢) - خارطة بين منطقة حدياب في شمال العراق ومنطقة بابل اللتين سبي لهما اليهود في زمن الاشوريين والكلدانيين (الفترة ٤)

هم وحما « صندور » في منطقة دهوك (٢٤) و « بيت النور » (بي تنور) في برواري العليا وكثير منهم في قرية براش ويمتهنون الفلاحة والبستنة وتربية المواشي ، ومنهم من يعمل بالصياغة والتجارة والصناعة والحياكة . وكان لهم كمينان في العمادية فوق القلعة واخرى في صندور وراية في بيت النور ، ولهم مزار يدعى « ابن حران » داود بن يوسف بن المرام المتوفى حوالي سنة ١٠٣٠ هـ (١٦٢٠ م) والى جاسه ضريح زوجته « لست نعاد » قرب الكيس في العمادية ويدعون انه من اوليائهم . وفي سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) كان عدد اليهود في شمال العراق حوالي ثلاثة عشر الف نسمة اسقطوا جسيبتهم العراقية وهاجروا الى « اسرائيل » (٢٥) . (انظر التصوير رقم ١٩)



التصوير رقم (١٩) - أحد الرماة اليهود في شمال العراق قبل هجرتهم الى «اسرائيل» وهم من بقايا النسي الاشوري

(٢٤) يقول الدكتور هنري فيلد الذي قام بدراسة اتنولوجية ليهود شمال العراق ان شيوخ بلدة صندور اليهودية قد اكدوا له ما تناقلوه عن اجسادهم من ان اصلهم من يهود فلسطين الذين نفيهم الاشوريون في زمن سنجاريب ملك آشور الى جبال كردستان العراق وايران ، وهم مساكنون في قربتهم منذ ذلك الوقت لم يتركوها الا في عاشرين حين اجبرتهم بعض القبائل الكردية على مغادرتها بصورة رقية . ويذكر الدكتور فيلد ان يهود هذه القرية يحفظون صلواتهم على ظهر قلب بالعبرية من غير ان يلمحوا منها ، ولم يتزوجوا طيلة مدة سكناهم في هذه المنطقة الا من بين طائفتهم اليهودية الكردية وهم لا يملكون اللحم الذي لا تتوفر فيه الصفات التي تليها عليهم ديانتهم . انظر :

H. Field, "The Anthropology of Iraq", Part II, No. 2, Kurdistan, Vol XLVI, 1952, pp. 71-72

(٢٥) مطوف محمد ناصر العباسي ، « امارا يهوديان العباسية » ، الموصل ، ١٩٦٩ ،

وكن الصهيونيون بحرصون كل الحرص على تهجير هؤلاء اليهود الى «إسرائيل» من دون نية اليهود في العراق ، وذلك لكونهم أصحاب الحسم يستهون برعاية واستترة وتربية المواشي ، فهم يصنعون أكثر من اليهود الآخرين كإباد عاملة في الحقل . وبصلا عن ذلك فهم لا يزالون متمسكين بديانتهم الأصلية ولا يخشى منهم مشاركة العرب في شعورهم القومي نحو القضية الفلسطينية لأن لهم الثانية بعد اللغة الآرامية الأ، هي الكردية . وقد افلح الصهيونيون في تهجيرهم كلهم الى «إسرائيل» بالاتفاق مع الحكومة العراقية القائمة آنذا تحت ضغط وبهديد متعمدين ومصطنعين ، وذلك استنادا الى القرار الذي اتخذه مجلس الوزراء في ١٩٥٠/٣/٩ والذي ينص على إسقاط الجنسية العراقية عن اليهودي العراقي الذي يرغب في ترك العراق نهائيا . وترجع فكرة تهجير يهود كردستان الى فلسطين الى ما قبل الحرب العالمية الاولى ، فقد استخدمت الدعوة الصهيونية كل وسائل الاغراء والعطف الديني لحثهم على الهجرة الى فلسطين لاستخدامهم في الاعمال الزراعية ، « وجرت محاولة لتوطينهم في مستعمرات الجليل وعمل بعضهم مع الهاشومير الاوائل . وظلت الهجرة الى فلسطين من البلاد العربية - رغم الدعايات الصهيونية - محدودة ، اذ لم يهاجر بين عام ١٩١٩ و ١٩٤٨ الا ٧٩٨٨ معظمهم من كردستان » (٣٦) .

٦ - اليهود في الأسر في بابل

لقد قدمنا فيما تقدم عرضا محملا للاحداث التي مرت في الفترة التي وجد فيها اليهود المسيون في شمالي العراق لأول مرة ، وهي الفترة التي شهدت وقائع خطيرة ترجع حوادثها الى ما قبل أكثر من ٢٥٠٠ سنة . ونأتي الآن على الدور الثاني الذي وحد فيه اليهود في العراق ، وقد كان هذه المرة على مسرح منطقة جنوب العراق وقعت حوادثه في منطقة باسل الفنية بياها وبخصوبة سهولها الزراعية .

لقد انقضت الدولة الآشورية وابقراضها طوى الزمن اخبار دور اليهود المسيين في شمال العراق . فسقطت ننوى عاصمة دولة الآشوريين سنة ٦١٢ ق.م. وبسقوطها انتهى دور الامبراطورية الآشورية ، فاقسم الماديون والكلدانيون مستكاتها وقد وقعت حصنة الكلدانيين في سورية والعراق ، وقد تأسست اثر ذلك الدولة السابلية الكلداية التي دام حكمها ٧٣ سنة بين سنة ٦١٢ و ٥٣٩ قبل الميلاد . والذي يهنا من حكم هذه الدولة هو قضاؤها على

(٣٦) الدكتور طي ابراهيم مبداء وخبرية قاسمية : «يهود البلاد العربية» ، دراسات فلسطينية،

مملكة يهوذا الهزيلة وسبى يهودها الى بلاد بابل ، وقد انحزت هذه العملية على عهد نبوخذنصر الثاني ، وهو أعظم ملوك هذه الدولة ، حكم السلاط ٤٣ سنة بن سنة ٦٠٥ وسنة ٥٦٢ ق.م . وذلك في حملتين ، الاولى في سنة ٥٩٧ ق.م . والثانية في سنة ٥٨٦ ق.م . ففي الحملة الاولى سبي نبوخذنصر « كل يهود اورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة الباس عشرة آلاف سبي وجميع الصناع والافيان ولم يبق احد الا مساكين شعب الارض » ، كما سبي « يهوياكين » (ملك يهوذا) وامه وسماه ورحاله من اورشليم الى بابل .

وفي الحملة الثانية قضى على مملكة يهوذا نهانيا بخرت اورشليم ودمرت تدميرا كاملا فأحرق بيت الرب وست امك وكل بيوت اورشليم وكل بيوت لعظماء وسلبت الحرائق ونقلت الى بابل ، وقد خزن عدد الاسرى الذين سيقوا الى بابل ليلتجفوا بانيهود من السبي الاول بحوالي ٥٠٠٠٠ شخص ، وهؤلاء كالذين سباهم الآشوريون الى بلاد آشور كانوا يتكلمون فيما بينهم باللهجة الارامية الخاصة بهم (المرحوم) . ويرجع تاريخ دخولهم الى العراق الى الربع الاول من القرن السادس قبل الميلاد .

ومن المهم ملاحظته هنا ان الكلدانيين ، خلافا لما قام به الآشوريون من تشتيت الاسرى وابعادهم الى مناطق حبيبة نثيه معمرله ، جاؤا بسيبياعم من الاسرى اليهود الى مركز الدولة (بابل) واسكنوهم في حوار مديهم وفراهم مما مكنهم من التجمع في المصى والاستمرار في ممارسة تقاليدهم وطقوسهم الدينية وتكوين مجتمعهم الخاص بهم . وقد اقتبسوا لغة الكلدان ثم اللغة العربية التي حلت محل اللغة الآرامية التي كانوا يتكلمون بها في الاصل . ذلك قد يصحح ان يطلق على هؤلاء اليهود الذين بقوا في هذه المنطقة اسم اليهود المستعربين على اساس احدهم باللغة العربية مع مرور الزمن .

ويظن أكثر الباحثين ان اليهود لمسسن الى بابل كنوا يحيون في الاسر حياة ضيق وتعاسة تحت كبوس مطالب الكلدانيين وتعسفهم ، ومصدر هذه المزاعم هو بعض الكتابات اليهودية التي كانت ترمي من وراء بث هذه المزاعم استئثار العطف على اليهود المسيحيين الذين ابعدوا عن ديارهم . وهذه المزاعم لا تستند الى البراهين والأدلة ، لأن أكثر المصادر التاريخية المؤتوقة ومن ضمنها مصادر يهودية تعترف بما رونه المصادر الكلدانية ، وهو ان نبوخذنصر سمح للاسرى ان يصحبوا عائلاتهم وينقلوا معهم أموالهم الملقوة ومواشيهم . وتؤكد هذه المصادر ان نبوخذنصر وحب اليهود بعد نقلهم الى بابل أحصى مقاطعهم واسكنهم فيها مثل منطقة « نفر » (بيور) التي كانت تعد من أغنى مقاطعات

بابل^{٢٧}، ومعهم كذلك اوسع الحريات في العمل وممارسة طقوسهم الدينية، وكانت السلطات الحاكمة تعاملهم على احسن وجه .

وتعترف المصادر اليهودية بأن اليهود في بابل أصبحوا في غضون مدة وجيزة أغنى أهل بابل ، فبعضهم امتلك الاراضي الزراعية والبعض الآخر كان يزرع بالفعل على الاراضي التي أعطيت لهم ، وقد حفروا شبكة من جداول الري والقنوات لايصال المياه السحيية الى مزارعهم ، وانتشأوا الحقول والسماتين وروحوها عنايتهم لوقايتها من المرق بإقامة اسدود وتنظيم اعمال الري على احسن وجه وقد اعتنوا عناية خاصة بتطهير الجداول والمبازل من الراسبات العريضة بحيث تحولت هذه المنطقة الى حقول مثمرة . وكان يعمل بعضهم في حقل التجارة . لذلك ، لما احتل كورش الاخميني بابل سنة ٥٣٩/٥٣٨ ق م^{٢٨} وسمح لمن أراد من الاسرى اليهود الرجوع الى فلسطين لم يستجب الى هذا السماح الا نفر قليل انحصر في اولئك الذين لم يفلحوا كثيرا في الارض الجديدة وانتمصين الراغبين في إعادة بناء الهيكل ، والاكثرية الساحقة من الاسرى اختاروا البقاء في بابل يرتعون في خيرات البسلاد ويدابون في زيادة ثروتهم وانماثها .

وقد اشتهرت عدة مدن في بابل بعد السبي البابلي باكاديمياتها الفكر اليهودية واهم هذه المدن التي كان اكثرية سكانها من اليهود المسيحيين هـ :
نهر دعة وفومبديثة وسورا وماحوزي .

كانت نهر دعة مدينة قديمة على نهر الفرات تقع في جوار عامة وقد اطلق اسمها ايضا على كل المنطقة الواقعة في الفرات بين عانة والابار . اما فومبديثة فهي الاسم الذي اطلقه اليهود على الابار حيث تجمع اليهود بعد السبي البابلي ، ولفظة فومبديثة تعني قم البداءة ، والبداءة ذكرها ياقوت ووصفها هي والجببة انهما طسوجان من سواد الكوفة^(٢٨) . اما الابار فتقع اطلالها اليوم على ضفة نهر الفرات اليسرى على بعد حوالي ثمانية كيلومترات الى الشمال من مدينة الفلوجة . يقول المستوفى في « نزهة القلوب » ان

(٢٧) «نهر» (نيبور) هي من المدن البابلية الشهيرة ، تقع بالقرب من بلدة طلك الحالية على بعد حوالي ٢٥ كيلومترا من شمال شرقي الديوانية على الضفة اليمنى من عقيق الفرات القديم ، ويرجع تاريخها الى الالف الثالثة قبل الميلاد ، وكانت مركزا دينيا مهما في العهد السومري ، الا كانت مقر الاله « ابن ليل » الاله الارضين وملكه المشهور «تايكور» ولقدومه . اكتشف في خزانة الهيكل على ما يقرب من ٢٢ ألف لوح يعود تاريخها الى الفترة بين سنة ٢٧٠٠ وسنة ٢١٠٠ قبل الميلاد .

(٢٨) معجم البلدان ١ : ٧٧٠ ، ٢ : ٢١ .

مؤسس الانبار الملك مهربا قايمايان ، جعلها معتقلا للاسرى اليهود الذين سباهم ببوخذ نصر ثم جدد بناءها ساپور الثاني وجعلها السراح كرسي مملكته . وكانت سورا تقع بجوار الحلة على شط النيل المنفرع من الفرات وكان يعرف قديما بنهر سورا كانت مركزا رئيسا مهما من المراكز التي تجمع فيها اليهود بعد السبي البابلي . أما الماحوري فمدينة قديمة متاحة لسوقية (الفنائن) ولما غزا كسرى الاول (اموشروا) (٥٣١-٥٧٩م) انطاكية نقل أهلها الى مدينة جديدة قرب ماحوزي فسميت الماحوزي لجديدة .

٧ - هجرة اليهود العرب من جزيرة العرب الى الفرات الاوسط

لقد عرضنا فيما تقدم نبذة عن الدور الاول الذي وجد اليهود فيه في شمال العراق لأول مرة (٢٩) ، ثم عرضنا نبذة عن الدور الثاني الذي وجد فيه اليهود في جنوب العراق (٣٠) ، ونأتي الآن على الدور الثالث الذي دخلت فيه الى العراق جماعة من قبائل العرب المتهودة وقد أخرجت من جزيرة العرب في عهد الخليفة عمر (رض) (٣١) . وهؤلاء عرب في لغتهم وقوميتهم ووطنهم وقد احتلوا بعد مجيئهم للعراق بالزراعة العرب الذين يرتبطون معهم بوشائج الدم والقومية ، وإن هذا الارتباط كان عاملا قويا في حمل أكثر هؤلاء العرب المتهودين على اعتناق الاسلام والاندماج بالبيئة العربية الاسلامية كنيا ، وقد بقي القليل جدا على يهودته . وقد كان محي هؤلاء الى العراق وسورية في القرن السابع لليلاد ، أي بعد ظهور اليهود المسيحيين من العهد الآشوري والكلداني في العراق بحوالي ألف وأربعمائة عام ، وقد جاؤا بصفتهم القبائلية العربية ومعهم مقسمياتهم ومواشيهم من اغنام وحمل بعد أن عوضهم الخليفة عمر (رض) عن ممتلكاتهم غير المنقولة واستقر أكثرهم في منطقة الفرات الاوسط حيث وفرة فرص الحياة الزراعية ، وقد بقي هؤلاء محاطين على لغتهم وقوميتهم العربية .

٨ - اليهودية في جزيرة العرب

وقبل البحث في هذا الموضوع المتعلق بكيفية انتشار اليهودية في جزيرة العرب ، لا بد من اشارة نقطة مهمة ، وهي أن الكثير من الباحثين يظن أن باب التبشير باليهودية كان مغلقا منذ القديم وأن اليهود الذين ظهرُوا في مختلف الاقطار ومنها الجزيرة العربية هم من اليهود الذين هاجروا من فلسطين . وهذا يخالف الواقع ، لأن كل الدلائل تثبت أن رجال الدين من اليهود كانوا يتحسسون ويحرصون كل الحرص لحمل أكثر ما يمكن من الناس من مختلف الاقوام على اعتناق اليهودية والتبشير بها منذ أقدم العصور . وبعد ظهور

(٢٩) انظر ما تقدم في الفقرة ٢ من هذا القسم

(٣٠) انظر ما تقدم في الفقرة ٦ من هذا القسم

(٣١) انظر ما تقدم في الفقرة ١ من القسم الاول

المسيحية صاروا أشد حماسا في التبشير بدينهم نتيجة للمنافسة بينهم وبين
المشرىين المسيحيين مما أثار العداء الشديد الدامي بينهما واستمرت هذه
المنافسة تلعب دورها ألف وثلاثمائة سنة حتى انطلق باب التبشير باليهودية
في منتصف القرن الثالث عشر للميلاد (٢٢) ، في حين ان التبشير بالمسيحية
استمر ولا يزال مستمرا حتى هذا اليوم .

ان اليهودية كدين لم تكن مقتصرة على قوم موسى ، فقد انتشر الدين
اليهودي بين مختلف الامم والاجناس ، وهذه الامم اعتنقت الدين اليهودي وهي
تعيش في ديارها واطانها تنكلم بلغاتها وتمارس عاداتها وتقاليدها التي نشأت
في بيئاتها ، اذ بدأ التبشير بالدين اليهودي منذ تكوين الديانة اليهودية بعد
كتابة التوراة في الاسر في بابل ، واستمر الى العصور الوسطى حيث اعلق
باب التبشير في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي كما تقدم . فقد قضى
اليهود حوالي عشرين قرنا يعملون بعد ونشاط بنشر ديانتهم بين شعوب وامم
لا تمت الى قوم موسى (ع) بأدى صلة وليست لهم علاقة بفلسطين او سكان
فلسطين من اليهود لا من بعيد ولا من قريب . وهؤلاء الدعاة الى الدين اليهودي
لم يكونوا دائما من فلسطين ، بل ممن اعتنقوا الدين اليهودي من مختلف
العناصر فتحسبوا له ، كما ان المسيحية لم تنتشر بواسطة سكان فلسطين
وحدهم ، بل بواسطة من اعتنقها من مختلف الاجناس والشعوب (٢٣) وهكذا
« ظلمت اليهودية زمنا طويلا فاتحة ذراعها مرحبة بمقدم كل من ينضوي محلصا
تحت لوائها من ابناء الشعوب الاخرى » (٢٤) فقد اعتنقت شعوب عديدة الدين
اليهودي وهم في ديارهم واطانهم ولم يكونوا في وقت من الاوقات من سكان
فلسطين ، فانتشر هذا الدين في القاراب الثلاث واعسقه امم مساعدة الاوطان
مثل سكان اليمن والحبشة وجزيرة العربية وبلاد انقفاز (الحزر) واواسط
اوروا وبلاد المغرب وشعوب مختلفة في الدولة الرومانية وفي الانطار المحارة
لها ، هذا الى جانب العناصر التي دخلت في اليهودية بطريق الزواج . وقد
اعتنق اليهودية كثير من الجماعات التي جاء بها الآشوريون من مختلف انحاء
الامبراطورية الآشورية الى فلسطين ليحلوا محل اليهود الذين اعدوا الى
كرديستان والى بلاد مادي والدمج بعضهم باليهودية . وربما كان خير من يمثلهم
اليوم ايهود السامريون الذين يعيشون وسط العرب وفي رعايتهم في مدينة
نابلس (٢٥)

(٢٢) الدكتور سامي سعيد الاحمد ، « الاسس التاريخية للطفيدة اليهودية » ، ص ٢٠ .

(٢٣) الدكتور محمد موسى محمد ، الهلال (يوليو) ١٩٤٧ ، ص ٢٢-٢٩ .

(٢٤) ويلز ، « معالم تاريخ الانسانية » الترجمة العربية ، الكتاب الرابع ، ص ٢٩٢-٢٩٣ .
(35) P. Hitti, "History of Syria", p. 197.

ان اليهودية والمسيحية ظهرا في الجزيرة العربية قبل الاسلام في ظروف متشابهة وسط عالم يدين بالوثنية ، والاثنان انتشرا في الحاسم عن طريق التبشير وبخاصة عن طريق اعتناق رؤساء مجتمعات تلك العصور ، وأحسن مثال تورده في هذا الباب اعتناق الاسراطور الروماني فسبطين الاول المسيحية في اوائل القرن الرابع الميلادي واعتناق ابي كيرب ملك المسر اليهودية في القرن الخامس الميلادي ، فاحر الارز شعبه على اعتناق المسيحية ولثاني احبر شعبه على اعتناق اليهودية ، وقد تم ذلك في زمن متقارب تقريبا بحيث نفسه يصح اعتبار وموع الحدين في عصر واحد . وبفهم هذه الطريقة انتشرت اليهودية في الخزر وفي شرقي اوروبا ثم المسيحية في كل العالم . ففي تعليق على التبشير القديم باليهودية يقول المؤرخ باركس في كتابه « تاريخ الشعب اليهودي » « انه لمن الخطا الاعتقاد بأن اليهود هم يقصدوا التبشير باليهودية او لم يقبلوا المذهب بالدين اليهودي » . (٢٦) وفي انشراح اليهودية في بلاد الرومان يقول كاوتسكي (Kautsky) : « ففي بداية العصر المسيحي تعاطفت أهمية الارتداد نحو اليهودية ، اذ كان من الشري بالنسبة لكثيرين ان ينضموا الى المجموعة التجارية ، المزدعورة الواسعة ، ومنذ عام ١٢٦ قبل الميلاد طرد اليهود من روما لتهودهم بعض الرومان ، وفي انطاكية كان المتهودون يشكلون القسم الأكبر من الطائفة اليهودية » (٢٧) وقد عمل اليهود على التبشير باليهودية بين الناس في روما بحيث صار اعتناق يهودية خاصة في النصف الاول من القرن الاول الميلادي مودة العصر وكثر اعتناق يهودية الى الحد الذي أجبر الامبراطور نيرون ان يصدر امرا بمنع ايهود من التبشير بدينهم او اعتناق اليهودية وأمتت باليهودية الرعية حتى زوجة نيرون نفسه (٢٨)

عاش اليهود في جزيرة العرب مميشة أمها فلبسوا لباسهم وتكلموا لغتهم وتصارفوا معهم ، فنزوح اليهود عربيات ، وتزوج العرب يهوديات ، واسترضع العرب في القبائل العربية لمهودة ، والفرق الوحيد الذي كان بين العرب واليهود في الجزيرة هو الاختلاف في الدين . وقد تمتع اليهود بحرية واسعة لم يحصلوا عليها في أي بلد آخر من البلاد التي كانوا بها في ذلك العهد (٢٩) ذلك

(36) "History of the Jewish People", p. 7

(٢٧) ابراهيم ليون : « المفهوم المادي للمالة اليهودية » ترجمة عادلة نوبس ، ص ٢١ .

(٢٨) الدكتور سامي سعيد الاحمد ، « الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية » ، ص ٢٠ نقلا

عن البرت تريفر :

Albert Trever, "History of Ancient Civilization", N.Y., 1939, II, p. 466.

(٢٩) الدكتور جواد طي « تاريخ العرب قبل الاسلام » ٦ : ٢١ نقلا عن

Graetz, "History of the Jews", III, p. 58, I., 60.

كله ما يزيد كون اليهود في الجزيرة العربية عرب متهودون لا يهود مهاجرون ، اعتنقوا اليهودية عن طريق التبشير ، لأن العصبية العربية تقيم حاجزا بحول دون زواج اليهود بالعربيات كما هو معروف . وفي ذلك يقول الدكتور جواد علي : « ولعل كون اليهود في الجزيرة من أصل عربي هو الذي ساعد على تحطيم القيود التي تحول بين زواج اليهود بالعربيات وبالعكس » (٤٠) .

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أن اليهودية التي اعتنقها عرب الجزيرة كانت أشبه بحزب قبلي منها دين له أصوله وأبعاده كدين يهود فلسطين ، إذ كان مجرد اعتناق أحد رؤساء القبائل أو البطون أو الانخاد يؤدي تلقائيا إلى تهود اتباع ذلك الرئيس أو الزعيم . فقد كانت هذه القبائل المتهودة تعقد الأحلاف مع بقية القبائل العربية على الطريقة المتبعة منذ القديم بين القبائل العربية في الجزيرة ، محافظة على نفس عاداتها وتقاليدها وأعرافها وثقافتها وقوميتها العربية ، ولم يعرف هؤلاء العرب المتهودون من اليهودية غير عقيدة التوحيد وبعض عبارات عبرية يحفظونها على ظهر قلب ويرددونها دون أن يفهموا معناها عند الصلاة . ولم يكن لهم أية صلة تربطهم بيهود فلسطين غير الاتصال التجاري الذي كان يمارسه اليهود في أكثر بلاد العالم وزيارة بعض أحبار يهود فلسطين ممن كانوا يحسنون اللغة العربية لأن يهود فلسطين كانوا يتكلمون ما بينهم باللغة الآرامية في ذلك الزمن .

وتدل المدونات التاريخية المتوافرة أن اليهودية كانت في العصر الجاهلي منتشرة بين القبائل العربية بوجه عام (في الحجاز وفي اليمن وفي نجد وفي الحيرة وفي البحرين وغيرها) . ويفهم من روايات الأخباريين أن يهود الحجاز وبخاصة يهود مدينة يثرب كانوا قبائل وعشائر وبطونا منهم : بنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو قيسقاع ، وبنو عكرمة ، وبنو محسر ، وبنو زعورا ، وبنو زيد ، وبنو الشظية ، وبنو جشم ، وبنو بهدل ، وبنو عوف ، وبنو القصيصة (العصيصة) وبنو ماسلة وبنو ثعلبة (٤١) . وكان يسكن مع يهود يثرب من غير اليهود بطون من العرب منهم : بنو الحرمان حي من اليمن ، وبنو مرثد حي من بلني ، وبنو نيف وهم من بلني أيضا ، وبنو معاوية حي من بني سلتيم ثم من بني الحرث بن بهثة ، وبنو الشظية حي من غسان . وظل اليهود أصحاب يثرب حتى جاء الأوس والخزرج فنزلوها ، وورد في الأخبار أنهم جاؤا بعد حادث ميل العرم التماسا لوطن صالح جديد ، وأنهم حينما نزلوها لم يكن لهم حول ولا قوة استغلوا الخلافات بين اليهود فتغلبوا عليهم وسيطروا

(٤٠) المرجع السابق : ٦ : ٢١ .

(٤١) الدكتور جواد علي « الفصل في تاريخ العرب » ٦ : ٥٢٢ نقلًا عن الألباني ١٩ : ٩٥ وسيرة ابن هشام ٢ : ١٤٧

على المدينة وقسموها فيما بينهم ، فلم يبق يومئذ لليهود عليها سلطان . (٤٣)
وقد ذكر اليعقوبي ان بعض منتسبي الأوس والخزرج قد تهودوا بعد نزوحهم
من مواطنهم الى يثرب قال : « وتهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم
من اليمن لمحاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير » . (٤٤)
وبلاحظ مما تقدم انه كان بين قبيلة بني النضير وقبائل الأوس والخزرج
ممن تهودوا ، كما ان هناك ما يدل على ان بعض قبيلة بلتي من بطون قصاعة
قد تهود ايضا . (٤٥)

٩ - عروبة يهود الجزيرة العربية

لقد ذهب اغلب الباحثين ، اسنادا الى دراسة أسماء يهود الحجاز منذ
ظهور الاسلام ، الى ان أولئك اليهود لم يكونوا يهودا حقا ، بل كانوا عربيا
متهودين تهودوا بساير الدعاة اليهود . (٤٥) ويرى تولدكه انه بسبب بين أسماء
البطون اليهودية الاحد عشر التي كانت في الحجاز في ايام ظهور الاسلام اسم
يظهر عليه الملامح اليهودية غير اسم واحد وهو زعورا . (٤٦)

ويؤكد اليعقوبي ان القبائل اليهودية في جزيرة العرب كانوا من اصل عربي ،
اذ يقول في وقعة بني النضير ان بني النضير فخذ من جذام الا انهم تهودوا
ونزلوا بجبل يقال له النضير فسموا به ، وفي وقعة بني قريظة يقول بان بني
قريظة فخذ من جذام ايضا اخوة النضير ، ويروي ان تهودهم كان في ايام عادياء
بن السموأل ثم برلوا بجبل يقال له قريظة فنسبوا اليه . (٤٧) ويؤيد ذلك
ياتوت الحموي في معجمه ، فيقول ان يهود بني قريظة وبني النضير كانوا من
القبائل العربية في الجزيرة وقد اعتنقوا اليهودية وكان لهم ملوك حتى اخرجهم
الأوس والخزرج من الانصار من المدينة . (٤٨)

ومن قبائل جزيرة العرب المتهودة التي ذكرها القاضي صاعد الاندلسي ، قبائل

(٤٦) الدكتور جواد علي ، « تاريخ العرب قبل الاسلام » ٦ : ١١ .

(٤٧) تاريخ اليعقوبي ، طبعة النجف ، ١ : ٢٢٦ .

(٤٨) البكري ، معجم ما استعجم ، ١ : ٢٩ .

(٤٩) الدكتور جواد علي « تاريخ العرب قبل الاسلام » ٦ : ١٩ نقلا عن :

Margoliouth, "The Relations Between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam, 81 ff

والمنصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٥٢ نقلا عن :

W. Caskel, Das attarabische Königreich Lihian, S. 19.

(٥٠) الدكتور جواد علي ، تاريخ العرب ٦ : ٢١ نقلا عن ماركوليث وتلينو وهرشفلد .

(٥١) تاريخ اليعقوبي ، طبعة النجف ، ١ : ٢٠ ، ٢٢ .

(٥٢) « معجم البلدان » ٤ : ٢٨٥ ، ٢٩٠ .

بني حبيب وبني كندة وبني الحارث بن كعب وكندة (٤٩) كما يذكر اليعقوبي ان قوما من بني الحارث بن كعب وقوما من غسان وقوما من جذام قد تهودوا (٥٠) وقد ورد عن المسطرط قوله ان الدين اليهودي انتشر في قبائل العرب في نجر وبني كندة وبني الحارث بن كعب وكندة (٥١)

وهناك شهادات من يهود مدينة دمشق وحلب في القرن الثالث بعد الميلاد انهم كانوا يسكنون وحواد يهود في الجزيرة العربية (والمقصود بذلك يهود من فلسطين) ويقولون ان الدين يعتنقون انفسهم من يهود في جهات خيبر ليسوا يهودا حقا اذ لم يحفظوا على الدماء الالهية التوحيدية ولم يخصموا لقوانين سمود (٥٢) ويصفه العلامة شيرن اليهودية في بلاد العرب كانت لها صبغة خاصة . كانت يهودية في اساسها ولكنها غير حاصصة لكل ما يعرف بالقانون التلمودي (٥٣)

ويؤيد المؤرخون اليهود ان يهود جزيرة العرب كانوا في معزل وانفصال تام عن بقية ابناء دينهم خارج الجزيرة ، لذلك لم يرد عن يهود جزيرة العرب شيء في احاد المؤلفين اليهود القدامى . وهذا ان دل على شيء انما يدل على عدم الصلة القومية بهم وبين يهود فلسطين . وفي ذلك يقول الدكتور ونسبون : « ان ثمة مراجع عبرية غير مليئة عن حياة يهود في بلاد العراق وخرس ومصر واليونان والرومان ، اما يهود الجزيرة العربية فلا تكاد نجده مؤلفات عبرية عنهم الا شيئا ضئيلا جدا لا يتجاوز بضعه نصوص اندمجت في عصر الكتب انما جاء عرضا غير مقصود ، ولكننا نستطيع ان نستنتج من هذه السحبة نفسها شحنة ذات شأن . وهي ان سكوت المراجع الاسرائيلية عن سرد حوادث يهود في الجزيرة العربية يدل دلالة قاطعة على ان اليهود في بلاد العرب كانوا منعزلين تام الاقطاع عن بقية ابناء حبيبهم والاصح ان يقال انهم في العزل في جهات العالم ولم تكن بهم اية صلة » (٥٤) .

« وبلاحظ ان يهود الحاصصية لم يحافظوا على يهوديتهم وعلى حصانهم التي يسمون بها وحافظون عليها محافظة شديدة ، كما حافظوا عليها في الاقطار الاخرى . فكثر اسماء امثال والبطون والاشخاص هي اسماء عربية ، والشعر

(٤٩) « طبقات الامم » ، بيروت ١٩١٢ ، ص ٤٢ ، ابن قتيبة ، « المعارف » ، ١٩٦٠ ، ص ٦٢١ .

(٥٠) تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٢٧ .

(٥١) يوسف الخنية « نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق » ص ٩٩ من المستطرف للاشبهى

٢ : ١١٤ .

(52) Graetz, op. cit., III, p. 75.

(٥٣) المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٥٤) « والفنون » ، « تاريخ اليهود في بلاد العرب » ، ص ١١٩-١٢٠ .

المسروب إلى شعراء منهم ، يحمل خطاب العربي ، والفكر العربي ، وفي حينهم
 لاجتماعه وأحبابه ، لم يكونوا يختلفون عن عرب ، فهم في كثير من أمورهم
 كالعرب فيما سوى الدين (٥٥) وهذا شعر منسوب إلى يهود ، لا يختلف
 في طريقة نظمه وفي تراكيبه ونسجه عن شعر أشعراء الجاهليين أو ثيبيين ،
 ولا تكدر للمعنى فيه أثر لليهودية ، فاعلمه غريبه صافية بنية مثل الفصحاء
 المعاصرية ، وأفكاره على بسط أفكار الحبيلين ، وصعب أن نجد فيه أثرا
 للتوراة والتلمود . (٥٦)

١٠ - صلة يهود جزيرة العرب بفلسطين

ومما يجدر الإشارة إليه هو أن أخطأ من يربط اليهودية لما أجبت من جزيرة
 العرب في عهد الحسنة عمر (رضي) لم يعرف أن أحدا من هؤلاء يرجع إلى
 فلسطين ليكونوا بالقرب من هيكل سليمان مدفوع بالحساس الديني ، فقول
 الدكتور جواد علي في ذلك ، « لاحظ أن اليهود قصروا الذهاب إلى درعب
 وإلى أماكن أخرى على الذهاب إلى القدس وعمره أو نصيرية وعمرها من
 بلاد فلسطين . مما يدل على أنهم لم يكونوا يفكرون قط في الإلمام في تلك
 الأماكن ، وأن قلوبهم لم تكن معلقة بها . رآنا حمارو الذهاب إليها ، بل
 كانت قلوبهم معلقة ببواطنهم هذه التي كانوا يعيشون بها بالحجاز ، وأن اليهود
 كانوا يفضلون السكنى في البواطن التي شملوا فيها على الذهاب إلى
 فلسطين » (٥٧)

وهذا كله لا ينفو أو ينشئ مع ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن يهود
 الجزيرة قد جاءوا من فلسطين أثر إجلائهم منها في عهد الرومان ، لا شك
 أنهم مستندون في ذلك إلى الأقوال التي أفردت بها التوراة ثم أيدها التلمود
 والتي تقول أن أصل يهود الجزيرة العربية هو فلسطين بنية تأكيد صلة القرى
 بين العرب واليهود ، ولكن ذلك لا ينسجم ونسبه الطيعة ، ولهجرة لا سيما من
 البيئة المتمدة المستقرة إلى البيئة الصحراوية مثل جزيرة العرب ، بل انعكس
 هو الصحيح والطبيعي . وللمسشرق وينكلر رأي في هذا الموضوع وهو أن
 أولئك اليهود لو كانوا يهودا حقا هاجروا من فلسطين في تحريرهم العربية ،
 فكانت حالتهم وأوضاعهم ومستواهم الاجتماعي على خلاف ما كان عليه يهود
 الجزيرة العربية ، إذ كانت حالة يهود فلسطين أرقى وأرفع من بحاله لى
 كان عليها هؤلاء اليهود ، فلا يعقل ، على رايه ، بلوع جماعة إلى ذلك
 المستوى الاجتماعي الذي كان عليه يهود جزيرة العرب لو كانوا من بلاد

(٥٥) الدكتور جواد علي « تاريخ العرب قبل الإسلام » ٦ : ٢٠ نقلا عن تولدكه .

(٥٦) المرجع السابق ٦ : ٢٥-٢٤ .

(٥٧) الدكتور جواد علي ، « تاريخ العرب قبل الإسلام » ٦ : ١٦١ .

مساواها اشقائي والمدني ارقى من مستوى من هو دورهم كثيرا في شؤون الحياة ، ومستوى الحياة في جميع نواحيها ، في فلسطين ، ارضي واربع من مستواها في الاماكن التي وجد فيها يهود من بلاد العرب ، لذلك فهم على رايه عرب متهودون لا يهود مهاجرون . (٥٨)

والحقيقة هي ان اليهودية والمسيحية كانا تتزاحمان بينهما على تهويد أو تنصير لقبائل العربية في الجزيرة قبل الاسلام ، فتوحه المشركون من اليهود والمسيحيين نحو جزيرة العرب ، حيث وجدوا القبائل العربية في الجزيرة قبل الاسلام متهاية نفسيا لتقبل دس التوحيد ، كما وجدوا الحرية المطلقة للعمل في صحاروات الجزيرة الواسعة . لذا كان نشاط التبشير بين عرب الجزيرة على أشده بحيث تمكن أحبار اليهود من تهويد بعض القبائل العربية كما استطاع المبشرون المسيحيون بعدهم تنصير البعض الآخر .

ويرى بعض الباحثين ان اليهود تعمدوا نشر قصص التوراة القائلة بوجود وشائج قرى بين العرب واليهود في شبه جزيرة العرب لدعوة أهلها لاعتناق الدين اليهودي بحجة أنهم والعرب من أصل واحد ، أي أحقاد سام بن نوح ، فكانوا يروجون مثل هذه الادعاءات ليربطوا صلتهم بالجزيرة العربية وبالعرب على اعتبار أنهم أبناء عمومة مع العرب وأن جددهم وجد العرب واحد هو ابراهيم الخليل عليه اسلام . « وظلوا منذ ذلك المهد الى ظهور الاسلام وهم يبذلون جهدهم في اشراب العرب عميدة أنهم جميعا ذرية اب واحد حتى نجحت فيهم الاكذوبة التي كان العرب اجمل من أن يتبينوا ما فيها من كذب وتلفيق » (٥٩)

لذلك ان اسطرية القائفة بأن اليهود هاجروا الى الجزيرة العربية عتصما اخرجهم الرومان من فلسطين هي نظرية عميقة لا تستند الى أي دليل ، ولا يمكن أن يقبلها المنطق والعقل السليم لما سبق شرحه من الاسباب ، فالملجأ الطبيعي الذي كان يمكن لليهود فلسطين أن يلجأوا اليه بعد اضطهاد الرومان لهم هو العراق وليس الجزيرة العربية ، اذ كان في العراق آنثى عدد كبير من بقايا اليهود المسيبيين في منطقة بابل كانوا يستمعون بحكم داني واصبح الكثير منهم اصحاب ثراء ونفوذ وكانوا هم والفرس على وفاق ووثام ضد الرومان في اكثر الاحوال باعتبار الرومان عدوا مشركا . والثابت ان العديد من رجال الدين من اليهود انقلوا بعد اضطهاد الرومان لليهود من فلسطين الى العراق حيث اسسوا المدارس الديسية الكبرى التي وضعت النمود البابلي .

ان بدوي الصحراء الرقيق الاحساس ، المجبول على الفطرة والتعلق لروحي،

(٥٨) المرجع السابق نقلا من :

Winckler, Mett. Vor. Asat Ges. VI, S 222.

(٥٩) والفنسون : « تاريخ اليهود في بلاد العرب » ص ٧٥ .

لم تعد نفسيته تتقبل عبادة الاصنام ، بما فقد كان عرب الجزيرة قبل الاسلام في حالة صراع نفسي ديني شديد لمحك بين الوثنية من جهة وبين اليهودية والمسيحية التي تدعوان الى التوحيد من جهة اخرى ، وقد كان دين ابراهيم الخليل (ع) الذي يدعو الى التوحيد معروفا في الجزيرة العربية عند الحنفاء كما ينهشنا القرآن الكريم ، فاستمر هذا الصراع حتى نزل الوحي على النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم ، حامل رسالة الاسلام اتاما وامتدادا لرسالة ابراهيم عليه السلام ، فتقبلها المجموع سالخ الحماس وعيق الايمان فدخلوا به افواجا ، وان الانبياء والرسل يظهرون عادة بوحي من الله في مثل هذه الظروف القلقة التي كانت سائدة في ارض جزيرة العرب وهي في وضع كانت ياشد الحاجة فيه الى من يوحى الناس الى الصراط المستقيم .

١١ - الخلاصة

يتضح مما تقدم ان عرب الجزيرة المتهودين لم تربطهم بفلسطين اية رابطة لغوية او قومية ، اذ كان يهود فلسطين وهم من عناصر محتلة يكتمون ما بينهم باللغة الآرامية ، في حين ان لغة عرب الجزيرة هي اللغة العربية . لذلك ان اعراب الجزيرة العربية المتهودين لم يحتلوا من حيث قوميتهم واختهم وعاداتهم عن اخوانهم عرب الجزيرة الذين الذين اعتنقوه عن طريق التبشير ، وهم في ذلك مثل جماعة اخضر اليهودية التي حافظت على لغتها وقوميتها وعاداتها ، ومثل قبائل البربر التي اخذت باليهودية وقد حافظت على لغتها وتقاليدها وغيرها من مختلف العناصر الذين صلتوا الى اليهودية .

وهكذا فتكون اسرنا ٢١ سوسه ، وهي من اسر القبائل العربية المتهودية التي استقرت على ساحل المرات الاوسط ، عربية الاصل في الوطن ، وفي العرق ، وفي القومية واللسان . وقد انتهت الاسرة ابراعة وعارسها في سواد العراق واستمرت تصل في هذا الميدان منذ ان وطأت اقدمها ارض العراق لفترة حوالي ألف وثلاثمائة سنة . وقد سقت الاشارة الى ذلك .

١٢ - تهجير يهود العراق

لقد تم تهجير يهود العراق اثر حوادث فلسطين الاخيرة استنادا الى القرار الذي اتخذه مجلس الوزراء في ١٩٥٠/٣/٩ وهو يحول الحكومة حق اسقاط الجنسية العراقية عن اليهود العراقي الذي برغ في احيار ترك العراق نهائيا ، وعملا بهذا القرار ائذ اليهود الذين سبق لهم ان غادروا العراق بصورة غير شرعية قبل صدور القرار المذكور بالعودة الى العراق خلال فترة شهرين والا تسقط عنهم الجنسية العراقية . وقد قدر عدد اليهود الذين غادروا العراق منذ صدور القرار المذكور وحتى كانون الاول ١٩٥٤ ١١٣ ، ولم يبق الا بضعة

٢٠ آلاف من اليهود قدروا سنة ١٩٥٥ بخمسة آلاف نسبه يتمركزون بصورة رئيسية في بغداد (٦٠)

ويؤكد الحبراء النوافيون على محوى الامور ان تهجير اليهود من البلاد العربية تم تحت وطاء حربه اضطهاد متعددة ومصطنعه بالوضوح بين بعض الحكام العرب وزعماء الصهيونية . يؤكد ذلك ابو مازن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح في معاد نشره في محله " يربوب المساء " (٦١)، بقوله " ومن المعروف ان بلادنا عربية لم تشهد في اية فترة من الفترات نشاطا صهيونيا حقيقيا اي ما يسمى باندفاع اعدائنا للهجرة لم يكن موعودا لدى العرب اليهود . ويتبين ان قسما كبيرا من المهاجرين اليهود من البلدان العربية قد جاء الى فلسطين لالحبه سيحه اتفق بآمرى بين بعض حكام العرب وقياده الحركة الصهيونية بقصى شجعن اليهود العرب نكمتهم من اوطانهم الى فلسطين المحتلة بعض الطرق عن رغبتهم بالهجرة الى فلسطين ، في حالة رغبتهم في الهجرة ، او الى بلدان اخرى . وينطبق هذا بصورة خاصة على اليهود العرب في اليمن والعراق .

« ان الفترة التي سبقت قيام «اسرائيل» لم تشهد حجرة يهودية تذكر من البلاد العربية بالرغم من قرب فلسطين من هؤلاء ، وكان باستطاعة يهود العراق ومصر وسورية ولسان ان يدحوا الى فلسطين بسهولة ويسر لو ارادوا ذلك ، ولكنهم لم يفكروا بالهجرة . فكانت حملات التهجير الجماعية والتي تمت بالواطئ والتآمر بين بعض الحكام العرب وزعماء الصهيونية . فبعد مثلا ان ١٢٠ ألفا من يهود العراق وخمسين ألفا من يهود اليمن قد قلعوا الى فلسطين خلال السنوات ١٩٤٩-١٩٥١ وبعمليات نقل جماعية (٦٢) . كما تشير المراجع الصهيونية الى ان الهجرة من اليمن تمت تحت صفت التهديد بانحراد من اليمن بل تذكر هذه المراجع ان عددا من اليهود في اليمن اعتنق لاسلام ليتمكن من البقاء في بده . » وبالنسبة للعراق يقول ابو مازن : « ما في العراق دأمر أكثر وصوحا والمأساة أكثر عمقا وحزنا لما لاقاه اليهود حرب في العراق من صوف الالام والتعذيب والارهاب والصفت لاقتلاعهم

(٦٠) الدكتور علي ابراهيم عبده وخيرية قاسمية ، « يهود البلاد العربية » ، دراسات فلسطينية (٨٢) ، ص ٧٢-٧٩ .

(٦١) العدد ١٠١ (٦٢-١٢ كانون الثاني - يناير - ١٩٧٦) ص ٤٩-٥١

(٦٢) ان عملية النقل الجماعية من العراق اعطى لها سنة ١٩٥٠ اسم استوري هو (عملية على بابا) وقد اخذت الوكالة اليهودية ترسانتها مع شركة امريكية للطبوط الجوية من اجل نقل المهاجرين بطائرات السكاي ماستر من بغداد الى «اسرائيل» عن طريق نيقوسية ثم لما بعد اخذت الطائرات توجه الى اللد مباشرة («يهود البلاد العربية» المرجع المشار اليه من قبل ، ص ٧٢) .

من جدرهم ونقلهم الى المسلح الصهيوني مسئول ، لاراده معهودمي الرغبة ، لا حول بهم ولا قوة . . لم تكن هجرتهم الجماعة من العراق امرا طيعيا او سطنيا ، فليس صحيحا انهم هاجروا لانهم كانوا صهاينة او لانهم راوا في «اسرائيل» نجسيدا لامانيهم وهذه مسألة تجمع على الاقرار بها كافة المصادر الصهيوية الرسمية وغير الرسمية . ولا حاجة لاثبات صحتها باستعراض المراجع واشتواهد . . فقد شغل اسعوتون الصهيوية وبجحوا في ادخال كميات كبيرة من السلاح الى بغداد بمساعدة الجيش البريطاني . وبوجت السلطات العراقية الرجعية انذاك اجراءاتها القمعية والتأمرية مع لصهيوية باصدار قانون اسقاط الجنسية عن اليهود العراقيين بعد التمهيد له بحملة واسعة ضد اليهود ، ومع ذلك كانت نسبة الاستجابة له ضئيلة جدا ، فقامت منظمة (عشوداء) الصهيوية بالقاء القبايل على اليهود بدءا بيوم ١٩٥٠/٤/٨ وانتهاء بيوم ١٩٥١/٦/٥ ، وبالنسبة لقانون المذكور يقول ابو مازن : « اما بالنسبة للقانون (المؤامرة) فقد تم الاتفاق على اصداره في اجتماع سري عقد في فيينا سنة ١٩٤٩ وحضره نوري السعيد وبن غوريون ومعهوث بريطاني وبعد عودة نوري السعيد الى العراق قدم استقالة حكومته ليفسح في المجال لمجيء حكومة انتقالية ، وكلف السويدي بتأليف الوزارة الجديدة في ١٩٥٠/٢/٥ . وتقدمت الحكومة فورا بلائحة قانون اسقاط الجنسية وطأبيت باقراره على الفور فوافق المجلس النيابي عليه وكذلك مجلس الاعيان . » ويسهي ابو مازن الى لقول بان « هذه باختصار قصة اليهود في العراق ، وما لا شك فيه انها القصة اسودج لئاقى يهود البلاد العربية ، ففي كل بلد لهم قصة شبيهة بقصتهم في العراق وان اختلفت في التفاصيل الا ان لهدف واحد والمحرك الاساسي وراء هذه القصص واحد ايضا . »



القسم الثالث

حياتي المدرسية

« مرت حياتي المدرسية بثلاثة ادوار :
الدور الاول ، نشأتي ودراستي الابتدائية في
الوطن ، والدور الثاني ، دراسي في الجامعة
الامريكية في بيروت بين سنة ١٩٢٢ و ١٩٢٥
والدور الثالث ، دراسي في امريكا بين سنة
١٩٢٥ و ١٩٣٠ دخلت في خلالها سبع جامعات
وكليات في مختلف انحاء امريكا »

الباب الاول - نشأتي الاولى ودراستي الابتدائية

- ١ - نشأتي الاولى . ٢ - اسعد الياهم . ٣ - دراسي الاسدانية . ٤ - النظام
الاطاعي . ٥ - مشروع سدة الهدية . ٦ - الصباح مشروع سدة الهدية . ٧ - بمسار
الرمب . ٨ - في عالم الكربات . ٩ - السيارات محل محل الجمار في نقل الطلاب الزراعية .
١٠ - الاحتلال البريطاني ولورة العشرين . ١١ - فترة ظلة

١ - نشأتي الاولى

في ذلك العهد الحالك ، عهد الحكم اششامي المعلم ، في تمام السنة الاخيرة
من القرن المصمم شهدت لأقدار ان نعدسي في احصان هذا تمام العدي ، فكان
لي من الحظ الوفير ان حنفت في وسط اسره لا بأس في رفاهيتها ، فرايت
المر لأول مرة في دار سيطه في أحد الشوارع ، لصيقة في بدنة الحدة الميعة .

وكانت هذه البلدة مدخر العراق وأسر اسلاد تحمر الحبوب بلاسهلاك
والتصدير ، فكان معظم أسرها يعاطون الزراعة وتجارة الحبوب ، إذ كانت
هذه الحبوب مصدر معظم المعاملات التجارية ، فلارتفاع أسعارها أو هبوطها
الشان المين في تكييف حياة أكثرية سكان البلدة كل بنسبته .

وتقع الحدة قرب بابل في محط الفرات الاسفل ، في وسط محيط ديني
زراعي ، فكانت بحكم موقعها هذا منزوية عن العالم الخارجي محافظة على
العادات والتقاليد الموروثة ، وكل يتجلى فيها عطر الساطه والسكون باجلى
بيان - وفي كل وقت ومكان - ذلك المظهر الذي يجمع بين البداوة والمدنية ،
يكون من امتزاج العنصرين واحكامهما حياة تعاون وبآزر ينطوي على تبادل
في الآراء والافكار واشراك في العواطف ، والميول ، وإذا ما خرج المرء من
داره في الصباح وسار في أزقة اندية واحل نظره فيها فكانه يشاهد مسرحا
اجتمع عليه الامندي بطروشيه ، وملاح بمقاله ، والشيخ والسوي ،
والحضرية المحجبه والبدوية السافرة ، والفارس على ظهر فرسه ، واراجل
التمامل ، والتاخر والمامل ، الكل في حركة نظرية لا يشوبها اصطلاح
ولا زحرف ، وأهم ما يسترعي النظر قوافل الجمال ترى فيها الابل تنهادى في
منسبتها في الأزقة والشوارع بين هذه الجموع دائبة في نقل الاطمسة الى
الأهراء ، فلا يميقتها نهار قانض ولا يروعها ليل دامس ، حركة اجتمع فيها
الصل والهدوء والسكينة في آن واحد ، فكان فيها من آيات القناعة والاطمئنان
ما جعل الجميع يحمدون ربهم على نعمه وخيراته .

كان والدي رجلا صالحا مستقيما في معاملاته صادقا في مخالطاته صريحا
في كلامه مما جعله محبوبا لدى عارفيه ، وكانت له منزلة ذات شأن في المجتمع
حتى عين عضوا في مجلس إدارة اللواء ، ولا أزال اذكر وأنا صبي أن والدي

كان يحكم عضويته هذه يقوم بسفرة كل سنة الى الديوانية لاجراء الانتخابات في مركز اللواء ، فكانت الاستعدادات لهذه السفرة اشبه بالاستعدادات للسفر الى القرى في تلك الايام ، فكانت تعد الامتعة وما تتطلبه القافلة من الاستحضرات . اذ كانت تستغرق هذه السفرة عدة ايام في الذهاب وعدة ايام في العودة . وكان لا بد من ان يرافق القافلة عدد من (الجندمة) للمحاطة ، هذا مع العلم ان الحلة كانت مركزا للمصرفية التي كانت تشمل الديوانية والمدارة ثم انتقل مركز المصرفية الى الديوانية وبقيت الحلة مركزا للقيادة العسكرية . وقد كانت اشغال والذي تتطلب ايجاز مختلف المعاملات الزراعية بما في ذلك من اشتباك العلاقات بالمحيط الزراعي الريفي ، اذ كان موكلا بادارة شؤون المزارع والاشراف على كل ما يتصل بذلك من معاملات مع المزارع وابوكلاء والسراكيل والملاكين ومع رجال الحكومة . وعليه فقد نشأت والاتصال المباشر بكل ما يمت بصلة بالمزارعين من القبائل والرؤساء مستمر دون انقطاع فرسخت عاداتهم واحلافهم وطريقة معيشتهم العطرية في نفسي طامع الحياة العربية الاصيلية بما في ذلك المبادئ الاسلامية السامية .



التصوير رقم (٢٠) - بلدة الحلة كما كانت عليه سنة ١٩١٩ (انظر الفترة ١)

٢ - اسعد الايام

ها هو الوسط الذي عشته وترعرعت في احضانه بين المدينة والريف ، لفقيت فيه اسعد ايام حياة الصبا ، مترعرا بين احضان الطبيعة ، متزملا برداء البساطة والمطرقة ، محبا للاسبانية ، ذلك ما جعلني احب ما احبه العرب واميل الى حيث انجبت ميولهم ورغباتهم وامانيهم في الحياة حتى اصبحت



التصوير رقم (٢١) - والد المؤلف
وكان عضواً في مجلس إدارة لواء
الحلة (أواخر الفترة ١)

شغفاً بركوب الخيل العربي ، متعشقا ذات الارومة والسبوق منها (١) ،
فاقتنيت اصل الافراس العربية ، فكان ذلك اعز شيء لدي في الحياة حتى قلما
كان يمضي يوم الاّ واقضي ساعتين او ثلاثا او أكثر على ظهر فرسي بين باحات
المزارع وفسحات المتارح . وكنت قد اخترت لبس اعرب بعقاله وعباءته
واقتنيت البندقية (الكجوك) وما ابي ذلك من ضروب الاسلحة التي يعتز بها
كل عربي . وفي الاجمال لقد كنت كل اسباب لهوي حاصلة وفق رغباتي
وميوالي .

٣ - دراستي الابتدائية

وكان والذي يحسن اللغة الفرنسية عدا العربية (اللغة الام) فاحس على
عائقه تعليمي القراءة والكتابة بنفسه وذلك في اللغتين العربية والفرنسية ،
ركنت اكراه هذه الدروس وامقتها الاّ اني كنت اسمي في اتقانها لارضاء والدي
كي استغل رضاء واحصل على موافقته على بعض اسباب لهوي التي كانت
تهواها نفسي . ولم يكتف والدي بذلك بل خصص لي معلما لتدريس اللغة
التركية بالنظر لما كان في ذلك الزمن من النفوذ لهذه اللغة في البلاد الامر الذي
زاد في تنمري . وما مضى زمن طويل على ذلك حتى انشئت في الحلة مدرسة
اهلية تقوم بادارة شؤونها الجمعية الاسرائيلية الفرنسية تعرف باسم (مدرسة

(١) السبوق اصطلاح عند العرب يعني الفرس التي لا تسبق .

لا يدرس فكانت تدرس فيها الفرنسية والعربية و تدرس بطلاب اليهود ،
 والمدرسة هي اللغة الأساسية للتدريس وقليل من العربية والتركية . وما كان
 من وادي إلا أن أرسلني إلى هذه المدرسة وهناك كنت أدرس للمرة الأولى بالطلاب
 الأسرى مع العلم أنه كان عدد قليل من الطلاب المسجونين في المدرسة كان
 مبني إلى محظوظهم أمرا طبيعيا . وقد أصبحت هذه المدرسة عام ١٩٠٧ وكان
 عدد طلابها سنة ١٩١٠ (١٧٥) طالبا .



التصوير رقم ١٢٦ المؤلف
 بالزي العربي سنة ١٩١٩ .
 (انظر الفقرة ٢)



التصوير رقم (٢٣)
المؤلف في مكتبة والده
في الحلة سنة ١٩١٦
(الفترة الأولى ٢)

التصوير رقم (٢٤)
المؤلف على ظهر جواده
قرنفل - ٢
بغداد ١٩٢٠

التصوير رقم (٢٥)
المؤلف على ظهر فرسه
المكتبة ذات الاربعة
الاصيلة سنة ١٩١٦



٤ - النظام الاتطاعي

ولا يحل أن النظام الاتطاعي كان سائدا حينذاك وكان الملاك أو وكيله يتخذ الأحراء التنفيذى اللازمة مباشرة من غير تدخل من الحكومة وذلك سبب الأمور حسب العرف المعمول به . وعليه أن السلطة المحلية كانت برواد كبار الملاكين بأمراد من شرطتها كان يطبق عليهم كمية (خندمة) فيصبح هؤلاء تابعين لأوامر الملاك الذي يكون مسؤولا عن إعاشتهم وتجهيز الحيات أو أعمال لهم . وكانت السلطة بجهز هؤلاء (الخندمة) بالسندية والمتاد يحسبها معه عند قيامه بواجباته . وكان في المروعة سجن خاص لسجن الخارجين عن أحرف واسظام . وأقول مع مزيد الأسف أن هؤلاء (الخندمة) كانوا مساة الى أقصى حد في معاملة الملاحين ، وكان مجرد حلول أحدهم في أحسد بيوت الملاحين يحدث الرعدة في قلوب أمراء الاسرة لخوفهم ودروعهم مما قد يقبلونه من صيغهم لتفيل ، فيسعون لتقديم حير ما لديهم من المأكول وبعالون في صيافته وسدلون كل ما في وسعهم لأرضائه . ولا أزال أتذكر أحد هؤلاء (الخندمة) اسمه يوس كان ملازما في المركز ينتظر الأوامر لسفد ما يعهد إليه من مهام في مختلف المزارع ، وهو صخم الجثة كانت له بشفة كبيرة شرسة لا يستطيع أحد التقرب منها إلا هو .

وكانت حصة الحكومة من الحاصلات الزراعية تقدر من قبل هيئات خاصة بحول في المزارع لهذه الحاية في كل سنة بعد انهاء موسم الزرع . وكان الملاكون يبدون جهودهم للاتفاق مع هذه الهيئات فما يخص بحمين كميات الحلال في البيادر فيسجدون تسليم حصة الحكومة منها حسب التخمين الذي يقر عليه ، وذلك للتخلص من تدخل الحكومة أو المتكرم في شؤونهم . فينصح من ذلك أن الحكومة لم تتدخل في أي امر من الأمور التي تتعلق بالمزارعين والملاكين إلا في الأمور المهمة جدا وغالبا يحري ذلك بناء على طلب من الملاك نفسه . لأن طبقة الملاحين لم يكن لهم مجال للاتصال برجال الحكومة . وحتى شيوخهم فكان يبعد عنهم الاتصال بالسلطات إلا في الأحوال السادة أو بتوسط الملاك .

٥ - مشروع سدة الهندية

ومن الأحداث المهمة التي عاشها بلدة الحدة مسقط رأسي في العهد العثماني انجار مشروع سدة (صاطر) الهندية ، وهو المشروع الذي أشق لايصال المياه الى نهر اعراب الذي تحول عن مجراه الذي يمر بمدينة الحدة ، ويحسن هنا أن نعرض نبذة عن تاريخ هذا المشروع :

كان محرى نهر الفرات الرئيس يسير عند القلم نحو مدينة نابل القديمة

ثم سر بمده به بحته اسي نفع بحوار بابل جنوبا الا ان عوامل اصطدامه وطبيعة آت الى تحول اسهر من مجراه اسالي في حبه اشرق الى ما يعرف الآن بنهر الهندية في حبه اعرب مارا بطوريج بالكفر والكوفة . وعلاوة استعداد نهر امرات سرك مجراه السالي النحني والتحول الى حبه نهر الهندية الحالي قد نأت منذ اوائل القرن التاسع عشر الميلادي . الامر الذي اصبر اولي الامر على اتحاد بعض السداير لابقاف بوسع نهر الهندية وناسر رل الماء الى فرع الحلة ، السداير التي اسهت الى انشاء سدء الهندية الحالية في موضع مفترق صدري الفرعين (نهر بابل ونهر الهندية) كسدير نأت ودائم يؤمن تموين صدر فرع الحلة بالمياه .

وامم العوامل التي كانت قد ساعدت على تحول مجرى نهر امرات في اتجاه بابل الى جهة نهر الهندية المشروع ادي قام به اصف الدولة وزير محمد شاه الهندي في اواخر القرن الثامن عشر الميلادي لايصال المياه الى مدينة الجف ، فشق جدولا ياخذ من انضعه اليسى لنهر امرات من فوق مدينة بابل بحوالي مائة كيلومتر يجري في اتجاه نهر الكوفة اقديم . وقد عرف هذا الجدول فيما بعد بنهر الهندية نسبة الى اصف ادولة الهندي . ويؤخذ من الروايات التاريخية ان المياه بدأت تجري في هذا الجدول في اوائل القرن التاسع عشر على انه اخذ يسمح تدريجيا على حساب فرع الحلة الذي كان يؤلف مجرى امرات الرئيس في ذلك الوقت ، ففي سنة ١٨٣٠ اصبح من الضروري اتخاذ بعض التدابير لابقاف بوسع هذا الجدول ونوجيه قسم من ماء امرات الى فرع الحلة الذي بدأ يقل مأء شيئا فشيئا ، غير انه بالرغم مما اععب ذلك من تدابير اخرى فقد استمر نهر امرات يزداد قبصه في الجدول الجديد تاركا مجراه اقديم الذي سر بمده الحلة ، وما حلت سنة ١٨٨٥م حتى كاد يجف نهر الحلة الامر الذي ادى الى تحول كل مياه النهر الى جدول اصف الدولة (نهر الهندية) .

وقد تعاقم الخطر من ذلك الحين اد بوسع نهر الهندية بجهت اصبح مجرى امرات الرئيس تقريبا فانقطع الماء عن مجرى بابل نهائيا فقلقت المشائير المقيمة على نهر الحلة قلعا شديدا لهلاك مزارعهم وبساتينهم ، الامر الذي حدا بمسحت پاشا (١٨٦٩-١٨٧٢م) ان يستقدم مهندسين فرنسيين لاصلاح الحالة . وقد انتهى هؤلاء من عملهم سنة ١٨٩٠ حيث أنم المهندس الفرنسي شونديفير في تلك السنة انشاء سد محكم على صدر فرع الهندية وهو السد المعروف بسد شونديفير . وقد استعمل ما يقارب ستة عشر ألف متر مكعب من عتيق الآخر المستخرج من خرائب بابل في انشاء هذا السد ، الا ان اعمال صيانة السد ادى الى تصدعه ولم تعد المحاولات التي قامت بها الحكومة لتعمير السد وبقب الحالة على ما هي عليه حتى استعصمت الحكومة العثمانية السير ويليام

وينكوكس ندراسة مشروع اري في انظر العراي فوضع السير ويليام بصمد
لسد جديد في تقريره المرفوع الى الحكومة احتياجه سنة ١٩١١ ووضع في
الحال موضع استيفه وهذا هو المشروع الذي لا يزال قائما حتى الوقت الحاضر
(انظر الصور رقم ٩) .

وقد قامت بانشاء السدة شركة السير جون جاكسون المحدودة البريطانية
باشراف سير ويليام وينكوكس (انظر الصور رقم ١٠) . وقد بونر احسن
في شهر شباط من سنة ١٩١١ وبعد مرور سنتين وتسعة اشهر تم اصدار
المشروع . وقد افتتح المشروع رسميا في اليوم الثاني عشر من شهر كانون
الاول من سنة ١٩١٢ فاقسم احوال مهيب دبح فيه الدنانج واقسم فيه الولايم
حضره والي بغداد وكبار الموظفين ومناصل الدون وغيرهم من الوجهاء والاعمال،
وتودلت الحطب بين اوالي ومدير الشركة التي قامت بالمشروع . وقد حطب
في هذا الاحتفال مسر پاشا رئيس مهندسي القسم المالي من سكة حديد
الحديديّة .

ودكراتي عن وينكوكس قدومه يرجع بي الى عهد الصبا ١٩١٢-١٩١٣
حين كان وينكوكس مهمكا في تنفيذ مشروع فضاير الهدية فكتب ارور ديك
المشروع وعو تحت الاشياء بين حين وآخر وهو قريب من بلدة الحلة . كنت
آنذاك لا اتجاوز الثانية عشرة من عمري فاشاهد وينكوكس وكله حركة وشباط
رغم كبر سنه يرافب اعمال البناء ويحرر الآخر حريضا على تطبيق الصمام
التي وضعها . ولا ارال اذكر انه قضى ليلة في بيتنا في الحلة وطلب ان لا
يقدم اليه اي طعام للعشاء غير كوب من اللبن المحلي .

٦ - افتتاح مشروع سدة الهندية

كان موعد انجاح مشروع سدة الهندية في اليوم الثاني عشر من شهر
الاول سنة ١٩١٣ فكان ابيرد شديدا فارسا فحضره مع ابنا بدتي .
انطلق لياء من امام السدة (الضاير) واستبانها نحو بلدة الحلة . ولقد كان
لهذا اليوم المشهود اثر عميق في نفسي وانطباع راسخ في ذهني الصغير اكسارا
وعجبا معجزة ابن الهندسي وعمق به مصفم هذا المشروع العظيم الذي احيا
منطقته جنوب الفرات بأسرها . وان اسى فلن اسى ذلك اليوم واما مصط
صهوة مهرني اسرع مع جمهرة من الفلاحين والمرارعين وهم يحدون باناسيدهم
العربة ادمية فرحين مهللين فكنا نمضي على طول طريق النهر سائق مجرى
المياه الذي كان ينساب فوق الرمال احافة كالانعى بين منعطفات عقيق النهر
حتى وصلنا واية الى بلدة الحلة ، فاقبلت الجماهير المحتشدة يستشر
بالشئى السارة وهي برحت بوصول المياه وقد غطتها رعدة بيضاء فاعمادت
الحياة الى هذه المنطقة الزراعية الضحية بعد ان حرمتها يد الاقدار من عماد

وجودها سنوات طويلا . وقد تم لي بعد مضي ٤٠ سنة على عملي في دائرته الري تحقيق رغبتي في الاطلاع على كل ما يتعلق بتاريخ هذا المشروع وتصميمه ، حيث عينت مديرا لقطاع الري امرت مسئولاً عن ادارة شؤون مشروع قناطر بهندية داهي ، فالتفت كدأً خاصاً باسمه الانكليزية عن تاريخ سدة الهنديه وتصميمها ، بطورها ، وبنائها فقط اسمها اصدا بالاحصائه بما كنت اشاق اني معرفه في منزل العمر عن المعجزة لنفسه سي يهرسي وحيرت عقلي الصغير او انذاك (٢) .

٧ - ايام الرعب

ومضت الايام وتلتها الشهور والسنوات واذا بشاراة الحرب العاتية الاولى قد امتدت الى حيث كنا نعيش في محيط الهادي ، فاعين الجهاد سبعة دحول تركنا في معصية الرغى الى جانب المدن . وكان ذلك العهد المعروف بعهد (السمر رلك) عهد يؤس وشقاء لأهل المدن الكثرة ومنها مداد بحاصه . لان يعود الحكومة كان في الواقع مقصرا على هذه المدن . اذ كانت معرض لحدته على اهالي المدن فقط ، ولم يمر وقت طويل حتى صعب يعود الحكومة في محيط الفرات الاوسط وامسى رحبها موضع سحره واعانه في بعض المدن كالنجف والحلة وغيرها من مدن الجنوب . فاعم بحدث مسيرة حياتي المدرسية ان المدرسة التي كنت اداوم فيها قد تغلف انوارها فركبت في عسى فراعسا بلا هدف معين اسمى اليه .

وقد انت الظروف القاسية الا ان يعكر صفاء حياتنا وتسلب ابناء هذا المحيط الهادي هدا . . . اذ نصب القيادة العثمانية عنها غبار الشفقة والرحمة ومشت بحيوشها ومدافعها ونسها به سوء سفي الانتقام من اهل الفرات لوقوفهم في . جه السلطة العثمانية محدثي سطوها فكانت الحجة المبحها ، الهدف انزل . فما اقصى الاسنان حين ينهم ! . فقد جاء عاكف بك قائد الحملة سبعا بروح القدر والملك كالاسد الكاسر الحائز الذي يواحه فريسه . جاء هذا ابوحنس المغموس واحد يسوق رحالات ببلد الرعب بعد الرعب التي المشته . فشنق بصورة علنية في اليوم الاول ٢٨ شخصا من شخصيات البلد . كما في اليوم الثاني والثالث والرابع الى مدة شهرين شق في حلالها مائه وسبعة وثلاثين شخصا . وقبل ما قرب من ٥٠٠ شخص حووا فك الحصار لذي فرصة على المدينة للحيولة دون الدخول اليها او الخروج منها . ولم

(٢) عنوان الكتاب بالانكليزية :

"The Hindiyyth Barrage — Its History, Design and Function,"
(with 16 maps and 23 Illustrations) The Government Press,
Baghdad, 1945

كفهم ندمت بل تصدق الى الاعراض وسبى النساء والاصفال والشيوخ . دون
عظم ولاشمعة وبماهم عن بيوتهم الى تركيا . وكان حري هدم المدينة بالمدافع
بعد ان امر باحلالها . فخرج الأهلون يراكمون قاذرين سويهم وأمرهم هذه
مهم أنهم بحروجهم يسلمون على حياتهم ولم يدروا ما كان يصيرهم هم فسد
الجنة من نبات مبيتة ٥٥٠ خرج الناس وكانهم في يوم حشر فكروا يسلمون
وشمانون بينهم شيوخ مقعدون يحتمهم أهلهم على صهورهم محسنة هم
وسدل ركضون وراء أبائهم وأمهاتهم وقد أحد السكك ونهض منهم ماخذة .
وسل محبات فسمعت عوشت الى عمان أسما . عوشت الاستماعة وطلب
رحمة . ولكن ابن أرحمة من مدوب الطفاء . وقد أحير محسنة سهل مسط
ومع يحيط به سلسلة من التبول مؤلفة من بقايا حناول قديمة نصت عبيد
للدافع . وما ان صدر الأمر بنزل عوائل الموطعين من بين الجموع المحتشمة
حتى استفاق أساس من دمولهم وأدركوا ان شبح الموت يلاحقهم وأنهم على قاب
قوسين أو أدنى منه . لأن عزل عوائل الموطعين كان أشبه بالاشارة الى بية
حصد الجموع الأخرى وإبادتها . وبعد أن قضيا أكثر من ست ساعات في
الغراء كما سرقب في كل لحظة منها المصير الذي يستظرنا ، وبينما كانت
الجموع متلفعة لتسمع الأوامر أديع علينا أن السلطة العليا راحة بالأعصين
وعوائهم عدلت عن اتحاد أي إجراء من شأنه أن يلحق الأذى بهم ، فعدا الى
سارن وكل ما يشعر بأنه يعيش حياة جديدة ، ولم يمض زمن طويل حتى
أجست الجيوش التركية تنقهقر أمام القوات الانكليزية منسحبة الى الشمال .

٨ - في عالم الذكريات

وقد شامت الأقدار ان نرمني في وسط هذه الحوادث سجيناً في فيحاتي
أد كان نعتد حروحي من المدينة التي حوطت كل أطرافها بالجيوش والخنادق ،
وما ان اقرب ميعاد رحيل القوات التركية من الحلة حتى صار يجول رجالها
في شوارع المدينة للاستيلاء على كل حيوان صائح للركوب أو النقل ، وقد
كانت درسي في الاصطبل مع بقية الخيول لم تكن قد عادت جدرانها طيلة زمن
هذه الحوادث . وبينما كنت عارقاً في الهواجس حوقاً على مصير فرسي اذ جاءني
من يبيشي باستحاب بعض القوات من حنادق أحد أطراف المدينة حيث يمكن
الحسروح منه دون ما يمرض ، وما مضى بصبح دقائق على ذلك حتى كنت
منطلقاً صهوة فرسي مسرعاً في الشوارع الصعبة متجها نحو الجباب الذي تغل
عنه الحشر فمضيت منه دون ما عائق ، وما كادت الفرس تشم نسيم العشاء
حتى تمصحت حناشيمها واحد صدرها يعلو ويهبط فمضت منطلقاً كالسهم
تنهب الارض بها ، وبعد مضي ساعة أو يلف من المسير اعترضتنا جموع
الأعراب على ظهور حيوتهم متاهية للطوارى، فبررت بين هذه الجموع بعد ان

تحدث الى بعض رؤسائها الذين كتب لي وايهم معرفة شخصية واسألهم
ب كان عليه الحال في المدينة . وما هي الاوضاع حتى سمع منهم
المهاوية التي كنت أصددها . (٢)

اما الجيش فقد غادر الحلة في ذلك النهار وقد علمت انه استولى على
حيول الاصطبل حيث كتب مرسي قبل مروري بها ، وكان يرافق الجيش بعض
الوظفين وعدد من افراد الجندرية . ولما كان الجيش محمرا بأسلحته مستعدا
للطوارئ فقد أصبح يمارس في طريقه دون ما حصاره دت شال عدا وقوع بعض
افراد الجندرية اسرى بيد الاعراب ، وما كاد يمضي بهرب لاول من الليل
حتى جيء هؤلاء الاسرى وعددهم عشرون شخصا مع حيواناتهم واسلحتهم ،
وكان هؤلاء من العرب ولم يرغبوا في الالتحاق بالجيش المنسحب .

ولما تصور ما كان يلافيه الملاحون العرب من هؤلاء الجندرية من الاهانة
والذل ويستعرض مساوتهم ومعاملتهم التفضيحية للاعراب فلا بد ان يتوقع ان
ينتقم الاعراب منهم وان يقصوا على حياتهم بعد ان دفعوا بأنديهم . وليس
الشهامة العربية قد نكبت في هذا اسودت على مواضع الهائجة ، فأمر
الرؤساء اتباعهم بوحوب اعتبار هؤلاء الاسرى صيوفا لا أعداء ثم قال احدهم :
« تذكروا يا ناس انهم عرب وما وقد فصلوا ان يكونوا تحت حمايتنا على ان
يرافقوا الجيوش التركية » . وفي الحال احد كل من هؤلاء الجندرية مقفله
في المضيف المد للصيوف وقدم لهم الطعام حسب العادة العربية . اما لاسلحه
فقد وزعت على الافراد وفق اوامر الرؤساء واعانهم ، ولما كانت حيول تعود
ملكيتها الى افراد الجندرية انفسهم وليست ملكا للحكومة فقد يقرر ان تبقى
لهم مع امتعتهم الخاصة .

٩ - السيارات تحل محل الجمال في نقل الغلات الزراعية

وبقيت بعد ذلك بعض الرمن خارج المدينة لاضطراب الوضع اد بقيت هذه
الساحية من القطر العراقي بدون سلطة حكومية تقريبا حتى جاءها الانكليز بعد
مضي مدة من الزمن على احتلال بغداد ، وما كان اهتمام الانكليز بقيحاننا
الا لما احتوت عليه من ذخائر الحبوب التي كانوا ناشد الحاجة اليها بمدينة
جيوشهم وحيواناتهم فوضعوا اليد على الحبوب المحروقة وكسروا ابواب الاهراء
عنوة . ولم يمض بضعة ايام حتى كانت اسراب سياراتهم تجوب شوارع

(٢) وكان في مقاطعة المهاوية هذا القلعة والمصيفستان نموذجية واسعة توسطها شامة
حديثة من الاجر تضم انواع الفواكه والازهار كان شرف عليها خراف زراعتون استخدموا
من ايران فكانت أقصى اكثر ايامي في هذا المكان الذي بعد حوالي ثلاثين كيلومترا عن
بلدة الحلة .



التصوير رقم (٢٦) المؤلف في سيارته (العورد) سنة ١٩٦٩ - أول سيارة أهلية تدخل
بلدة الحلة - (انظر الفقرة ٩)



التصوير رقم ٢٧ - منظر من منازل سفلى الفرات ، نيسان ١٩٢٠ - اسي ابي
الانكليز في الحلة (انظر الصفحة ٩)



التصوير رقم ٢٨ - منظر آخر من سفلى الفرات (نيسان ١٩٢٠) (انظر الصفحة ٩)



التصوير رقم (٢٩) - فرس
المؤلف
الفائزة في سباق المرات
(انظر الصفحة ١٩)

١١ - فترة قلق

وقد كنت في هذه الفترة وقد أدركتني نهاية العهد الذي من حياتي اشعر بالقلق والاضطراب ، وهي الفترة المصرية في حياة الانسان حيث أصبح بعد طوغه عنه السن يفكر في مستقبله وغلب تحته . لانام له في محروى حياته البعيدة . وكان والذي قد عاود العراق لمرض الطيب في انفسنا ولم يبق طويلا حتى فارق الحياة هناك . فكان علي ان افكر في مستقبلي لوحدي . لذلك كان موت مر اوجع ما اصابني في حديسي واعمق ما اثر في نفسي . وكان احب لاكثر مني ذهب الى بيروت واسحق بجامعة الامريكية لدراسة طب الاذن في مصر في العودة لاسباب عائلته . وفي عام هذه الفترة اضطرت في محروى حديسي مرضي القدر الى صديق صدوق هو طبيب عسكري سوري انجسيه كنت - و - و - معروزة قوية واني مدين له بنوحيي اسوحيه الذي سارني ابي حيث ان يوم . فصالي ذات يوم : « هل فكرت فيما تنوي سسوكه من مسلك في حياتك المقبلة ؟ » ان العلم وانقافه هما اصغر راسم في حياة الانسان وعشجني اليك ان توجه كل تفكيرك وتحافاتك ابي دراسه لكي بعد نفسك مكسور طيبا مثلي ، وامامك الجامعة الامريكية في بيروت فهي خير مهل سمي جسم وسازودك بتوصيات الى اصدواني في بيروت بعددك نكن ما يحاجه من رمد وعون للدخول في الجامعة المذكورة . والجامعة الآن في يد سس الدراسة الحديثة وعليك ان تتاهب لسعر باقرب ومن للحاق بها لي اوفت المذم « فحات هذه الصبيحة في وقت كنت ناشد الحاجة ايها فاحد بها دون تردد ، وفي عليما ان سحرني عن الطريق الاصح بوصول ابي بيروت . اذ لم يكن

طريق الصحراء بين بغداد وسورية مطروفاً بذلك . فبينما بعد التحقيق في
 اقصر طريق يمكن سلوكه هو طريق الصحراء الذي يسير من الموصل ودير
 الزور عبر بادية الحريرة الى بين دجلة والفرات ، ثم واصل حبر من دير
 الزور الى حلب فيروت . ولطريق عبر بادية الحريرة يمر براضي فاصل شمر
 ولا يمكن اجتيازها الا بمعاونة رؤساء هذه القبائل وقصده بالحيث انحصار
 في الموصل ومن حسن الصدفة اننا وجدنا بها كبريت سمر الى بيروت
 نفس الطريق المدارة ايضا وساحرا بسيارة كالماتو ببيت الى حلب . وبعد
 احر ، بمعاينة المارمة ودفع الاناوة الى منزل فاصل شمر بديرنا الموصل يوم
 ٥ ايلول من سنة ١٩٢٢ رافعا دليل من ، وقلنا شمر منحيين نحو بادية
 الحريرة . وما ان احترنا ثلثي الطريق عبر الصحراء من الموصل ودير الزور
 حتى صاحبتنا عاصفة رملية هوجاء كادت تقذف بسيارتنا في حفرة . فكن
 لا بد من التوقف ولاستظار ريثما يهدأ ، ونحن انفسنا سمرت بصفة من
 ونحن مستحيون في داخل السيارة صامدين حتى هبطت حد البحر فقبلنا واذا
 بنا مدبوسين في داخل كسب سكب رماله ابواب السب ، وما قدما ارجعنا .
 وبعد خيلنا استمررت اكثر من ساعتين يمكن من فتح احدى سبوت استبارة
 واخرجنا منه ارجح بعد الاخر . وسمر الراي ان ندفع الدليل والنسائق
 منشبا على الاقدام بحث عن سمين بهم في البادية . مضى طول النهار وانا
 ورعيتي نرتب الاطباق البعد لعلنا نضطر حركة اسنان ما في عمق الصحراء
 ولكن دون فائز . فوصنا نحن في حافة يابس واذا بالسياح صعبه سراي لنا
 من عيب وعي سجة نحونا ثم بعد ان اقتربت امكن شخص اربعة اسداس
 على ظهر احمال منحيين نحونا هم . ادليل والنسائق برفعهما يدورن . وما
 ن وصاوا لنا حتى ملأنا بطوننا من الماء الذي حموه معهم . ثم تركنا السيارة
 في الصحراء وركبنا احمال فوصنا بعد مسيرة ساعتين الى قرية صغيرة من
 حوب شمر حونها قطع من اشم وبعض الجمال والخيول . بنا الديفة هناك
 ثم دعب اساق والدليل في اليوم التالي برفعهما اربعة من لبدو الى حيث
 كانت تعف سيارنا وسط الرمال . وبعد جهد كبير تمكنوا من سحب الرمال
 عنها ، شحبلها فحازا بها في المساء صا اصطبرنا الى المست ليله اخرى في
 امره . ثم عذرنا في الصباح الباكر وذهبنا الى دير الزور حيث عبرنا نهر
 الفرات ومنها توجهنا الى حلب فيروت .



النصور رقم (٢٠) - أول محطة للقطار تأسس في الحلة تحت إدارة موظفي س
الهند بعد الاحتلال البريطاني (النظر العترة ١١)



التصوير رقم (١٢١) - أول محكمة مدنية تشكل في منطقة الفرات برئاسة حاكم
بريطاني بعد الاحتلال البريطاني (انظر العترة ١١)



التصوير رقم (١٢١) أول تشكيل لمعش أهلي في الحلة برئاسة ضابط مرافقين تحت
إشراف مدربين الكلبز وكان يعرف بمعش النسامة . (انظر العترة ١١)



التصوير رقم (٢٣) ←
صاحبان عراةيان في جيلس
الشبانة (انظر الفقرة ١١)

التصوير رقم (٢٤) - اول تشكيل
لجيش الشبانة من الحيلة تحت
اشراف مدرسين من الانكليز
(انظر الفقرة ١١)



الباب الثاني

دراستي في الجامعة الامريكية في بيروت

١ - التحالي بالجامعة الامريكية بيروت ٢ - الطلاب العراقيون في الجامعة الامريكية ٣ - كلمتي في الجمعة المرافقة يوم ٢١ مارس ١٩٢٤ ، ٤ - كلمتي في الجمعة المرافقة يوم ١٩ مارس الثاني ١٩٢٤ ، ٥ - بورسي على جريدة الصباح ٦ - مشاركتي في ماراد استاتة خطابه في ٢٢ ساط ١٩٢٥ ، ٧ - حفلة اذنه في المحلة يوم ٢٢ ساط ١٩٢٥ ، ٨ - مشاركتي في ماراد استاتة خطابه بابه في ٩ مارس ١٩٢٥ ، ٩ - بعض الفواتح والاحداث في الجامعة الامريكية ١٩٢٢ - ١٩٢٥

١ - التحالي بالجامعة الامريكية بيروت

وفي بيروت راجعت الجامعة الامريكية (١) فواجهتها مشكلة عمي بعين اصف الذي يمكن ان الحق به . اذ كان عمي من كل شيء ان احصل على شهادته الثانوية لتسني لي الدخول في الكلية . وبعد جتار امحد عام بقر في صوته احاطني بالصف الاخير من صفوف الدراسة المتوسطة وديت عمي سبيل التجربة على ان ينظر فيما بعد لاجداد العسرور اسهني بعد دراسته في سبي العلمية . وكان الاساذ الكلف سرافه دراسي يدعي مسر آرمسمرويك (امريكي) ، وكان يميل الى مساعدتي وشجيعي اذ كان يرى بانني اكبر سب من اقربي في الصف . كما انه كان يلمس ما كنت ابدله من جهد مواصلة لاستيعاب الدروس . وبعد مرور حوالي الشهر اوصى بزحمي اني انصف الرابع (اذول اعدادي) فالتحمت به واهيته سجاح في حزيران ١٩٢٣ . وكان مسر نحاحي اربعه اشديدة في الدحاق لما طويته من سبي اشيب دون بحصيل او مسعدة علمية ، وكان الاساذ يشعرون بذلك فامدوني بكل وسائل التشجيع والعون . وقد قصيت صبيغة تلك السنة مع الطلاب العراقيين اصحاب في رحلة . ومن اشباط الرياضي الذي مارساه في تلك الصيفه قيامي اما والمرحوم محبي الدين يوسف برحلة الى جبال لبنان مشيا على الاقدام استغرقت حوالي الشهر . ثم التحفت بالصف اثنهي الاعدادي بعد نصاه فصل انصف بالمراجعة والسبع ، وبحرحب في نفس السنة (٢٧ حزيران ١٩٢٤) من قسم الاعدادية ، مما اهمني للدخول في الكلية .

(١) است هذه الجامعة باسم كلية بيروت للتعليم العالي عام ١٨٩٢ من قبل المبشرين البروتستانت وجعلوا على راسها « دانيال بليس (Rev. Daniel Bliss) »

ثم أصبحت هذه الكلية فيما بعد « الكلية السورية الانجيلية » كما صارت بعد ذلك الجامعة الامريكية بيروت على ما هي عليه اليوم .

٢ - الطلاب العراقيون في الجامعة الأمريكية

وفي محيط الجامعة التفت بإخواني العراقيين من طلاب الكلية ومن ضمنهم أول بنته العراقية بوقت نزل حرج عراقي مند حبيب حصة لاوي وهم وحسن حمداني ، محمد دشقي ، يوسف رسل ، حسن قدو ، محسن الحسن يوسف ، حسن حواء ، فكري خير معون في إرشادهم وتوجيههم أري .
وتم بعض وقت طويل حتى ساربت أتراسي في معمودي العربية وأجنت أسامهم في استشارات لاجتماعية وندائية في الخدمة . فاستميت إلى جمعية الطلاب العراقيين في خدمته .
في عقدت جلساتها الأولى يوم الأحد لصادف ١٣ نيسان ١٩٢٤ .
في هذا الاجتماع بحثت أعضاءي أخي نخلص الطلاب العراقيين في خدمة تهيئاً لتسجيل الأعضاء وانتخاب الهيئة الإدارية . وفي ٢١ نيسان ١٩٢٤ اجتمع الطلاب العراقيون وكان عددهم ٤٦ طالباً من ضمنهم واحد ، صورة مجموع أمام وست هول مع رئيس الجامعة بايارد دوج .
انظر التصور رقم (٣٥) .

التصور رقم ٣٥ - صورة ترحيبية للطلاب العراقيين في الجامعة الأمريكية في

بيروت (أول بنة عراقية توفدت إلى الخارج للدراسة) مع رئيس

الجامعة المستر بايارد دوج أحدث في ٢١ نيسان ١٩٢٤

الجالسون على الأرض من اليمين إلى اليسار :

جلعوان ، خدوري خدوري ، نازم نازم

الجالسون على الكراسي :

من اليمين : فليمو ، أحمد سوسة ، رئيس الجامعة دودج ، منى

عقراوي ، ألور ملكة

للمصف الأول الواصلون :

مظهر فليمي ، أكرم ونعت ، ممتاز عارف ، أكرم فتحي جلجلعوان ،

ناجح النشماني ، النعمة .

المصف الثاني : يعقوب وزن ، فؤاد حسو ، أنور مته ، اكروم زينل ، يونس

حسا ، بطوان صبري ياتقو ، عبد الواحد بيثون .

المصف الثالث : محمد الدشقي ، فوري رونائيل ، داود سلمان ، فرج الله ويردي ،

كمال حبيبيل ، ، مرويش الحيدري ، يوسف خدوري ،

يعني الباججي .

المصف الرابع : حسن جواد ، أحمد النعمة ، إبراهيم السام ، صبيح الوهي ،

نحسين أبراهيم ، وديع سليمان ، صموئيل بيثون ، فوفيق

تسكوري ، جميل جموعة ، اسماعيل الجوربهجي

المصف الخامس : أحمد دوفرامجي ، يدروسيان ، محي الدين يوسف ، يوسف

زيبيل ، حبيب قدو ، لائق ...



ومن ثم عقدنا جلسة عاقيت كلمة بالمناسبة لانت استحقاق
٢٠ حاضرين (بعدها الماري في الفقرة ٢) . وتلاني خليل مدو فكلم عن رحمنه
الى بغداد خلال العطلة ، وبعد المداولة في شؤون الطلاب العراقيين انصبت
الجلسة . ثم عقد اجتماع يوم ١١ حزيران ١٩٢٤ تكلم فيه متي عقراوي ودع
فيه اخوانه العراقيين بمناسبة تخرجه في الكلية .

وفي يوم ٢٢ تشرين الاول ١٩٢٤ عقد احصاع لانتخاب الهيئة الادارية
الاولى لسنة ١٩٢٤ ، فتراس الاحصاع فاضل الجمالي واحريت الانتخابات
فقدار محي الدين يوسف برياسة الجمعية ويوسف زمل بالسكرتارية وحمل
استريادي بأمانة الصندوق .

وفي بداية السنة العديدة (سنة ١٩٢٥) عقدت الجمعية العراقية اجتماعا
في ٢٩ كانون الثاني لاجراء انتخابات جديدة فانتخبت عشرين عضوا ثانويا ابا
بينهم عهد النا بانتخاب الهيئة الادارية الجديدة . فاجتمعنا (نحن العشرون
عضوا ، في ٣١ كانون الثاني ١٩٢٥ وانتخبتنا محي الدين يوسف للرئاسة
وصبيح الوهي للسكرتارية وخالد حالت لامانة الصندوق ونحسين ابراهيم
مراقدا له ، كما تم انتخاب اعضاء اللجنة الادارية وهم : شت نعوم وممتاز
عارف وانا .

وفي ٥ حزيران ١٩٢٥ عقدت الجمعية العراقية وكانت جلسة انتخابات
فانتخب فاضل الجمالي رئيسا للجمعية .

هذا ما سجنته في مفكرتي اليومية عن تأسيس الجمعية العراقية في الجامعة
الامريكية في خلال وجودي في الجامعة بين سنة ١٩٢٢ و ١٩٢٥ . وفيما يلي نص
الكلمة التي القيتها على الطلاب العراقيين في اول اجتماع لهم في الجامعة يوم
٢١ مابس ١٩٢٤ :

٢ - كلمتي في الجمعية العراقية يوم ٢١ مابس ١٩٢٤

اخواني :

لا استطيع ان اظهر لكم ابتهاجي بوجودي بينكم وانا في وسط اخواني في
هذا المنتدى الذي عقدتنا وايام الرابطة الوطنية والاحوة العراقية ، إلا اذا
كانت لي فصاحة احد اخوانا المسلمين الى الدوائر العليا (المقصود هنا صفوف
الكلية) ، وان موطني هذا لموقف رجل مرتبك اراد ان يصف البدر فلا يدري
ماذا يقول فيه وهو باد للابصار ليس دوته غشاء .

يسرني جدا ايها الاخوان ان اقي عليكم كلمة في هذا النهار السعيد ، اقول
النهار السعيد لانا نرى انفسنا لأول مرة في الجمعية العراقية التي تعلق عليها

الآمال . وما هي تلك الآمال ؟ أما لا أزيد على أن هذه الجمعية ستكون عملا كبيرا في جمع شملنا وتنبيه افكارنا الناشئة الى ما نحتاج اليه كشبان أمة ناهضة يريدون أن يكتشفوا أهم ما نحتاج اليه مبدلون غاية الجهد مكروسين الحياة لخدمة تلك الأمة . يسرنا جميعا ما نسمعه عن انهضة العلمية والأدبية الحديثة في قطرنا وهذا ما يبشرنا بمستقبل راقي (زاه) وراقي سامي (سام) نصاهي به سائر الأمم اراقية ، لا شك أن هذا الرجاء يتوقف على أعمالنا نحن شباب اليوم ورجال اشد على متوننا تلك الحضارة التي ننامها لوطننا المحبوب .

فهل نحن مستعدون لحمل هذه المسؤولية المهمة الضخمة ؟

لننظر الى ماضي تلك البلاد التي ترعرعنا فيها وتنشقتنا هواءها وشرينا ماءها وتظلمنا بأديم سمائها ، ماذا نرى ؟ حضارة أضاعت دياجي الغرب وحولت جهلهم المطلق الى قريحة وقادة باكتشاف غوامض الحياة وأسرارها . تذكروا أيها الإخوان أن أبناء بلاد الرافدين هم أبنائنا (أبنائهم) بالأمس الدين رقصوا معالم الأدب ما يفتخر به التاريخ العربي وشيدوا من الآثار ما ليس للدهور قدرة على إزالته .

أزوراء مدينة الرشيد ! يا منبعث المدنية الشرقية ويا مامل النور الساطع الى كهوف الغرب المظلمة ! ماذا دهاك ؟ فانزريت في زوايا النسيان واحتجبت عن العالم بأسره حتى أصبحت كالكنز مخفيا ، وما كان سبب انحطاطها وما الذي عرقل مساعي مواطنيها بعد أن كانت بلاد الغرب ترتشف من ماحل علومها ؟ لم يكن وايم الحق سبب هذا وذاك إلا عدم تركيز الاتحاد بين الافراد على أساس متين ، وقد شهدنا كيف أصبحت تلك البلاد الجميلة طعمة ساقطة لأرباب القوة والطمع وهذا ما هو جار في كل قطر واجته جراثيم الجهل والتفرق فلا يلبث أن يفسى ضميما لا يتجرا أن يواجه تلك اليد القوية القابضة على زمامه إلا بين للمهابة والترقير .

فلنعبر بماضيها :

ان اختلف ما في الزمان الآتي

ففس على لماضي من الاوقات

فللتجد لتحقيق غاية واحدة فنكون حينئذ كاللوحه العظيمة التي تقسم ما تحتها من حرارة الشمس وشدة البرد فكل منا نحسن من أغصانها بهتيز لحركتها ، فحياة تلك الدوحة ونموها هما نفس مجموع تلك الأغصان ونموها، فلننشأ معتمدين على أنفسنا متحدين لاعلاء مجد بلادنا ، ولنفرس هذه الجمجمة في صدورها حس المسؤولية أمام التاريخ والعالم عن عز بلادنا كي تكون أعضاء

من نحن بعض هذه في خدمة رادده ، وهكذا سنبدأ منكم رجلاً (رجلاً)
محرراً ، به وعمرى لا سبل في الرجولة لا رحمن ، مستحرم أواح
برصى وصحى حـ في سبل خدمة من من إنسان حق نوصيه ونوصيه
لا أنفسه (٢) انتهى

٢ - كلمتي في الجمعية العراقية يوم ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٤

طلعت الجمعية العراقية في الجامعة الأمريكية
اجتماعاً في الساعة الرابعة بعد الظهر وقد كرس هذا
الاجتماع لالقاء خطاب من قبل الأعضاء فالتفت فيه الكلمة
التالية وقد نشرت في مجلة الصباح البطانية في بعدها
لشهر كانون الأول ١٩٢٤ .

أخواني :

يسرى جداً أن أعزاً أن بقي على مسامعكم كلمة أتم أخواني الكلمة
وحدسون في مثل هذه الاجتماع دار جنوب حيث يستطيع كل منا أن يعبر
عما يحتمل ذهنه من أفكار جديدة ، يبحث بها أخوانه الأعضاء على الإخاء والتعاقد
والاحتماد برقي جميعنا هذه .

أستشعر في مثل هذه المناسبات مصقع واجب منكم فصاحتني ولا بالكاتب
محرراً فأنتم من ترونكم برفه بعض ردة مناسي . قد ألق ببيكم وقفة
أجـ ودار محض مدفوع بوحدي بوعيه في هذه كلمة وجيزة ، كلمة أعبر
به عدم دكمه نفس صوحه لا برصى من ولا برصى بهون بل تنظير إلى
أسمى روح من رزني مشرقة رقة مستغن ... من تكسها أمناً
حسوة في أيام غدها .

أستشعر من هذه الجمعية كما لا يخفى عليكم جميعاً هي إلا لتعرف بعضها
بعض . وبذلك وحدة قوية فوامها أمة وطن واحد واستندل حرائيم التعصب
وسفرته في المستند لا يحول إجهال بحدس حيث سنو وتكبر حتى
يسرى في أعضاء كنه بقومته فبودي بكل أسي حصص ، حصص الحول
وتجسد وهماك اليلاء العظيم والشقاء المقيم .

(٢) ولا بد من الإشارة في هذا الصدد إلى أن الحماس الوطني القومي كان على أشده بين
نظرة بمراس ، فكان من من نظر معارخ العصر موعد المخرج من الجامعة لئلا
به يعود إلى الوطن المستطاع بالمسؤولية الملقاة على كاهل من حسب اختصاصه . فكان
هذا الشعور طوقاً في نفوس الجمع باعتباراً الدفعة الأولى التي يصعد عليها الوطن في
ساعة كانه الحديد .

اجل ايها الاخوان ان غايتنا القضاء على هذه الجرائم الفظيعة ، وذلك بواسطة اجتماعنا هذا الذي يضمنا مرة كل شهر ، يضم صغيرين وكبارنا ، قديمتنا وحديثنا من مختلف لطوائف المذهبية والبلدان العراقية ، ولكن كيف نهلك تلك الجرائم ايها الاخوان ؟ بهلكها يحرس بذور النسايل والتسامح في صدورنا (تينك انصفتين السين لا بجاح لم يدونهما) وهنا تصبح جميعنا اخوانا متحدين لغاية واحدة ، متعصبين بعروبتنا الشريفة ، واذا فرقتنا المذاهب تجمعنا جامعة الوطنية ، وتؤلف بيننا رابطة القومية ، وتوحدنا تلك اراية المحبوبة ، وايضا ذات الالوان الاربعة الجميلة .

ارحب بكم ايها الاخوان الحديثون وارحو ان تكونوا لنا عوناً متيناً وساعداً عاملاً في سبيل التوصل الى تلك الغاية الشريفة التي نتوخاها من جميعتنا هذه ولنجعل نصب اعيننا صباح مساء امرأ واحداً الا وهو ان الامم بالافرادها فان نجح الافراد فارت بساحهم ، ونجاح امتنا اليوم متوقف على اعمالنا والقيام بواجباتنا نحن افرادها ، بلكم الواجبات الوطنية المقدسة التي تصلا قضاء صدور افراد الامة عزاً وشرفاً يباصحان قمم الجبال الشامخة بارتفاعهما اذا ما قاموا بها حق القيام .

اخواني ، ان البلاد التي ترعرعنا فيها ووطأت اقدامنا حصص تربتها ، والهواء النقي الذي استنشقنا عليل نسمه ، والمياه العذبة مياه دجلة والفرات التي ارتشقنا عذب سلسيلها ، والسماة الصافية التي طلما ظللتنا بوشاحها الاررق الجميل ، ان ذلك كله يا ابناء وطني الاعزاء لندعونا الى المسمى المتواصل والنهوض ، ويلقي على عواتقنا مسؤولية وبنا لها من مسؤولية تعاسبنا عليها سنن الله والتاريخ والعالم .

ان بلادنا اهدتنا اجساماً صحيحة وعقولا نبيلة ، وغرست في نفوسنا تلك الانفة التي خلدها اسلافنا بين احجارها وصخورها ، تلك الآثار التي تزدرى بنا كلما حدثنا بها اليوم فقد حار لها ان تطالبنا بحقوقها وتسالنا بما علينا بحرها ، فكم يكون افتخارنا عظيماً واعجابنا شديداً اذا القينا انفسنا متقلدين سيوف العلم ، متحصنين بمعاقل العرفان ، محلقين باحسنة النهوض في اوطاننا حيث تؤلف مجموعاً ناهضاً رافعاً به بناء جديداً اساسه الحق والعلم ودعمته توحيد الكلمة والرأي والنية .

لننتقم ايها الاخوان ونتمرد ما اتينا من احبه هذا المعهد العلمي ، ولننمحص ملياً غايتنا من المكوث في ظل حدران هذه الجامعة ، بنا لم ندم ان هذا لا لنتروي من مناهل العلوم والآداب - حصوساً ومما قلنا التي بعد عن عبارات اعدائنا في مستقبل ايامنا - ولقد غادروا اسماؤنا وتركنا اوطاننا - ناديين كل عال وثمين في سبيل فكرة التحصيل لتكون قادرين على النهوض بامسا المحبوبة الى مستوى الامم العراقية .

ان نمران ايها الاخوان يسطرنا على آخر من احمر اليوم بنا حينما على
عوانتنا من المسؤولية وسرهم للاهم اننا ماديون على ندير شؤون شعبنا وانا
ببر حامد ، وانحيط لدي نعيش به اليوم قد جمع بنا بين صروحه كسل
ما يحتاج اليه من الوسائل والوسائل لنوصل الي درى العلاج . وذلك اذا
عرفنا كيف نسمع منها .

فلنتهز ان هذه الفرصة الثمينة التي ندعونا الي الانماع بها ولنسمع
السعي الحثيث لمواصل غير مهملين تحصيلنا وسمع انفسنا بالحرية المطلقة
ولسخلق بأفضل الاخلاق حاملين بين حبيبنا سريرة نعه طاهره نعدمها هدية
الي وطننا المحبوب فسما اد داك - الحمدي والمسيحي والموسوي - متحدين
لنقاية واحدة متطرفين بقومتنا . مكرسين الحياء لنقيم نواحياتنا اوطسسه .
نابدين تعصب المذاهب والاديان الذي يعمي الانصار والبصائر وهكذا نكون
- مع مزيد الفخر - عبرة للمعتبرين وقودة يسبح على موالها اثراسا
ومواطينا .

٥- ثودتي على جريدة الصباح

يتضح من مسيرة ايام الصبا اني لم اكن ملما بالناريخ ولم اهمم الا الزر
اليسير من تاريخ الاديان عندما عادت العراق قاصدا الجامعة الامريكية في
بيروت وذلك على الرغم من بلوعي الثابة والعشرين من العمر ، وكل ما كنت
اعرفه اني ان هذه السلة (الحلة الفحاء) فاحبتها واحببت وطني منذ
الصغر . فقد طويت هذه السنين الطوال وانا لاه بين اقتناء الحيل والبندقية
والتصوير واحبوا السيارة الخ . . وكانت مخالطتي مع رفاقي وكنهم من المسلمين
مندمجا معهم في كل ما نوحيه البيئة من ميول واهواء . ثم صرت احس
ان هناك فوارق في المجتمع الواحد ، فهناك مسلم ويهودي ومسيحي . فكانت
هذه المسألة تستأثر بكل تفكيري وحواشي تبعت في الشوق للتحصيل والتزود
بما يتورني في هذه الامور الفاضلة المعقدة . لماذا هذه الفوارق وكلنا عرب ابناء
وطن واحد وقومية واحدة؟ (٢) وقد بقيت هذه المشكلة تلامني طوال السنين
النالية حتى انتهيت الي معرفة ما كنت اجهله حتى اصبح هذا الموضوع من
ضمن اختصاصي العلمي .

(٢) يلاحظ القاري بان جميع كتاباتي كانت تدفع بصورة تلقائية لا شعورية نحو الدعوة
الي الوحدة والتمسك بالقومية العربية حتى ناديت بها علنا في حلة المسابقة الطلابية
التي اقامتها الجامعة الامريكية يوم ٢١ شباط ١٩٢٥ ، وكانت نتيجة ذلك ان اسقط
اسمي من بين المتبارين لاني نظرت الي موضوع بعض السياسة وهو مغلور التطرق اليه
حسب قانون الجامعة (انظر الفقرة ٦)



التصوير رقم (٢٦) - المؤلف يتوسط مجموعة من زملائه في الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٢٥ .

وفي عمرة هذه ألهاها جس التي كانت تحميم على تفكيري وأنا أواصل دراساتي في الجامعة الأمريكية في بيروت ظهرت في بغداد جريدة اسبوعية هي عريسة في الطاهر ولكنها تسمى بالشؤون اليهودية فقط تسمى جريدة المصباح الاسبوعية تصدر كل خميس صاحبها ومديرها المسؤول لصهيوني لعرقي سدمان شمينه ورئيس تحريرها انور شاول ، ابن السموال) صدر عددها الاول الخامس في ١٠ نيسان ١٩٢٤ واستمرت ثلاث سنوات ثم توقفت . وقد تعرفت على طريقها برئيس تحريرها انور شاول وهو شاب اديب شاعر صارت بيني وبينه مراسلات وكان يرسل اليّ جريدة المصباح بانتظم . فكنت انحس من مطالعة هذه الجريدة بنفس الهواجس فتستوقفني علامات استعظام : مجلة عربية تظهر بالذمة العربية والوطن واحد وفي ابوت نفسه تحتضن اخبار وحوادث طائفة معينة (الطائفة اليهودية) في حين اننا كعرب في وطن واحد . فعلى بساطتي دون ان اكون اعلم بان هناك حذورا لما يسمى بالصهيونية ، وبكل صراحة كتبت الى صاحبي رسالة بتاريخ ١٦ ايلول ١٩٢٤ وكنت آنذاك مصطفىا بزحلة اقتنطفت منها ما يخص هذا الموضوع قلت فيها :

عزيزي انور افندي المحترم

لدي ملاحظات اعرضها عليك وهي تتعلق بما لاحظته في مجلتك الغراء ، علم اني بدأ من ان ابدي لك ما الفيتنه من تقصير في مسلكها ، ولولا تقني بمرى

صدافنا لما نجاسرت ان اعرض عندك رايي ، وما اصدق القول (من كم الضمير
مرصه فقد خان نفسه) . ولهذا اجاز لك بما اعتقد ولم يكن اداء رايي
الا راي صديق يريد لك ولحديثك كل احير .

عريري - لو تأمل العري ، حيا في فحوى صفحات مصباحك التي تصبي
على الدوام لوجد لأول ومنه انها محبة يهوديه ليس فيها سوى حوادث ايهود
واكثرها طغيانه لا اهمية لها في حياها الاحمائي ولا يمثل ابي تلاويهاا غير
ايهودي لما حوينا من مقالات وحوادث يستشتم منها التعصب بطائفه اليهوديه . .
ليقر عني ابي اصدق العري ان اسير لي صلال مسدك المصباح اذ كان عليك
ان لا تعصر يا حمارك على الطائفه اليهوديه بل مشاركه مجموع ابناء لوطن
بافراحه واوراحه . ان اسرفه واضعص بحلول دون بقدمنا ونهصتنا . لذلك
فعلى كل شاب مثقف ان يرعى واحبائه الوطنيه وان يشد التعصب الديني فقد
خلق الانسان لوطنه لا لنفسه . . لا ادري وايم الحق ان كنت مصيبا باستفادي
هذا واكتفي بم افص بما كان يحول يحاري الا حرصا على سمعة مجلثك . .
اسا في عصر لا تقدم فيه امة ولا نهض من صوه الجهل والاحطاط الا بالانحداد
اوطني وانعاون واسفاهم ما بنا وادين وما ادين الا رايطة بين الفرد وربه
فان كان صاحبا يلافي حزاء عمده لصبح عند ربه وان كان شريرا يعاقب على
فدر هفكراته وشروبه .

وقد الحقت هذه الرسالة بفال عن المصباح اوسلته الى انور شازل وتكه
لم يشره ، هذا بعض ما جاء فيه :
لحصرة صاحب جريدة المصباح الفراء المحترم

تحية واحراما وبعد . فقد دفعني الواجب الوطني لان اتقدم كشمار
عراقي بنالم لفقدان روح الاتحاد القومي وبسواء لارتقاء عرى الأخوة العراقيه
في ربوع الراقدن ، راحيا بشر السطور المائه على ظهر صحيفكم الفراء حب
بالاصلاح الاحمائي وعملا بالحرية الفكرية ولكم ممي مزيد الامتنان . .

المصباح تعكس اشعة التعصب والتفرقة

شرت صحف الزور اخبر صدور صحيفة ادبية عنوانها المصباح فاستشمر
الكل بها وصار الناس ينطرون اليها كمصدر للتأخي بين الطوائف العراقيه
وطيدا لعري اوحدة لوطنية لما للصحف من تأثير بدى الامم في بث روح التأخي
وعري الوحدة الوطنية . نوالك الانام وادا بالآمال قد خابت اذ لم يصح الا
انام فلانل حتى ظهرت علائم التعصب الطائفي الدميم بين سطورها .

ان صاحب المصباح عراقي عري وقد بال امنياز جريدته بصفته عراقيه .
بعض النظر عن الطائفه التي يسمي ابيها وقد كان الامل والحاله هذه بان يقوم

مراجعة كصحفي عراقي نحو وطنه وقوميه العربيه ، ولكن من بعد ج .
عدد من اعداد حريته فانه لم يجد فيه ما يشير الى قسامه بهد الواجب ، ا .
هو في نظري رجل معصب قد اهل الواجب الوطني المنى على ، به السحبي
ان صاحب المصباح لا يصر عن شعور الاسرائيليين في العراق كما .
انهم بل يعبر عن رايه لان الاسرائيليين في رباب ايرافين مرادون عراق
ولو يركبوا الا تحت ظل اوحده اوطيه اعرافه . وعلمه اذا ما صدر صاحب
المصباح بما ينافي الروح الوطني والوحده العربيه فذلك لا يدل على حسنه
الاسرائيليين عموما بكلامه وبرايه . انا لا ارد ان اسرد السواعد والبراهين
العديدة قاييدا لما اشرت له انما عن تعصب صاحب المصباح ، وانما اكتب
بدليل واحد اسرعني امباضي : لقد نشر احدى صحف الزوراء في اخبارها
اعلية حر قدوم عدد من الطلبة العراقيين في الخدمة لانه سرور لغدا .
طلبتهم بين اهليهم فكان بين الذين درجت اسمائهم المسسم والمسيحي والاسرائيلي
بلا تفريق بينهم لان الكل اسماء وطرف واحد وهم اخوة شربوا كؤوس العلم من
مهل واحد والبلاد تنتظر من اعرقيين جميع سوء اكاوي مسلمين ام مسيحيين
ام يهودا خدمات جلى في حياة جديدة حياة المستقبل . اهل تدرون ما نشر
صاحب المصباح على ظهر صحيفته ؟ فقد اختار من بين اسماء ابقاديين الاسرائيلي
فقط ونشر خبر قدومه . هذا دليل من أدلة كثيرة تبرهن على ضلال حريته
المصباح وبث روح التعصب الطائفي النميم . الرابطة الوطنية القومية اشرف
واعظم من ان يجعلها المرء صحبة تعصب ديني طائفي . انما في عصر لا تتقدم فيه
امة ولا تنهض من هوة الجهل ولا يحطاط ما لم يكن رائدها الاتحاد الوطني
وسيلها التآخي والتعاني ، ما لنا والدين يا صاحب المصباح وما الدين لا رابطة
بين الفرد وربه . عار علينا يا قوم بأن نصبح كلاعبي الكرة كل يسعى جهده
بأن يدهد الكرة الى جانيه ، نحن لا نريد ان نكون في مؤخرة الامم بعد ان
كنا في مقدمتها . سنترك التفرقة والخلاف ولنؤلف كتلة قوية نسير فيها
جميعا جنبا الى جنب نحت لواء الاتحاد والتآخي لخدمة الوطن .

ولا يسعني وقد ادركني الحثام الا ان اوجه كسئي الى من يحذر بهم ان
يسادوا بالوحدة العراقية المنشودة واعني بهم ارباب الاعلام والصحف .

اليكم يا ارباب الاعلام ترفع الامة بدمها ، وعليكم تلقي الواجب باسسير
في طريق الإصلاح ، فانتم لسان الامة واسم المسؤولين بالدفاع عن حقوقها
وانتم ساعدها الايمن الذي تمتد عليه في قهضتها من هذا الحمول والاحتطاط
فليبادي كل منكم بالوحدة العراقية فنضموا للامة من الاخاء سلما ومن التسامح
فرقانا لترتقي بهما الى قمم المجد والرفي وما اني اصيف صوتي الى اصواتكم
اعترافا باخلاصكم نحو بلادكم هاتفا : فليحيى العراق متحدنا ولتحيى الوحدة
العراقية تحت ظل الاخاء والمودة .

١٥ آب ١٩٢٥

٦ - مشاركة في مباراة انشائية خطابية في ٢١ شباط ١٩٢٥

وبعد أن لحقت بالكبة في الجامعة الأمريكية افتحت أمامي أبواب العمل والحرص للمساهمة بفعاليات طلاب الكلية على مستوى عال ، ولما أعلن عن مباراة خطابية انشائية يشترك فيها طلاب الجامعة بصورتها الاربعية ، وهي مباراة تبرع بجوائزها الامير خرعل امير المحمرة ، تقدمت بتاريخ ٩ يناير ١٩٢٥ بمقال بعنوان « الشرق وحاجته الى التجدد » ، كما تقدم أحد الطلاب العراقيين من الصفوف العليا بمقال ايضا ، فكان عدد المشاركين من طلاب الكلية (صومعها لاربعة) كبيرا الا أن اللجنة المخصصة لم تنق الا سبع مقالات كان مقالتي من بينها . وكما كان استغرابي لنجاح مقالتي وأنا لم أنه حتى السنة الاولى من الكلية في حين أن مقال لطالب العراقي الثاني الذي كان في اصف المنتهي من الجامعة لم يحز لقبول . ولما كنت حديث العهد بدراسة اللغة العربية بالنسبة لبقية الطلاب الذين قصوا عدة سنوات في دراساتهم لعدة العربية فقد كان نجاح مقالتي مشجعا للغاية مع اني كنت في قرارة نفسي اشعر بمراة لعدم نجاح مقال زميلي العراقي . وقد بدتني الاستاذ انيس الخوري بنجاح مقالتي وهنائي وطلب الي ان اقبله مقابلته ، ومع أنه أتى على المقال الا أنه اشار الى وجوب حذف كل كلام يست بالسياسة او الطائفية او الديانات فكان هذا التحذير مخرجاً لصله الموضوع بالثلاث . وكان عليّ استظهار الخطاب وحفظه والاستعداد لالعائه بذكر الاستماع بالمقال المكتوب في الحفلة الكبرى التي ستقام في مقتدى وست حول مساء السبت المصادف ٢١ شباط ١٩٢٥ وقد تعين أن أكون سادس الخطباء فيها . فكنت اذهب الى ساحل البحر في راس بيروت اصعد على الرابية وألقي الخطاب بصوت عال وكانني امام الجمهور المحتشد في القاعة حتى جعلت الخطاب ومراته على ظهر قلب عدة مرات . وفيما ياتي نص الخطاب الذي ألقته في الموعد المعين وعنوانه « الى الامام » :

لقد كان من حظي ايها السادة أن أكون سادس المتكلمين في هذا الحفل الموقر فتذكرت الآية القرآنية الشريفة (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالمعيب) فتشأمت من هذا التصادف ولكن لا سبيل للتحلص فلا بد من القاء كلامي ، وربما يتساءل البعض ماذا عسى أن يكون كلام ابن الرافدين وقد يشم من موضوعه رائحة ثورة ؟! اطمئن ايها السائل فكيف تنتظر ثورة وهناك قيد حديدي يقف حائلا دون اطلاق العنان للحوض فيما يوحيه الضمير ، فانا الآن ذاك الحر المقيد الذي وصفه لنا وصفاً مسهباً في الحفلة الماضية للحسامي جيب افندي حلف .

مبادئنا سادتي :

في سكان هذه الارض المقدسة ، مهبط الوحي ومسقط الانبياء ، هذه البلاد التي تصمم بين أحشائها عظام مشيدي لحصارة التي اتخذها اخرييون أساساً لمدينتهم احصر البحث منعاً عن سر تفهقربا داعياً الى ما فيه دعامة الرقي واساس التقدم - الا وهو التجدد فالارتقاء .

اما لا اريد ان اكثر الكلام بسرد اسفائض والاسباب التي أدت الى انحطاط الشرق أو بالاحرى الى حالتنا الحاضرة ، وهذا امر قد ذهب فيه الناس مذاهب شتى ، انما أقول ان علينا ان نسعى بكل ما اوحته الينا العناية الالهية من حكمة ومياس الى النهوض من سباتنا العميق وذلك لا يتسنى لنا الا بتغيير في حالتنا الحاضرة .

ان تحلف الشرق ليس الا ما خلفه احجامنا عن التقدم نحو الفرض الحقيقي واحمالا حل مشاكل الحياة الجديدة المعقدة . نحن نقبل روح النبوغ ولا قلب يخفق في صدورنا ، وننبذ قابلية الضحاعة للامم الراقية ولا وتر يهتز في نفوسنا .

ليس من شيء في علمنا هذا ايها السادة الا وهو عرضة للتغير ولا بد من تطوره من يوم لآخر ، وان الحياة الاجتماعية في كل رطل ومجتمع مسيرة بسنة التطور والتغير فنسج انقلابات عظيمة في الهيئة الاجتماعية نحو التقدم والارتقاء . فما هي الانقلابات التي حدثت في العصور المصرفة تثبت سنة التطور والتغير ، ان الامم اليوم غير ما كانت عليه في الاجيال القابرة وستكون في المستقبل غير ما هي عليه اليوم ، فقد انقشع الصباب الكثيف الذي اخمل الاعمدة الفكرة وامسى الاحياء فاعضين يشعرون بالواجب مجددين في ترقية مجتمعاتهم .

نظرة الى الشعب الفرنسي والى ثورته الكبرى التي قال بها الحرية الشخصية ، والى امريكا التي خضبت المعاء ارضها في سبيل استقلالها ، وانظروا الى الايطاليين الذين قاتلوا بكل ثبات ونشاط في سبيل نزع الراية النمساوية من فوق رؤوسهم ، والى سواهم من الامم التي رفعت لواء النصر والسعادة يرغف فوق رؤوس ابناءها بالجهاد والعمل ، فالتبدل اذن سنة من صفن الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

كل هذه الانقلابات العظيمة والشرق لا يزال مكتوف الايدي جامداً ضارباً بكل ما تآمر به سنة الحركة والتطور عرض الحائط ، اللهم الا امة اليابان التي حافظت على آية التقدم والنهوض ، ولا ريب في ان موقعها الجغرافي كان اكبر سبب في تقدمها دون سائر البلاد الشرقية .

ان تكبرين من ابداء شرق لا يرانون يرددون على السنتهم ان اخير
 في الساع من صيف تم يجهلون انهم غير مسكينين بل كان عليه اسلماهم
 واحداهم . فقد كان لاسلام يخلون ويثرون في اسعي والتعلم احسن
 من مدينت ادم فقط وقرأ في علمهم ويطورهم فاشدوا مدينة رفيه في
 الادب وحرور وشيدوا مدينت عصيه بولمها اعدل والايمان . هكذا كان الحرب
 ومنك كات ائمتهم . فلا بدع اذا طل الخيف يعني بافئتهم احسنه . ان
 ارحميين هم ايها السادة ليسوا الا قديسي ابداء شرق من حيث لا يتصور
 فلا يران حتى اليوم يرى في الشرق قطع اروايت كل على مخرج محضه
 لا يران ساعد من احرقات والسرعات ما يقتصر به الابدان . يرى الزارع
 تاني الا ان يحرق الارض يحرقه لمدن ولا يسقي الماء الا بعبوره السقي
 اسقي به احداه لاعمدده ان ذلك فيه الخير والبركة يستمد من رؤيه الآلات
 الحديثية الحديثية ونقصها . ورئيس القية يحرق اساعه غزوات ابداء قومه
 لاعمراره ناطح شحبه مؤبه . والمرد فكر صاحبه لاجلانه في مذهبه او
 معتقده . وهناك فئة اخرى من الشرقيين ينظرون لكل دهشه واعجاب الى
 الحد المرحرف فيسبون القديم والواحد ويصبحون متعاضدين متفهمين لما
 قدمه لهم الجديد من المذات واشبهوات التي تخدر اعصابهم وتضعف اذنتهم .
 ايا لا ادعو الى التمسك بالمدية الحديثية على علاها . ولكني اقول ان الحالة
 تدعو الى اقتباس الصالح منها الذي لا ينافي جمال وعظمة ماضيها ولا يححو
 آثار الآباء من كرم وعفه مع هذا الطالع الذي بضر سمعه اشرقي وشرقي .

ان الكلام ذو شجون ايها السادة وادا نظر النسب نظرة المتابع الى اصحاطنا
 بعد ذلك المجد الاثيل باح نوح البياق الى فصالتها ، وان موقفي هذا ليمثل
 امام مخيلتي الآن ذلك البدوي الذي نزل صبغا في بيت محاصر ، كان وقت
 الطعام فقدم رب الدار اصناف المأكولات لصيفه ولشدة الحر امر له بقدر
 البوصة فقط الصيف سما وتناول قسما منه ليضعه على الارر وادا به يشعر
 بالبرد الفارض . فتعجب ذلك البدوي كل التعجب وقال لصاحبه : « بربك
 كيف حصلت على هذا الحلد في هذه الايام ونحن لا نراه في بلادنا حتى في
 فصل الشتاء ؟ » فاحاه انهم يستحضره في الآلات فيصمون الماء فيها وتصبح
 حبيبا بعد صبح ساعات . وبعد تفكير طويل احاب البدوي : « وربي انكم
 ايها الحصريون تشعلون ناسعا حالفنا فليس من العجب ان يشغل علينا
 المصائب والويلات . » ليس ذلك البدوي الوحيد في مثل هذا الاعمال بل
 بعد كثيرين من امثاله يقصرون الحياة ولا يدركون لماذا خلقوا ان يعتمدون ان
 كل ما ياتي به البشر من المراتب خطا وصلاح لانها اعمال الهية لا يحق لهم
 التدخل فيها . وهذا مثال من امثلة لا يحصى يدل على جمودنا وخمولنا
 وامالنا مواهبنا البشرية . يرى الشرقي هذا وذاك من الاعمال المعجبية في

نظرة فيقف مغطى الرأس أمام العربي سطر في نفسه يعني الاحتمار لا يحظر
بما له ان ما استطاع ان ياتي به ارسا يستطيع غيره من الناس ان يتوصل
الى نفس النتائج اذا حد ومن حد واحد .

افلا نوافقوني الان انها اساءة ان قلت ان دراء اشرف هو التجدد ؟ استجد
في المادى، والابتكار . المجدد في الاقتصادات صناعته كانت ام رعايته . ولكنه
اخرى التجدد في كل شيء مع المحافظة على التراث الذي ورثه من الاء،
والاجداد .

ليس من احد ينكر على ان شعبه الاجتماعية تأثير عظيم في مصير اسلافه
وتكوينها من كانت قائمة على اساس دين من اسلافه والاحلاق من وتعددت
وان كان اساسها قائما على الفسح اجهل لا يثبت ان يسقط الى حصص
الحنول والتفكر وحس المصالح الاليم وابلاء العظيم .

من منا اليوم ينكر مبع د وصل اليه العصب في بلادنا الشرقية اجمع ؟
الاخ يعقب احده اذا حاد في مبعه وازمرا يهون حتى احرور اذا استعربهم
اضاعهم الشخصية ففلسا حراسم يفرقه من حيث لا يدري وتقصي عدسا ونحن
حامدون . ان المقصور السامحة بي محبة به لشرف العربي لا يوضح في
الارض وان الآمال ادمية بالفسح والرفي لا يسمي بحقيقتها الا بعد رنكر
الوحدة القومية لرصمته القائمة على بوحده الكسنة والاحد، واسماون الشبادل .
اوحدة العربية احره القائمة على اساس شعور القوي واحسن القوميين
قوامها ثمة واحدة ومادة واحدة . هي بكم اوحدة التي يهدم سطره لاحسن
بني عليها آمالا جسيمة بحققها الاخوة عرسة . هي اوحده التي نحررنا من
ير السوديه والرق مسر اجهه لصر نحت كواكب يفتقر منها نور اهدى
بعد افوها اجيالا عديدة .

ما لي ارى الناس عفاعين وكذي اسمع عظام الآباء نثن صارحه . وكذي
ارى الصبور والاحدر بل الاطوار بأسرها بردي، بنا كلما حدوا بها اء بي
ارى جراثيم المعرفة هناك . جماعات بمصر روح اسوع وبسر قوه اليهود
وليس هناك من يشعر . فقد حار بنا . سادسي ان ينب من سمات وسه
الاسود لمقاومة تلك الجرثيم اءلكه سي يري روا، الاء، والكشف وتعرس
الحقد والمزاع فتشهد القرص للاجنبي لاستغلال ضعفا .

ان اشرق بحاجة لي يتطور في احياء الاجتماعية . فاراء اسي هي عند
رجال المد لا تزال في معظم الاصناف انشرويه غاصي من لمودنه . يقول
العلامة نيلر : « ان المراه ام عام انني سي ندد وتعدا اسود و كسر
والجمميات حتى واسماء عسها . « افما يحذر من سب اجهق بي بحمها
عونا للرجل وشريكة حياته في اسراء والصراء .

وشرعنا بحاجة الى التطور الصحي ، انظر الى الامراض المعدية في هذه الاصناف امه مطمئنة لا تجد من يعمص عليها العيش مسهل جراثيمها وبمب هذا ودك ونمص الدماء ولتترسوخ الامة ، بل في كل المدن اشرقيه نرى اعداءه باديه للمبين - في الاسواق ، في النوادي العمومية في كل مكان نرى احوال الاسباب الصحية ونتاجها الوخيمة .

ولناخذ اقتصاديات البلاد - وما اشد حاجتنا الى التجدد فيها - ما اشد حاجتنا الى ثورة صناعية تذهب باسباب التحلف نبي عليها معامل تدويرها شركات وطنية يعصدها روح وطني واخلاص قومي .

ان لكل بناء اساسا يرتكز عليه العمران والركن الذي يقوم عليه التجدد في كل ما سبق ذكره لا يتسنى لنا انشاؤه الا في المدارس الوطنية التي تولد في شبابنا الاعتماد على النفس والاستقلال في العمل والتعاضد في سبيل خدمة الوطن والامة . وان مشاركة المرأة في مختلف نشاطات المجتمع الامر يدعو الى الاهتمام والعناية . اد يقضي الواجب تهذيب الفتاة وتعليمها لكي تستطيع مشاركة الرجل في معترك الحياة . وحين الوسائل لنشر المدنية وتحقيق التقدم الحضاري يأتي عن طريق اشراك المرأة في مختلف نشاطات الحياة ، وان الامة التي تبقى نساؤها في حالة عبودية تسير بخطوات واسعة الى الانحطاط والتمهتر .

لا يموت الشعب ما دامت له

قوة الجنسين تسمى للعمل

وليس لي الآن وقد ادركني الحنّام الا ان ارفع صوني عاليا مناديا :
الامام ا الى الامام فعلى عوانقنا نحن طلاب اليوم ورجال العد يرتكز رقي البلاد فلنسم مضحين كل غال وثمين في سبيل الاصلاح منحددين لعاية واحدة ننزل كتفا لكتف الى ميدان العمل ككتلة مترامصة ترفع لواء الوحدة العربية الحرة رائدنا التجدد وسبيلنا الاتحاد . » انتهى

وما ان انتهيت من القاء خطابي حتى وقف الاستاذ انيس الخوري وطلب من المحكمين حذف اسمي من بين المتسابقين وقال اني خالفت قوانين الجامعة بالنظر الى موضوع يمت بالسياسة . والمقصود بهذا الموضوع هو الدعوة الى الوحدة العربية كما يتضح من سياق الكلام . هذا واليك ما كتبه جريدة الاحرار البيروتية في عددها الصادر يوم ٢٤ شباط ١٩٢٥ في وصف حفلة المباراة من غير ان تشير الى حذف اسمي من بين المتسابقين ، قالت :

« كانت الحفلة الخطابية التي اقامتها الدائرة العربية في الجامعة الاميركية مساء يوم السبت الماضي اجمل حفلة ادبية شهدتها بيروت منذ عهد بصيد حضرها

جمع كثير من أهل العلم والفصل والأدب وأساسه المدارس وطبعتها فافتتح
الحفلة الأستاذ أبيس الحوري أستاذي مرحبا بالحاضرين باسم الدائرة العربية ،
ثم قال إن هناك ثلاثة أمور لا بد من ذكرها وأولها أن الجائزة مقدمة من صاحب
المطبعة الأمير خزعل أمير المحمرة ، والأمر الثاني هو أن الخطب من صنع الطلبة
الذين سيلقونها لم يساعدهم فيها أحد فإن كان هناك حساسات فهي لهم أو
سيئات فعلهم . والثالث هو لحكم سيكون على الالتقاء والاشتراك سواء كان
الموضوع محبوبا أو غير محبوب . ثم سقى المحكمين وشكرهم وهم سعادة
حسين بك الأحلب حاكم بيروت الإداري وعبد الرحمن بك فلبات مفتش دوائر
الوليس وجبران أفندي تويني صاحب الأحرار وعزيز أفندي كساب من تجار
المدينة المعروفين « وصاحب البيت » الأستاذ شحادة شحادة سكرير جمعية
خريجي الجامعة .

« ثم أخذ يقدم الخطباء فكان أولهم السيد عبد الفلاح المغربي (مصري)
وموضوعه « حديث أممية » فلقى خطابا جميلا خلاصته عظة السلف للحلف
والاستنهاض لإعادة مجد الشرق الحالد فكان لخطابه وقع جميل في النفوس وتلاه
الأديب السيد جراثيل حور (سوري) وموضوعه البلد العاملة فولى الموضوع
حقه من جميع وجوهه وأظهر ما لبس العاملة والعلاج من فضل وما في أعمالها
واحتقارها من الصرر على الوطن ونطرق إلى ذكر ازدهار وأهميتها في اقتصادات
البلاد ورقبها .

« وتلاه السيد أحمد الشراياتي (سوري) فلقى خطابا موضوعه « اطلبوا
الجديد » أشار فيه إلى وجوب ترك ما هو قدم بال والتمسك بالجديد ولم يدع
باباً من أبواب هذا الموضوع الواسع إلا ولجه مستشهدا على أن رقي الشرق
لا يتم إلا بطلب الجديد وتبذ القديم .

« ثم وقف الأديب السيد محمد حورشيد (سوري) فلقى خطابا موضوعه
« الجراء الأدبية » فحمل حملة شديدة على التملق والمحاكاة التي منع الجراء
الأدبية في بلادنا وصرب لحمته الأمثال بالموظفين والأدباء ورجال الصحافة
والمؤلفين فلم يدع نوعاً من أنواع التملق والمحاكاة إلا وأشار إليه وشجبه
ولا باباً من أبواب الجراء الأدبية المعقودة إلا ذكره وحذره فكان لكلامه وقع
جميل جدا في نفوس السامعين وتلاه الأديب السيد عبيد عبدالنور سوداني فلقى
خطابه « الفقير الضفي » وجعله على شكل حكاية ذات مغزى أخلاقي مفيد للغاية
وقعت بين أمير غني بماله وفقير معدم غني بأخلاقه وفصائله طرب لها الحاضرون
كثيرا وقد أجاد المتكلم في القائه وإيمانه كل أجادة .

« ثم سمع الحاضرون دورا من الموسيقى العربية المطربة ووقف بعده
سادس الخطباء الأديب السيد نسيم سوسة (عراقي) وموضوعه « إلى الأمام »
فاستهل خطابه بمقدمة فكاهية لطيفة وناول موضوعه بمنهى البراعة فاوفاه

حيه واجاد فيه كل الاجاده وكان ابن العراق يتكلم عن شعور واحساس ونسم
حديثه عن المراهة التي يالم منها نفسه للاحر الشرق وابناه فدعاهم بحججه
المفتنة الى السير « الى الامام ، الى الامام » وقد صفوا له الحاصرون مرارا .

« وكان الخطيب الاحير اسسدة احسان الادبية المصرية المعروفة التي تنفي
العلم في الجامعة الاميركية وقد احضرت لنفسها موضوعا يتفق مع مبدئي ونؤيده
وهو « اروعى اسور » فلم يكر موعضا موقف من اقدم على المبراة طمعا في
حائرة او شهرة بل موقف من اعتنم هذه الفرصة لتأييد مبدا وراء وغايصة
تعمل من اجبها وحملت على احجاب حمه جنودها بحجج واسراهي والآيات
اقرآنية والاحداث لمشتة ان الاسلام سم يأمر بالحجاب وان الذين يحاربون
لسفور باسم الدين هم على صلال والدين وراء مما يدعون . وظهرت عجبها
ودهشتها من أن أوشك الذين يقاومون اسفور باسم الدين ولا حلاق يرون انتشار
الخمر وهي أم احبانت ومفتاح اشروع وبرون سوتا يشتهك فيها الشرف وبساع
العة تفنح برخص رسميه في بلاد اسلاميه ، ويرون اندع والصلالات بقام باسم
الدين ، ويرون غير ذلك من احرمات فلا يحركون ساكنا ولا مري اثرا لتلك
الهمة التي تظهر في حملتهم على اسفور انسي لا سمعه الشريعة ولا يحرمه
الدين ، ذلك الدين الذي جعلوه نكاه بهم في كل أحداثهم ومحورا بدور حوله
مناقضاتهم مع ان في دفاعهم عنه بهذا الشكل صعد عليه رجحة للفتاوي بان
الاسلام عنة ناجر اشرف ورميا به بانطيم والجهود وهو بعيد عنهم بعد الثريا
عن الثرى .

« وقد اسشهد على نظريتها بأقوال رجال الدين والفضل من قدماء
ومعاصرين وكتاب واثنى على ن الاحجاب مادة عديده ورثها لمسلمون ولم يات
بها الاسلام وكانت تنكلم بحماس تنفي خطيها بلفظ صحيح واسلوب جميل
وعبارة فصيحة اكسستها استجساب السامعين على اختلاف مبادئهم تصفوا بها
كثيرا . » (٤)

« وبعد الانتهاء من سماع الخطباء اعلنى حسين بك لأحدب رئيس لجنة
التحكيم مبر الخطاة فأنى كلمة اثنى فيها على الجهود التي تبذلها اجماعة
في سبيل إحياء لغة العرب وما يحذره من وسائل لشر العلم والأدب كما اثنى
على الخطباء ، ثم أعلن ان اللجنة أقرت بالاجماع منح الحائزة الاولى صاحبة

(٤) لقد دوما هذا الوصف تكامله كما جاء في حريدة الاحرار المصرية لاعطاء العادى فكرة
عن الاتجاه الذي كان يحول في نفوس الشباب العربي في ذلك الوقت وهو الانطلاق
والتححر من سب السلف الموروث عن الاجيال العديمة . فكانت الروح الوطنية طافية في
نفوس الشباب العربي بوجه عام والشباب العراقي بوجه خاص .

خطب « أروهي النور » أسيدو حسن أحمد وابيه لصاحب خطب أسيد
اعامة أسيد جيرائيل جنور وباسه صاحب خطب « الفقير العبي »
ووقف بعد ذلك لاسناد المقدسي وعمر بن السبلة احسان أحمد سرعت باجائزة
وبمثلها أيضا لتعليم أحد قراء الطلاب في الجامعة .

٧ - حفلة أدبية في الحلة يوم ٢٢ نيسان ١٩٢٥

لقد صادف وجودي في الحلة ، مستقط راسي ، بمناسبة زيارتي لمعراق
لقضاء العطلة الربيعية . ندعيت لحضور حفلة أقامها مدير معارف الحلة يوم
٢٢ نيسان ١٩٢٥ فالتقيت كلمة عن الجمعية الأمريكية في بيروت ، التي كنت
أحد طلابها آنذاك . نشرت في حريدة أسبوعية اسعداده ناعما في عددتها لثومي
٣٠ نيسان و٢٠ مايس ١٩٢٥ ادوح بصها فيما يلي ، مع العلم ان هذه الكلمة
التي نشرت في وقت كانت السياسة تدور حول بريطانيا واسدائها على فلسطين
الذي اقتره مجلس عصبة الأمم في ١٤ تموز ١٩٢٢ وهو الذي مهد السيل بهجرة
اليهود الى فلسطين ، ولم تكن سمعة بريطانيا قد تلوثت بعصدها لمصهوبة
بعد .

حفلة أدبية في الحلة

دعا حضرة مدير معارف الحلة باسم الاميين عددا كبيرا من وجهاء الفيحاء
وادائها ومتوريها لحضور مسامرة أدبية يقوم بها الطلاب الاميون وقد ارتاح كل
من حضر المسامرة المذكورة اربابا عطيما لما شاهده هدي من نشاط الاميين
لافتتاس أنوار العلم والتهذيب وقد قام الاميون بعدة محاورات والتقيت خطب
تناسب المقام .

وقد تلى حضرة الأديب المنور سليم امدي سوسة (طالب عراقي في الجامعة
الأمريكية في بيروت انى لقضاء أيام العطلة) خطابا نفيسا كان لم أجعل وقع
في نفوس السامعين أسببه بنحبه وطنه وبعد صباه الحلة وظهار حننه الى
أبناء بلاده ثم تصدى لذكر الجمعية الأمريكية وابداء رايه فيها فرأيت أن يعطف
من ذلك ما يلي (السياسة)

ايها السادة !

قضيت ثلاث سنوات في هذه الجامعة التي يعدها لبعض أعظم حاميها في
شرقنا الأدنى لما أعدته من اشبهان المحضين لاطوانهم وبلادهم .

اجل ! قضيتها بين طلاب من أبناء أمم مختلفة وبين رفاق ينتمون الى
طوائف مختلفة ولا أنسى احوالي العراقيين وهم الاخوة الاعزاء .

قضيتها وكأنني بها ثلاثة شهور لا ثلاث سنوات وذلك لا شك ناجم عن

شديد الرغبة للعلم التي يبعثها في نفسي محيط هذه الجامعة .

قد نجد كثيرا من أبناء العرب يخضعون لأول وهلة أن يحملوا إحدى الجامعات الغربية يسوع بنقيف أفعالهم لنلا نفوس في صدورهم مبادئ تدني تراث الماضي وعزه ، مبادئ التمسك في الحديث على علانية وبدد الصالح القديم وطالحه على السواء ، ولكن من عرف حقيقة هذه الجامعة وتأمل مليا قبل أن يأخذ تيار العواطف والنشازم وجد عكس ما نصوره ، وقد رايسم بأم أعينكم ثمرتها وعرف من ولجها سنوات عديدة أنها تمت بسلامتها روح الوطنية الحقبة ومبادئ التسامح والتسامح مع بذ النقص الديميم والعروق الطائفية . وهذا ما نحتاجه بلاد كبلادنا يطفلة في نموها وحديثه في نهضتها ، إذ العلم لا يلبث أن يتبحر كالسحور أمام نار متقدة حينما يفاديه صاحبه ، ولكن المبادئ التي يتشبع بها الشاب والهديب والاخلاق التي يتخلق بها التلميذ خلال دراسته الجامعية فلا تفارقه حتى يقتطف القدر زهرة حياته .

أن هذه الجامعة تعلم أبناءها وسيما الباطنين بالصاد منهم أن يهتموا بلفتهم ويوجهوا اعتناءهم بها دون سائر العلوم فتعربهم على الخطابة والكتابة بواسطة الجمعيات العربية العديدة والحملات الأدبية الكثيرة التي تمقدها بين حين وآخر ، هذا عدا المباريات الخطابية المستمرة لتشجيعهم على الاشياء والخطابة . أن غريزة الانسان وموهبته الطبيعية أن يقلد غيره في كل ما يراه فان عاشق في محيط علمي اصبح شغفا بالعلم وان نرعرع في بيثة يعقل الافراد فيها اوقاتهم باللهو والفراغ امسى واحدا منهم ، وان فتش عيسيه بين قوم راضحين الى العبودية والرق يشأ لا يعرف معنى الحياة ولا يدرك ماهية الحرية .

أن محيط الجامعة الامريكية محيط يبعث روحا جديدة يتشرب بها التلميذ من اسانده خلال دراسته ، هي الروح الديمقراطية الحقة المقرونة بالعمل المستمر ، روح يتدفق فيها يسوع الطموح للتشحر في العلوم يصغر منها مصدر الامة العربية التي يؤثر صاحبها المية على الرصوخ للذل والهبوان .

أن الجامعة الامريكية ترشد الطالب الى كيفية الدراسة ونهديه الى الطرق الاساسية التي يتوصل بها الى المعرفة والثقافة بلا مدرس ولا دليل فيمتد الطالب على نفسه في عمله ، لا ينتظر معونة من الغير ومتى اعتمد الشاب على نفسه اكشف سر النجاح والتقدم ، واذا ما اعتدت الامة على شبان اكتشفوا سر النجاح بلغت قمم الرقي والمعظمة .

أن الجامعة الامريكية جامعة مغربية ولكنها ليست بالجامعة التي تقصد قتل لغة العرب كما تنصرف اليه بعض الجامعات الغربية في الشرق ، انها ليست بالجامعة المستبعدة التي تريد ان يترك تلامذتها العرب وان يهجروا لغتهم ونراثهم بل تشجعهم على حب اوطانهم ونفوس ليهم الثقافة العرة والروح

الديمقراطية ، تعلمهم حقيقة الحياة الحرة والوحدة السبسية ، وهذا ما حمل الاستعمار بعدها عدوة لمصالحه ولا يخفى ان وحدة البلاد خطر على المستعمرين الذين يذنون سموم التفرقة بين ابراد الشعب ، ان الجامعة الامريكية تحترم كل الأديان وتسمح الحرية المطبقة للامذبا ان يدرسوا طقوسهم الدينيه . ونحن اليوم بأشد الحاجة الى عدد من ابناء العراق قد تحرروا من هذه الجامعة وهم يحلون هذه الصفات التحررية لاصلاح شئوننا الدالية اولا ، ثم ينصرفون للمحافظة على حدود بلادهم من عارات الاعداء بالسلحة معارهم ومعهم . هذه هي الجامعة التي نحتاج الي جيش من خريجيها مدججا بالسلحة المعارب الغربية متقلدا دروع ثراث آباءه واجداده ليقتضي بها على الشقاق والخلاف الذي نرى وترعرع في ارياف بلادنا العربية المحصنة بيمزق اوصاله اربا اربا ويعرضها على العالم ليربهم كيف ان مصدر هذه الجرائم يرجع لي بسفور اجنبية نثرت باسم الاصلاح والتهذيب .

وليس لي الآن بعد ان عرضت سدة عن هذه الجامعة الكبيرة الا ان اتقدم بالفرض الذي سمقت هذه المقدمة من احده . يسركم يا سادتي ان تعرفوا ان الجامعة الامريكية تضم بين جدرانها حوالي المائة واربعين طالبا عراقيا لا تزال تجهزهم خير تجهيز وتهذيب احسن تهذيب لاعدادهم رجالا مصلحين يكرسون حياتهم في خدمة البلاد ، ولكنني اتول ومل ، قلبي الاسف انه لو اراد احداكم ان يتفقد هذا الحجم الضمير من ابناء العراق لم يجد الا فردا واحدا ينتمي الى الديحاء . ولعمرك الله كثيرا ما كنت اتقف مطاطي الراس كلما تكلم احد احوالي من بلدته اذ لا نلث ان نجد زمرة من ابناء بلدته يشاركونه في احديث ولا تسمع من حديثهم غير موضوع واحد : يجب ان نقوم بهذا وذلك بعد ايابنا الى بلدنا وما يزيد الاسف اني لم اجد الا عددا يسيرا ممن زاروا الديحاء .

امثوا ابناءكم الى ينوع العلم ومصدر التهذيب فتكونوا قد قبتم بواجبكم الملقى على عاتقكم وتكونوا قد اصتم اجرا عطيا . فقد قال النبي المرسى الكريم (ص) « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة » .

ان ابناء الفرات هم الذين فتحوا منافذ النهضة العراقية العربية بدمائهم ، هم الذين تقاتلوا في سبيل الوطن ، فما لي اراهم ساكنين متقاعدسين عن معركة العلم ؟ . الا يا ابناء الفرات العوا لبعثات العلمية ليرتشف شمانكم واخوانهم من منهل واحد فيسيرون جسا الى جنب في تحصيلهم وينودون عن بلادهم كفا الى كتف حاملين احدث الاسلحة العلمية وامضى الاجهزة اشغافية .

ما لي ارى الناس تتناسى تلك الدماء التي اهرقت تحت سماء الفرات ، تلك الدماء التي اهرقت في سبيل تمهيد الطرق لنا للوصول الى ضالته شهدائنا الذين ضحوا بانفسهم في سبيلها ، وان املهم بما ان يواصل السير ووكلموا امر النهضة السلمية القائمة على ركن العلم الينا وما كان لما ان نخيب ثقتهم

بنا واعتادهم علينا .

أونسييا يا سادتي ضحايا الفيحاء في سبيل الوطن الحر ، أونسيينا ضحاياها الذين ارتقوا منبر الموت وذاقوا كأس المنون في سبيل الحرية . أونسيينا شهداء الفيحاء الذين علفت جثثهم أراء دار الاتراك فكانت أجحة العوز والبصر تسطر على صدورهم آية العظمى مرددة : « هكذا يكون العطاء وان الامم لا تقوم الا على عظام الأبطال ، ولا يتكون الاستقلال الا على جثث الشهداء » . فهم يرمي عظامهم يوم الحياة وأعظم من ذلك في الممات . « لا ، لا ، انما لم ننس ومن ننسى ولند سجلت هذه الحوادث صفحة مضيئة في تاريخ البلاد وفي تاريخ نهضتنا المباركة وسوف نعيد ذكرى الية في صدور أجداد الاحقاد ولكنها عطية تمثل لواء الحرية الحققة والمضحية البيلة ، وهي ذكرى تثير ركان القلوب وتندع المتقاعس الى النهوض والحمل الى النجدة .

سادتي : أونسيينا ماء العرات العذب يوم أصبح احمر قاني ، اذ استمد لونه القرمزي من دماء الأبطال . أونسيينا نهر الفيحاء يوم ابتلع جثث الأبطال حيث كانت ترمي في المئات حول المسلخ في ضوحي بندتنا . أولئك الشجعان الذين ضحوا بأنفسهم وهم يطالبون برفع يد الاستعباد عن رقابهم يسادون بالحرية وهي حق من الله بها على كل البشر من عباده على سطح البسيطة . فما بولكم يا سادتي بذلكم الجم الخفير الذي ذهب ضحية استقلالنا فانظروا كيف تغلب الشجعان على الجيش المدحج بطاراته ومدافعه واسلاكه الكهربائية الشائكة ومعظمهم لم يحمل غير الكوار أونسيينا كيف تفاني لبناء الراشدين في سبيل قضيتنا الوطنية .

فلنطمئن ايها السادة لنطمئن لانني لم اكن في اي ريبة من ان ضحايا الفرات قد قالوا جزاءهم عند ربهم وكانني بهم الآن وهم مقتبطون في جنان النعيم وكانني بأرواحهم تردد قائله :

هنيئا لنا بنعمة الله وهنيئا لكم بحريتكم فاقصدوا بنا رواظوا على تحقيق آمالنا بأعدادكم جنود اعلم لنلا يد مدوؤكم احمالا وضحوا في سعيكم ببارككم من وراء اللا نهاية .

٨ - مشاركتي في مباراة انشائية خطابية ثانية في ٩ مايس ١٩٢٥

ولم يمض وقت طويل حتى اعلنت جمعية رهرة الآداب في الجامعة عن عزمها على اقامة مسابقة انشائية خطابية حددت موعد الاحتفال بها يوم ٩ مايس ١٩٢٥ ، فاستهزت هذه الفرصة لعلي اعرض بها عما فاني في المسابقة الاولى فقدمت مقالا بعنوان « التصحية أساس النهضة » فانتقلت اللجنة المختصة من بين المقالات المقدمة لمباراة ستة منها مقالي . اما المقالات الخمسة الناجحة

مع مقالتي فهي تعود الى : اكرم زعيتر وشفيق بكار وسجيب ابو ابراهيم وايضا خلف وفؤاد العيد . وقد عقدت الجمعية في الموعد المعلن (٩ مايس ١٩٢٥) فكننت ثاني الخطباء وكانت لجنة المحكمين مؤلفة من ثلاثة اعضاء برئاسة عبدالرحيم بك قليلات والمهامي ابراهيم سليم والشيخ يوسف زخريا حاكم صلح بيروت . وبعد سماع الخطباء احتلت اعضاء لجنة المحكمين بصرح دبانق في غرفه خاصة أعدت لهم ثم عتلى المسرح رئيس اللجنة راعى عن موري بالحائره الاولى وموز اكرم زعيتر وموصوعه « أنا لا أحارب من أجل عمر » بالجائزه الثانية وموز فؤاد العيد بالجائزه الثالثة وموصوعه « المتقد والاسعد » . وقد نشرت الصحف الليبانية تفاصيل البارة ، كما نشرت خطابي جريده السياسة العراقية لصاحبها يوسف عيسى في عيدها المؤرخ في ٣١ مايس ١٩٢٥ ، واليك نصه :

(الخطبة التي القاها الشاب الاديب نسيم افندي سوسة في حلة البارة الخطابية العامة التي اقامتها الجامعة الامريكية في بيروت ونال الجائزة الاولى)

سيداتي ، سادتي :

ما من كاتب تحرير او شاعر رقيق ، وما من عظيم من العظماء او زعيم من الزعماء ، الا وتجده آية العظمة وانفدبر فيه مسرورة الى صحايا مسبوقة ومشاق مطروقة ، فمن الكاتب لا يكون كاتبا الا بعد انعكاسه على المدرس والمطاعة ، مصحيا بربع حياته متكيدا مشاكل السعي الحثيث ومصاعب العمل المستمر المتواصل ، والشاعر لا يكون شاعرا الا والنصحية شريكه حياته مقديا شرح شبابه في اسطهارة المعلوم ، مبدع الجهد الجهد والعناء الزائد يصبح دأ موهبة شعريه أهلا بالافخار به ورفعته الى المنزلة التي يستحقها على منصة الأدب ، والعظيم لا يكون عظيما الا ونفة الامه واحلاصها له قائمتان على زحمته بنفسه ويدنه العاني والشرين في سبيل خدمه شعبه فيسخره القوم ويخضع لآرائه ومبادئه رافعا اياد الى ما يستحقه من اسفدير والتعظيم .

التضحية حركه تشور في بركان انقلب الشري فتولد عواطف الحسو والشفقة في صدور البشر ، هي الواجب الذي يشعر به الانسان فيحمل المثري على مؤازرة العقيير ، والقوي على مد يد المعونة الى الملهوك ، والعفدير على السعي لرقية امة يسمى اليها او وطن يستظل تحت وشاح سمائه الاررق انجيل . انتصحية ويا لها من كنه نهز لها اوتار القلوب ونزل على حوارح الافئدة فتنتعشها ، هي الميزة التي اتصف بها الحيوان اطلاقا الا ان الماطق من هذا الجنس احدها نهذي ، هي العامل الحيوي الذي يجمع الوالد يصحي

بكل ما يقفيه في سبيل احواله لسمم اجسادهم الفداء من عرق الحين وتمصر
موة المرافقه والسوع من الدم الاحمر القاني ، ويحمل اشباب بدر كل عيال
ونمين في سبيل برقية وطنه وامه حتى اذا ما شعرا بالواحد بعدد بن بحياتها
عندما يخيرها الموقف الرهيب بين النصحية بروحيهما ، وبين ان يشاهد
الاول احواله والآخر امته يسلمون الارواح الى الامر العظيم .

فناء في مقبيل عمرها كالزهرة الياسة تصحى شبابها الصر غير هيابة
ولا وجلة تعتم المية باقدام ثائفة في سبيل ابعاد وطنها ، بلكم الفتاة ربيعة
الريف منقذة اورليان هي ابنة فرنسا جان دارك التي تعدت الحسام مصطبة
جوادها تعير باسطة صدرها الى بطش العدو فكان الجيش يتنمها حائداً اذ
ابها قد حطته من كرامة الرجال الاشداء وهي شابة وصف جسها بالصمص
والتحول . انظروا يا سادتي كيف سنتمت ابنة الريف المصطبة حيث كان
السجور مهينا والنار متقدة لتبتلعها ، انظروا كيف ألفت بنفسها ترحب
بالموت كما يرحب الأعرابي بصيفه وهي تحسب ابها طائفة الى السماء حيث
جنة السعير تمنح لها ابوابها ، ماتت وكلمتها الاحيرة تخاطب بها ابنا روان .
ايه ابنا روان يحيى ان تقاسوا أهوالا بعد موتي . . . وفي في ربيع حياته
كألم الحنونة على طفلها يضعى بشباب يافع للود عن وطنه ، يسير الى
المشقة بسرعة الطير وروح الشجاعة والبسالة تتجسم فيه لا تعارق خطواته ،
دلكم الفتى السبيل القصد الرميح المقام هو ابن صيدا شهيد الوطن الذي اعلم
مع جم عفير من أبناء العرب لا ديب لهم سوى ما اظهروه من الروح السامي
والمبادىء الشريفة التي يجلتى فيها رمز الوطنية الحقة بأجلى مظاهرها ،
اعرفون ما قام به وهو يشاهد احد عشر شهيدا أصبحوا جنثا تهتز في الهواء
بغير حياة ، اندرون ما كان يقول وكأس الموت على شعبيه ، قامه خاطب تلك
الأرواح المزيزة الكبيرة وخاطب ألة الأعدام قائلا : « مرحباً بارجوحة الشرف ،
مرحباً بارجوحة الأبطال ، مرحباً بالعمد التي تستند اليها الشعوب في
استقلالها ، مرحباً بالموت في سبيل الوطن الحر » ثم عقبه ابن بيروت على
المشقة وهو يخاطب الناس بصوت جهوري : « بلغوا جمال باشا ان المنقضى
قريب وان القول لا تبني على غير الجماجم وان جماجمنا ستكون أساساً
لاستقلال بلادنا » .

هذه هي الوطنية الحقة التي يجب ان يحرزها شباب العرب وهكذا
بالنضحية الحقة والاخوة الصادقة نستطيع ان نحصد سنابل الشقاق
والحلاف التي ست وترعرعت في ارياف بلادنا المخصبة فتمزقها ارباً ارباً
لنعرصها على العالم ونريهم كيف ان مصدر هذه الجرائم يرجع الى بنور اجنبية
نشرت باسم الإصلاح والتهذيب والا فلما لنا سوى ان ننادي متالمين : « سلام
على الشرق وعلى ابنائه » .

انظروا الى عالم الأحياء نشاهدوا ان الرجل الذي لا يهتم من الحياة غير احتجان المال ولا يفكر إلا بارصاء لدته الذاتية والذي لا يجعل التصحية حسب أعيته شريكة أعماله لا بد من سقوطه الى حصيص الدل والهوان مهما محترفاً ، افحصوا التاريخ والتاريخ عليم خير ومعلم صادق تروا ان القائد الفرنسي (بولانجير) خارت عزيمته ودابت قوته تحت لهيب الجبس فخرق شمع الحوف جبروته ومات بعيداً عن وطنه مستحراً بكلتا يديه لا يجد من يذوب دمه واحدة على ضريحه ، ذلك القائد الكبير الذي طار صيته في انحاء البلاد ابان الثورة الفرنسية الثالثة فاستطاع تحت جناحه عدد وامر من الجنود وعاصده جم غفير من ذوي البأس حتى كاد أبناء فرنسا يتقدمون عليه أماماً كبيرة . أراد ان ينال ما ناله نابليون من المجد دون مجازفة بحياة او مخاطرة بسلامة ، ولكن صيحات ان يخصص له الحظ بدون التصحية التي تعلم المرء آية البسالة والشجاعة في مواقفه الحرجة ، أراد ان ينال ما لا ينال إلا تحت اجنحة المثلون فدعيت مساعيه ادراج الرياح ، وكما في الناس كذلك في الأمم نويل للامة التي لا يعرف أبناؤها معنى للتصحية .

انما معشر الشرقيين يا سادتي لا يعرف ماهية التصحية إلا قليلاً واذا عرفنا أسانا استعمالها فنضحى بانفسنا لقتل أنفسنا ، نضحى ونقول في سبيل دين ننتمي له والدين أعظم واشرف من ان يامر بتلك النضحية . نضحى ونقول خدمة للانسانية والاسانانية بريئة منها ، ماذا تعد ذلك النجدي المذبح بأسلحته النارية لا يشفي غليله إلا برؤية دم الحجازي يسيل على كثر منه فيقف ناقماً يشتهي بمشاهدة القليل يتسرع في التراب ، اتعد ذلك تضحية ؟ فكيف نروم استقلالاً ايها السادة وهناك يضحي أبناء العرب بانفسهم لقتل أبناء جنسهم ليمهدون السبل للاجنبي للاستعادة من نحولنا وتفتح له يد الشقاء الابواب على مصراعها ، وكيف نروم استقلالاً وهناك الاغنياء يبذلون الثمين في التفتن في فساد المعيشة بدل بدله في الهبات الطائلة لمدارس والمشاريع الخيرية ومساعدة المنكوبين ، وكيف نروم استقلالاً وهناك عرب يبرأون من عروبتهم يضحى الشبان أيامهم في اتقان العلوم بلغة اجنبية ولا يعرفون شيئاً من تاريخ مجدهم الفابر ولا يحسنون اللغة التي تكلم بها آباؤهم واجدادهم ، وكيف نروم الاستقلال وهناك ذوو المقدرة العظيمة والاكتمالية الذين باعمالهم منوطة ترقية البلاد يضحون في سبيل غايات شخصية حرصاً على مناصبهم ومراكزهم .

ما لي ارى الناس متفاعسين وكانى اسمع عظام الآباء ثلث صارخة وكانى ارى الصخور والاحجار بل الاطلال بأسرها تزدرى بنا كلما جددنا اليها ! أجل ليسرنا ما نشاهده من آيات التقدم في مصر وملتحر بنهضة بلاد الرافدين الحديثه التي يتجسم فيها رمز التصحية ومثال الواجب الوطني ، ولكن كم يكون افتخارنا

عظم وسرورها اسد اذا تسمى بنا ان شهاد شرقا عربيا دهضة مسطلا تحت
 جناح صحنه الآباء ومعاصده الافراد على اختلاف مداخلهم ومداخلهم يستشقق
 حواء الحرية تربطه ارباطه العمومية ويوحده نفة واحدة . لغة انني شهد بها
 الملا يسمرها ورقنها ، اللغة انني :

العاظما دور اقوالها غمرد آياتها سود في كل قرآن

فاسمحوا لي ايها لسادة قبل ان احتم كلمتي ان أوجه الحديث لمن يجدر
 بهم بل لمن هم اهل لأن يفرسوا بذور التصحيح الحقة في صدور الشبيبة . اليكم
 ايها الآباء ، اسيدة مدرسه الانسانية ومعلمو الجامعة البشرية . اليكم اسم
 المستوين امام الله وساريج ولعلم سريه شبان بعد اربع شكواي وايكم
 أوجه كلمتي .

علموا ابني على انضحية لمعلم اطفالا وتراهم صفارا فتتمو مع نمو
 الحسد تحالفهم رجالا وشاركهم كبارا . على موتكم ايها الآباء برتكسز رفع
 ستار الجهل ، علموا النين على حب اوطدهم واشنعوهم بذلك الروح السمي
 وسلك الحلة الشريفة اني لا عر بدوها ولا استقلال بسواها . الصحة -
 شروهم لبادي السامية يعرفوا أن لا حواء شريفة بدون المصححة وبها خلقت
 ليعرفها اطفال من الخبرات التي ميرته الحق بها فادا ما اعلمها قضى حياه
 دسة بعدا بعد لثقة والثرى من العصلة وعز ، واي ترسة أشد تأثيرا على
 المرء بل وأي حق آمنن يمكننا من الرجل من التربة التي سولى ومهمها والد
 طفله الصغر ومن الاخلاق التي يفرسها الأب في صدر حله . ذلك الطفل وعو
 لا يزال في مهد طفولته عجين الجسد لين العريكة سهل الانقياد مسجور الشادي
 في اعصائه المنة وادا ما بلغ سن المراهقة اصبحت متمكة من حسده وجزءا
 منه لا نعرفه ما دام قلبه يحقق ودمه يجري في عروقه :

ان الفصون اذا توختها اعتدلت ولا تلبس اذا كانت من الحشيب

لفرس في صدورنا ندره المصححة ولندحرهم حتى اذا ما خرجنا الى العالم
 الأكبر سقيما من منهل الاحساس فسجلتي ونكتسب بظهورها الحسد العربي
 الكامن وروح القومية اعبار ، وليسل امام اصارب زعما ، مصححة امس الدين
 ووجد ، مصر الكبرى وامثال الدين اسسوا زكن العراق بأحاسيسهم وعبرهم من
 الدين مدرا حياهم في سسل رفي امهم فبشا حسداك احوه محدث منصر
 لعدل ونوم بالمصححة ولو بالحياة اني تملأ صدورنا آملا فسعى لارحاع كل
 حقوق منصوبه واسعاد كل انسانية مصطفده جاعدين الحق براسنا والمصححة
 صدقنا .
 انهي

٩ - بعض الوقائع والاحداث في الجامعة الامريكية ١٩٢٢-١٩٢٥

ومما يبي بعض الوقائع والاحداث في الجامعة الامريكية - ب - نصحه هذه
مفصلة من مفكري التومية وذك في خلال سنوات دراسية ممتازة التي
قصتها فيها وهي :

سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣ / في الاعدادية
سنة ١٩٢٣ - ١٩٢٤
سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥ . في الكلية (السنة الاولى)

الثلاثاء ٨ كانون الثاني ١٩٢٤

حضر اليوم الى بيروت الاسناد كطسم الدخيلي وهو في طريقه الى لندن
بمناسبة تعيينه استادا للغة العربية في جامعة لندن وهو يقدر - لاربعين من
العمر وله ذن صغير . دار حبيب واحبها به مع كبر نظمه لعرايس في
غرفة فاصل الجمالي حيث مكث حوالي النصف ساعة .

الاربعاء ١٦ كانون الثاني ١٩٢٤

دار انحرال ودار لندون الشامي افرسي حبيب وكن في مسعاه
رئيس الجامعة دودج والاسنده برذائم اعني كما جمع طلاب لاسعاه .
وعند حضوره الفى كلمة موحزة عمر فيها عن سروره لبر - به حبيب ثم ذهب
برفقة الرئيس دوج الى وسيت هول حيث تناول الشاي معه .

الاحد ١٧ شباط ١٩٢٤

بلغنا ان توري السعد وزير الحربية العراقية وصل الى بيروت فاستقبلنا
ابا وعدد من الطلاب العراقيين الذين خرجوا من جامعة بابل . وفيه نحن
في طريقنا الى صافى ان نهداه وهو موجه الى الجامعة . فعدا مسرعين
الى الجامعة فوجدنا به دند دار الاسناد هول لندول اشدي عدا . فبعنا
منظره حتى خرج فاحبنا به في غرفة الجمعية لعربية وحضر كبر الطلاب
العراقيين فانقوا علينا كلمة حنا فيها على الامم مبروصنا وباريصنا
المدنية .

الاحد ١٢ نيسان ١٩٢٤

اجتمع اليوم الطلاب العراقيون في الجامعة في وسيت هول بقصد تأسيس
جمعية للطلاب العراقيين في الجامعة فبعنا لجنة موقفة توعى شؤونهم . فحبب
و هذا الاجتماع مساله تأسيس جمعية لطلاب العراقيين وقرر احد صدور
لطلاب . وقبل الاصراف ورعت اوران على الحاضرين وطلب الى كل منهم
ان يدون اسمه وعنوانه والصف الذي ينتمي اليه .

السبت ١٧ مارس ١٩٢٤

أقيمت في الساعة الثامنة وال نصف مساءً حفلة خطابية عيشت أجرة الدحول إليها نصف ليرة سورية فذهبت مع الاحوان العراقيين . اما الخطباء ، وثلاثة هم : امين الريحاني (واسحق) النشاشيبي اديب فلسطين و خليل بك مطران . وقد برأس الحفل الاسناد جسر صومط وحضره الرئيس دوح وحلس من الخطباء في لوسط . وكان خطاب الريحاني رائعا ، اما خليل بك مطران فالتقى قصيدة ثلاثمائة بيت من الشعر وقد طبعها مسبقا وورعها على الحاضرين في نهاية الحفلة .

الثلاثاء ١٧ حزيران ١٩٢٤

القيت صباح اليوم في اجتماع الطلاب العام (Assembly) كلمة باللغة الانكليزية بالنيابة عن طلاب الصف الثانوي الاحمر (الحامس) اودع فيها الاساتذة والطلاب بمناسبة اكمالنا الدراسة الثانوية والتقى طوقان قصيدة بالمناسبة كما التى عمر فروخ قصيدة اخرى يودع فيها الاساتذة والطلاب .

الجمعة ٢٧ حزيران ١٩٢٤

أقيمت اليوم في الساعة الثامنة مساءً في المنتدى الكبير (Chapel) حفلة توزيع الشهادات على متخرجي الثانوية وكنت أحدهم ، فتكلم عن الطلاب صبحي محمصاني باللغة الانكليزية وكوستي زريق باللغة الفرنسية وعمر فروخ باللغة العربية .

السبت ١٢ كانون الاول ١٩٢٤

أقامت مساء اليوم جمعية زهرة الآداب حفلة مثلت فيها رواية « دوق بورغنديا » كنت احد المساهمين في التمثيل .

الجمعة ٢ كانون الثاني ١٩٢٥

وصل اليوم الى بيروت الجنرال سراي من باريس على ظهر الباخرة « لوس » فمنحت الجامعة عطلة الى جميع الطلاب لاستقباله .

الاثنين ١٢ كانون الثاني ١٩٢٥

قامت اليوم في بيروت مظاهرات امام السراي وقد احتشد الناس وهم يعلتون عن عدم ثقتهم بالمجلس لنيابي الذي اخذ على عاتقه انتخاب حاكم وطني للبنان الكبير وذلك حسب الوعد الذي قطعه المندوب السامي الجديد لسورية . ذهبت مع يوسف زينل لمشاهدة المظاهرات وادا بجمهرة من الناس محتشدة امام باب السراي وكان يخطب بهم رجل قصير القامة والكل يهتفون (يسقط

الجلس (النيابي) . وفي هذه الأثناء قدمت ثمة من الجنود منطون خيولهم وشامرين سيوفهم وأخذوا يفرقون الناس ولكن الناس لم يعبأوا بهم واستمروا في هتافاتهم . وكان أعضاء المجلس النيابي مصطفين على الشرفة . وكلما أراد أحدهم أن يلقي كلمة على الجمهور المحشد لانعائهم واستكانهم لم يجد من يصغي اليه حتى نهض خطيب من بين الجمهور ووجه كلامه إلى أعضاء المجلس النيابي قائلا : « انتم لستم أعلى من طينة الشعب فمن أراد أن يلقي علينا كلمة فما عليه الا أن ينزل من الشرفة ويقف بيننا لا فوق رؤوسنا » فنهض له الجمهور واضطر أحد أعضاء المجلس إلى أن ينزل من الشرفة فحمله الناس على أكتافهم وتكلم محاولا اقناع الجمهور بما يرضيهم ولكنهم لم يعبأوا به وأخذوا يستمرون بهتافاتهم ، ثم أخذ الجنود يفرقون الناس وعدا إلى الجامعة .

الاثنين ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٥

عقدت جمعية العروة الوثقى بعد ظهر اليوم جلستها الانتخابية فانتخب فريد زين الدين رئيسا لها وبوسف رينل نائبا للرئيس ومحيي الدين يوسف أمين سر الجمعية واسكندر حريق امينا للصندوق وقد سحب محمد دشسي نفسه من الترشيح .

الاثنين ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٥

وردني اليوم كتاب من الاخ فاضل الجمالي يمت لي فيه بعض الأبيات من الشعر من نظم يصف فيها الطبيعة في حمة .

الأربعاء ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٥

قام اليوم طلاب الصف الثاني والعلمي بالكلية بمظاهرة احتجاجا على قرار الجامعة باستثناء طلاب الصف الثاني من امتياز الأكل خارج الجامعة . فترجم هذه المظاهرة فريد زين الدين وحبيكاتي فوقف الأول بين المتظاهرين خطيبا ثم تلاه حبيكاتي وكانا يتكلمان باللغة الانكليزية . وقد قوبل كلامهما بالتصفيق الحاد ، ثم تقرر تعيين أربعة اشخاص من الطلاب لمراجعة العمدة بهذا الخصوص .

الخميس ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٥

عقدت الجمعية العراقية جلسة انتخاب فيها عشرون عضوا ثانويون عهد اليهم انتخاب الرئيس وأعضاء اللجنة الادارية وكنت أحد هؤلاء الأعضاء الثانويين . وقد قرر في هذه الجلسة تخصيص مبلغ من صندوق الجمعية لاقامة مسابقة خطابية بين طلبة الصفوف الاعدادية من العراقيين . وقد القى ممتاز عارف كلمة في هذا الاجتماع ندد بالذين يدعون بالوطنية وهم ليسوا منها .

وكان السرب الذي حمل مزار عارف على ذلك انه تشكل حربان بين طلاب
لقسم الاعدادي ومما حرب محمد دشني وحرب محي الدين يوسف وكان كلام
مزار عارف موجه الى جماعة حزب محمد دشني . ثم بلاء حكمت امين فاعى
بصيدة تنعاه من احد اصدقائه في بغداد وانصرفت الجلسة .

الخميس ١٩ شباط ١٩٢٥

اقامت جمعية زهرة ، لآداب حفلة في مبنى وست حول كان المكسور فيها
كل من السادة نجيب حلف والاسه الاميرة بجه بنت اللمع . وفي اعتراف به
الخطباء عرفت آسة من امارب بنت اللمع على ابيايو ، وكذلك عرفت انا على
العود مع كمان الخطيب بدي عزف على اساي مصفق لنا الحاصرون وطلبوا
مما اعادة العزف فبينما طيبهم . ثم قام المحامي نجيب حلف وتلا بيتا من الشعر
يشتم فيه على عزفنا فانس به الجميع .

السبت ٢١ شباط ١٩٢٥ .

كان مساء اسوم موعد حفلة المسابقة الخطابية التي اقامتها الجامعة والتي
نبرع الامير حزعل امير المحمرة بجوائزها وكنت احد الخطباء المبارزين الذين
اشتركوا في هذه المسابقة . (٥)

الاثنين ٢٢ شباط ١٩٢٥

عقدت جمعية العروة الوثقى جنستها الاولى للفصل الثاني من السنة
الدرسية وقد دعي الدكتور محجوب المرافق بسعد زعلول في مصر فاعى محاضرة
استمرت حوالي ساعتين فكان ياتي بكتات لطيفة بين آونة واخرى لارلة الملل ،
وعو خطيب مصمم كان كل كلامه ارتجاليا بدون تأهب له .

الثلاثاء ٢٣ شباط ١٩٢٥

شرت صباح اليوم جريدة الاحرار البيروتية تفاصيل الحفلة التي اقامتها
الجامعة بهار السبت الموافق ٢١ شباط ١٩٢٥ لاجراء المسابقة الخطابية الكبرى
بين طلاب الكلية وقد قدم جوائزها الامير حزعل امير المحمرة . وكنت احد
المشاركين الناحين في هذه المسابقة . (٦)

الخميس ٩ نيسان ١٩٢٥

عادونا بيروت صباح اليوم انا ودرويش الجبدي ونجيب ابياجه جي قاصدين
دمشق في طريقنا الى بغداد لقضاء بضعة ايام فيها بمناسبة العطلة الربيعية ،

(٥) انظر التفاصيل عن هذه البادرة في الفقرة (٦)

(٦) انظر التفاصيل عن هذه المسابقة في الفقرة (٦) .

وما ان دخلنا دمشق حتى رأينا الاهيين مسبيين حول مقر الحكومة مطهرين في الأرفقة والأسواق وقد اصرروا عن العمل وقد فعلت لذلكين عموما احتجاجا على مدوم بلبور الى دمشق بجرح افراد الشرطة ثلاثة من الاهيين لان الاهيين احدثوا يصرون افراد الشرطة بالحجارة مما اضطر افراد الشرطة ان يطعنوا الرصاص واستمر اطلاق الرصاص حوالي الساعة .

بغداد الاثنين ١٢ نيسان ١٩٢٥

ذهبت صباح اليوم أنا ونوسف زينل واكرم زينل وحقي الطبقجلي الى جامعة ال ابييت في المعظم بمناسبة ريارنا سعداد في لعطنة وبعدنا صغوفها مررنا البناء الاول الذي تم اشاؤه مؤحرا وهو يتألف من شعبين فقط شعبية علم الدين وفيها عشرون طالبا في عمائمهم وهم يشغلون الطابق الاسفل . اما الطابق الأعلى فيشغله طلاب الهندسة وعددهم ستون طالبا فحدثنا مدير دائرة الهندسة ودار معا في كل الصغوف وازاد اعمال الطلبة والمختبرات الخاصة بالطبيعات وليكانيك وقد اعدنا ان مجموع ما اتفق على بناء هذه البناية ٦٦٥ ألف روبية . وقد شاهدنا اساسا لبناء حديث تتجه الانظار الى تشييد مرصد فلنكي وشعبه للزراعة فيه .

بغداد الجمعة ١٧ نيسان ١٩٢٥

زرنا أنا واكرم زينل اليوم بعد انظر نادي حزب النهضة فقدم لنا الكاتب بطاقتين لدعوة حضور الحفلة التأسيسية التي ستقام بهار اهد للشمع مهدي الخالصي .

بغداد السبت ١٨ نيسان ١٩٢٥

ذهبت مساء اليوم أنا ونحس الباجهجي الى دار حزب النهضة (٧) حيث اقيمت حفلة تأسسية للامام الحالي وحضرها كبار القوم وكانت حفلة شائعة التي الزهاوي فيها قصيدة مؤثرة كما التي السيد مهدي العرويني والعمان خطبتين ارتجاليتين بليفتين .

وهنا نهي قصيدة الزهاوي قال :

فجعتنا حوادث الايام	بابي الشعب حجة الاسلام
يعجب الاسلام بالمضلع الاك	بر بالحبر بالعميد الهمام
بعد ان غاض يملأ الارض خصبا	غاص بحرا للرزينة طمامي

(٧) تأسس حزب النهضة في شهر آب ١٩٢٢ اثر صدور قانون اجازة تأسس الاحزاب في ٢٥ حزيران ١٩٢٢ وكان هذا الحزب من المعارضين للحكومة .

وهوى من علوه في دوي
كان فردا ورب فرد عظيم
وحند الشعب في العراق جميعا
قد وجدنا شهر الصيام كئيبا
لا تلمني اذا بكيت من الحز
انتظرنا منك الرجوع ولكن
انما الناس من رفاتك في يا
اضاعوا شيئا لهم اي شيخ
تظن القمقام يصبح رهوا
انت ذاك الميت الذي ليس يبلى
كلما مرت العصور تباعا
قد مللت الخصام في هذه فاخ
ايها الشيخ قد ذهبت كئيبا
دميت بعدك الجروح فمن ذا
وطن القوم بعد فقدك روضي
انت يا حافر الفريخ افدني
ايها النعش كيف ترغى نزولا
اذربي يا عيون دمعاً لم تدخره
ايها الموت قد اخذت ابا للشعب فمن ذا تركت للايتام ؟



علم شامخ من الاعلام
هو قسوم وليس كالالوام
بعد خلف فيه وبعد انقسام
لنفس اتي بشهر الصيام
ن فاني امام خطب جسام
حال دون الرجوع عنو الحمام
س عظيم ومنه في الام
واماماً في الشمرع اي امام
بعد ريج هبت على القمقام
ذكره من تصاحب الايام
ذكرته العصور بالاعظام
ترت دارا ما ان بها من خصام
ايها الشيخ فاذهبن بسلام
لجروح ملء القلوب روامي
ليس فيه الربيع باليسام
اي غمد اعددت للمصام
في حفر وانت كالطود سامي
للحسادات الجسم
ايها الموت قد اخذت ابا للشعب فمن ذا تركت للايتام ؟

حكمت بالشقاء فينا الليالي
توالي على البرايا والرزايا
كثر الواردون حوض المنايا
واذا لم يسر الى الناس هذا
لم اشاهد كالموت رذاً نعيمًا
تري اننا من السسيل ننجو
خطف الموت الناس من كل جيل
« واذا لم يكن من الموت بد »
ليست الدنيا تستحق لعمرى
انجرت ايام وجنت ليال
واذا كانت الحقيقة بيضاء
انا لم اشهد السعادة الا

والليالي شقية الايام
كسهاهم يصبن اثر سهام
انه منهسل كثير الزحام
الموت ساروا اليه بالافحام
فيه غير الانام مثل الانام
ان لجنانا منه السى الاكام
مثل ذئب يعيث في الاغنام
فلنقابل عبوسه بابتسام
كل هذا الهوى وهذا الفسارام
والليالي تجود في الاحكام
فماذا يفيد منا التعامي ؟
مثل طيف يزورني في المنام

لا تزود الحسنة، نعم لم
لم يعش الا نغو دا، عقام
والتايا للمر ذات لزام

انها كانت تستزار ولكن
اي نفع من الحياة الشيخ
ومن الخرق ان نهاب التايا



حين يدنو ام كان غير ذوام
حلم باطل من الاحلام
حيرة للعقول والافهام
صورا من رواسخ الاوهام
وضياء جاء بعد ظلام
نعم وجه الهيمن العلام (٨)

لا لبالي اذا كان موتي ذواما
ما حياة امري، سيهلك الا
انما هلي الحياة لعمري
لم تكن اكثر الحقائق الا
كم ظلام قد جاء بعد ضياء
ليس يبقى من الوجود اخرا

الحلة - الاثنين ٢٠ نيسان ١٩٢٥

ذهبت هذا اليوم الى الحلة الفيحاء مسقط رأسي ووطن الصبا فصار قلبي
ينفق حنيئا وشوقا واما اجتاز الشوارع في طريقي الى دارنا .

الحلة - الاربعاء ٢٢ نيسان ١٩٢٥

وصلتني صباح اليوم بطاقة دعوة من مدير معارف الحلة لحضور الحلة
التي ستقام مساء في المدرسة الابتدائية لسماع مسامرة الاميين وبمناسبة
وجودي في العراق لقضاء العطلة الربيعية اعدت كلمة القيتها بهذه المناسبة
كان موضوعها « الدراسة في الجامعة الامريكية » (٩) . وقد حتمت كلمتي بقولي :
« بصفتي تلميذا وطالب علم وحبا بطالبي العلم من ابناء الفيحاء اتبرع بخمسين
روبية لتنفق على تدريس الاميين بالطريقة التي يرتأونها حضرة المدير . » ثم
اخذ الحاضرون يتبرعون كل حسب امكانته وكان من بين الحاضرين رزوقي ابن
صالح المهدي فقد تبرع بمائة وعشرين روبية .

بغداد - الخميس ٣٠ نيسان ١٩٢٥

ذهبت صباح اليوم مع محمد دشتي واكرم زينل لزيارة دار المعلمين
وتفقدنا صفوفها واحدا واحدا فوجدنا ان هناك قسمين ، قسم داخلي وقسم
خارجي ، وفي المدرسة قسم لاعداد معلمي مدارس القرى وقسم آخر لاعداد

(٨) نكلا من كتاب « ذكرى الباطني » تأليف المرحوم عبدالرزاق امين ، بغداد - ١٩٢٥

(٩) نشرت في جريدة السياسة البغدادية بعدد يوم ٢٠ نيسان ١٩٢٥ ماس ١٩٢٥ (النظر

لن الكلمة في الصفحة ٧)

معنى مدارس لندن . ومن بين الصفوف سي روبرت الصف الذي كان يدرس فيه متى عمرو في جامعة ناسلوب بدمشق وكان يدرس علم النفس باللغة العربية .

بغداد - السبت ٢ مارس ١٩٢٥

درس اليوم انا ومحمد دسني واكرم رفعت المدرسة الأمريكية طلمات في بغداد فدينا مدرسه وعي عبيد نيسر صواب فرحبت - وكلمنا عن المدرسة مفصلا . فذكرت ان عدد اطباء في مدرستها يكون مائة فيهن طلبة واحد فقط مسلمة وعي من عائلة اخندري . وقد كبرت المدرسة على اوائها عادة يومي السبت والاثنين فتم ينيسر لنا زيارة الصفوف .

بغداد - ٣ مارس ١٩٢٥

عادنا بغداد طهر اليوم عاندي الى بيروت بلاحتى الجامعة بعد بها عطشتنا الربيعية فوصلنا الى بيروت في اليوم التالي .

بيروت - بعد العودة الى الجامعة - الاربعاء ٦ مارس ١٩٢٥

نائب بعد طهر اليوم طلاب الجامعة اعرب بارء الباب الرئيسيه بجامعة وعلق كل منهم شريطا اسودا على صدره حدادا على ذكرى الشهيد الواحد عشر الدين تسعهم جمال باشا السعاح في ساحة الريح بيروت . فحمل الطلاب تصاوير الشهيد وراء حاملتي اكايل الرهور اسوداء . سرنا خلفهم مصطفى على طول الطريق العام فدهنا بوا الى ساحة شهيد . وهناك انضم ايضا طلاب المدارس والكليات الاخرى مع اكايلهم . ثم سرنا جميعا فاصدق مقره الشهيد خارج البلد فبلغنا بعد مبره نصف ساعة مبريا . فجمع الجمهور حول المنصة وداحها ثم وصفت منصة في وسط الجامعة فوقف عليها رئيس الحفل حبران نوسي صاحب جريدة الاحرار فألقى كلمة اعقه عدد من الخطباء منيدين بشو الشهيد وعظمه هذا اليوم ودمسبه . وكان من بين الخطباء حمسه من طلاب جامعة . وفي اجنام امي فلكس فارس خطيب سوربه المصنع كلمة بيعة في هذه المنسبه كان بها تأثير عميق في نفوس الحاضرين .

بيروت - السبت ٩ مارس ١٩٢٥

كان مساء اليوم موعد حفلة الماراه الخطابه التي اقامها جمعية ومبره الآداب في الجامعة . وهي الماراه التي اشركت فيها فكتت ثامي الخطباء البارزين وموسوعي " اصصحبه اساس انهمه " وبعد ان انتمى الخطباء خطبهم اجتمعت لجنة المحكمين برئاسة عبدالرحيم بك لملاب وعصونه كل من اسبح ابراهيم المنذر والنسج يوسف زحرنا في عرقه مجاوره . وبعد عشر دقائق

تخللها عزف موسيقي وقف رئيس اللجنة واذاع نتيجة الحكم وهي فوزي
بالحائزة الاولى وفوز اكرم زعيتر باشاية وفواد اعبد بالثالثة . ثم انصت
الجلسة فاقبل اكثر الحاضرين بهشي على فوزي بالحائزة الاولى . وقد صافحي
الاستاذ انيس الحوري مهشا اياي وكذلك الاساتده والزملاء (١٠٠)

الاحد ٢٤ مايس ١٩٢٥

القي اليوم الرئيس دوج رئيس الجامعة خطابا في الكنيسة حضر لسماعه
جميع الطلاب والاساتدة وذلك بمناسبة عودته من جولة في الولايات المتحدة
الامريكية وفي اوروبا ، فاشار الرئيس الى التطور والتقدم في مسيرة الحضارة
الانسانية واخذ يشرح لنا المكتشفات الحديثة ومنها الراديو (١١) الذي اخترع
في الولايات المتحدة الامريكية فذكر ان خطاب رئيس الجمهورية الامريكية أصبح
نتيجة هذا الاكتشاف يسمع في كل انحاء الولايات المتحدة ، شمالها وجنوبها ،
شرقها وغربها ، يسمعه الجميع ، واضاف انه هو نفسه تكلم بالراديو عن
احوال الشرق فكان يسمعه الناس في كل انحاء امريكا .

الاثنين ٢٥ مايس ١٩٢٥

عقدت جمعية العروة الوثقى مساء اليوم جلسة خطابية يلقي فيها الاعضاء
خطبهم ولما كنت أحد الذين لم يلقوا كلمة بعد فقد أعددت خطابا موجزا بعنوان
« هل توافق على اشتراك الطلبة في السياسة ؟ » وهذا بعض ما ورد فيه :

ان الواجب ايها الاخوة يقضي على كل منا ان يكون له نصيب وافسر في
معرفة شؤون بلاده وان يعنى بكل ما يتعلق بها من شؤون سياسية واقتصادية
وتاريخية واجتماعية ، ولكن هناك يعترضنا سؤال متى وكيف نشترك بهذه
العماليات بشكل جدي ؟ فهل نشترك ونحن لا نزال في عهد حياتنا المدرسية
بين جدران دار التلمذة ؟ ان واجباتنا كثيرة ولكن لكل واجب مكان ولكل عمل
مقام . ان حياة التلمذة ان هي الا ايام معدودات علينا ان نكرسها في تحصيل
العلم لكي نبني اساسا قويا لمعترك حياتنا في المستقبل فاذا كان ذلك الاساس
ركيكا خسرنا اعظم ما يملكه في الحياة . هي الايام التي تفتح فيها زهرة الحياة
وريقاتها لتنتشر مساعينا المدرسية في وسطها لقاح العلم الحقيقي فتلتقح وتثمر
ثمرة ناضجة تعم فائدتها على الجميع . هي حقبة سموات من حياتنا علينا ان
نركز فيها على الهدف الذي اتينا الى هذه الدار من احده وهو تحصيل العلم

(١٠) انظر التفاصيل من هذه المبادرة في الملزمة (٨)

(١١) هكذا ورد اسم الراديو في الملزمة مما يدل على ان الراديو كان يسمى بهذا الاسم
في اول ظهوره .

والمرقة . كيف لا وهي فرصة العمر فرصة ثمينة لا تكرر في حياة الانسان وقد سدم فيما اذا لم يستغلها لتحقيق ذلك الهدف حيث لا سمح السدم . .
فسوحة عاينا ولتحرص اهتماما في تحصيل العلم فدرس سر عطاء ارحال
وباربع بهصاب الضموب حتى اذا ما خرجنا الى معترك الحياه اقبله سقيا
تلك المعرفة من مهمل الاحتمار لتعمل على اسعاد وطنا فعلا لا قولا . وادراك
تكون قد حقق الهدف الذي سوحاه من العلم في خدمة الوطن والسلام عليكم .

السبت ٣٠ مايس ١٩٢٥

اقامت جمعية تهذيب الشبيبة السورية مساء يوم ٣٠ مايس ١٩٢٥ حفلة
كبرى في مبنى وست في الجامعة الامريكية حضرها جمع عفير من ارباب العلم
سواءا ورجالا لما يتمتع به خطباء هذه الحفلة من شهرة في الاوساط العلمية
والادبية . فقد دعم الجمعية الدكتور بيولا فياض وهو أحد حريحي الجامعة
الامريكية والآتسة مي ليكونا خطيبي الحفلة وقد خصص ريعها ليلفق على تعليم
الشبيبة السورية . وما كادت تحل الساعة الثامنة مساء حتى اخذ الناس
ينهاقون الى الجامعة ، ولم يمض وقت طويل حتى عصت الساعة بانحضور ،
ثم دخل الخطباء ورئيس الحفلة الاستاد نجيب بك سرتق فجلس كل منهم
في المحل المدة له . افتتح الجلسة احد اعضاء الجمعية بالقاء كلمة وجيزة عن
الجمعية وعادتها ، ثم تلاه الخطيب المفعوه الدكتور بيولا فياض فالتقى خطابه
وموضوعه « انا وانتم » فاخذ يفرد على اعصان المسر ابيانا رقيقة مستهلا
خطابه ببضعة آيات مطلعها :

يا مي هذه ساعة الميعاد تسلي فؤادك عن حقوق فؤادي

فكان لكلامه صدى عميق في نفوس الحاضرين حماسا للوحدة وحنينا
للاحوة الشمرية والسامع الدبي فانه وايم الحق اسع خطيب وقد كان كل
كلامه ارتجاليا . ثم تلاه الاستاد انيس الخوري والتقى قصيدة رثاة ، واعقبته
اميرة الكتاف فاعتلت المنبر وقد ادهشت الحاضرين ببلاعتها وفصاحتها كما
ادهشتهم في اسلوب القاء خطابها . وقد تحلل الحفلة انغام موسيقية واناشيد
شرقية قام بها الاستاذ عمر زعني اشهر الفنانين في بيروت .

الجمعة ٥ حزيران ١٩٢٥

عقدت الجمعية العراقية هذا اليوم اجتماعا لآخر مرة في هذه السنة الدراسية
(١٩٢٤-١٩٢٥) وكانت جلسة انتخابات فانتخب فاضل الجمالي رئيسا للجمعية .
وفي هذه الاثناء قام احد الاعضاء وطلب من رئيس الجلسة ان يدعوني لاعزف
قليل على العود قبل سمري لامريكا ليسمعوا مني آخر قطعة على العود فلبيت
الطلب وعزفت قطعة (تقسيم) فطرب لها الحاضرون وسط تصفيق .

الجمعة ١٩ حزيران ١٩٢٥

انتهيت اليوم من الامتحانات في الجامعة لسنة ١٩٢٤-١٩٢٥ بنجاح وند
قررت بإذن الله اسفر الى امريكا في ٨ تموز ١٩٢٥ .

الاحد ٥ تموز ١٩٢٥

طلعت اليوم الى الجبل فذهبت الى حمانة حيث قضيت يومين في ريادة
لعاصل الجمالي وعبدالجبار الجليلي .

الثلاثاء ٧ تموز ١٩٢٥

رسالتني من بيروت الى يوسف رينل قبيل سفري الى امريكا اردع فيها
احواني العراقيين .

أخي :

ها هي الساعة قد دنت بدنو الرحيل فانزل دمة حارة على سطور عجائتي
هذه وهي رسالة الوداع ، اذ لم يبق الا ساعات معدودات لسفري وقد اخذت
اشعر بالهم العراق فصرختي حرارة الشوق وهي تحرق بوادي وتمزيق اوبار
قلبي ، ولا بدع فاني سافارق اعز من عرفت في الحياة ، سافارق رفاق الحياة
بل سافارق اخوة سوب تبقى حلاوة العيش واياهم على شعتي الى الابد .
والله لقد عز علي مراقبكم كثيرا وم بعثت اليك هذه السطور الا لأحفف عن
غمي ولاسطر على جبينك قبلات الوداع . ولا يسعني الآن وانا على وشك
مفاداة بر لبنان لاستقل الباخرة الا ان ابتهل اليه تعالى ان يظلك تحت رايه
القرن والفلاح مقرونين بأسعد العيش . سلامي الى الاحوان جميعا وافول في
اختتام : الوداع يا من وددت في الحياة من رفيق او نسيب من بلاد أو ديار ،
الوداع الى يوم الملتقى الذي يجمعنا كرة اخرى للعمل تحت راية الوحدة في
الوطن العزيز ان شاء الله ودم معززا لاهيك المشتاق .

ومن زملائي غير العراقيين الذين اذكركم : قسطنطين زريق ، عمر فروخ ،
شماره مالك ، فريد زين الدين ، اكرم زعيتر ، كنعان خطيب ، ومن اصاقتني :
فيليب حتي ، انيس الخوري ، امين الحسن .

الباب الثالث - دراستي في امريكا

١ - مغادرتي بيروت وسفري الى امريكا ٢ - الجمعية الزراعية في بيروت بضمير عضوية اعضائها
في الخارج مسمره ٣ - انضمامي بين الطلاب العراقيين في الجامعة الامريكية ببيروت ٤ - المراه في
امريكا وفي العالم العربي ٥ - دراستي في امريكا ٦ - الامر واليوم ٧ - معامرات لحرارية

١ - مغادرتي بيروت وسفري الى امريكا

عادت بيروت يوم ٨ تموز ١٩٢٥ (اي قبل حسين سنة بالصبط) متوجها
الى امريكا لمواصلة دراستي العامة في كليه بكساس الزراعية الميكانيكية
(Agricultural and Mechanical College of Texas)
التي سبق ان حصلت منها على قولي فيها معترفة بدراستي في الجامعة
الامريكية في بيروت . وكان سفري على ظهر الباخرة الامريكية « براكا »
(Braga) ، وهي باخرة حمل خاصة بنقل البضائع بين مختلف الموانئ
في البحر المتوسط والبحر الاسود وبين الولايات المتحدة الامريكية ، الا انه
كان في الباخرة جناح خاص لنقل الركاب عليها بعدد محدود وبدرجة واحدة
ممتازة تعادل الدرجة الاولى في البواخر الاخرى . وهكذا قد مررنا اولا بحيفا ،
ثم باستامبول ، فكوستانتينا في رومانيا على البحر الاسود ، ثم الرجوع الى
البحر المتوسط فمررنا بازمير واثينا ورسينا وبالرمو والجزائر (الجزائر) وملاكا
في اسبانيا . فكانت الباخرة تقف في كل من هذه الموانئ ، لتفريغ وشحن
البضائع مما يتيح الفرصة للركاب ان يزوروا هذه الموانئ . فيستجولون فيها ثم
يعودون الى الباخرة ليلا للمبيت في غرفهم الخاصة . وهكذا فقد زرت هذه
الاماكن كلها والتي لا ارال احمل ذكريات جميلة عنها ، ومن ملاكا آخر ميناء
من موانئ البحر المتوسط اجتازت الباخرة مضيق جبل طارق باخرة عباب
الاوقيانوس الاطلانتكي في طريقها الى نيويورك فمطعته في بضعة ايام هبت علينا
في خلالها عاصفة هوجاء اقمعتنا عن اية حركة ولم يحرا احد مغادرة فراش النوم ،
وقد دامت هذه العاصفة يومين متواصلين ، ثم هدا البحر فواصلنا السير حتى
وصلنا الى نيويورك صباح يوم ٦ آب ١٩٢٥ ، وبذلك تكون سفرتنا قد
استغرقت حوالي الشهر كانت اجمل سفرة قمت بها في حياتي رغم الازعاج
الذي اعترضنا بهبوب العاصفة .

وما كاد يطل الركاب على مرفأ نيويورك المتسع حتى ظهر تمثال الحرية
شامخا وهو على هيئة امرأة تبسط ذراعيها مرحبة باولادها وهي تحمل في
يسنها المرفعة مشعلا ينير سبيلهم الى بلاد الحرية . وهذا التمثال مع مباني
نيويورك الشاهقة التي تناطح السحاب هي اول ما يحيي المسافرين الى هذه المدينة

العظيمة . وقد أقيم التمثال على إحدى الجزر الصغيرة التي تحصن مرفأ نيويورك . وقصة هذا التمثال هي رواية الصداقة بين فرنسا والولايات المتحدة التي ترحم أي مطلع العقد الثامن من القرن الثامن عشر . وبمأساة الاحتمال بانقضاء مائه عام على إعلان الاستقلال الأمريكي (أي سنة ١٨٨٦ م) أراد الفرنسيون أن يكرموا أخيم الجمهورية الأمريكية فيعبروا عن هذا التكريم في هدية رمزية يهديها لشعب الفرنسي إلى الولايات المتحدة تكون مثالا لروابط الصداقة بين البلدين ، فجمعوا بالمسيو أغسطس برتولدي الفنان الفرنسي الشهير إلى أمريكا ليسبق مع المسؤولين فيها على اختيار الهدية . فعرض عليهم امراحت برمي إلى وضع تصميم لتمثال ينصب على إحدى الجزر الصغيرة في مدخل مرفأ نيويورك فوافقوا عليه وتقرر أن ينفق الشعب الفرنسي على صنع التمثال وسبق الأمريكيون على صنع القاعدة التي يقوم عليها التمثال ، وعلى اثر ذلك اتخذت الاجراءات اللازمة لسيفد المشروع على هذا الاساس حتى أحرر العمل وفق التصميم المصنوع له .

١ - تمثال الحرية

وتمثال الحرية هذا أكبر التماثيل في المسكونة وأضخمها ، هيكله مصنوع من الحديد ومغطى بصفائح الرونز المطروق ، وهو مؤلف من ثلاث مئة قطعة من الرونز تختلف مساحاتها بين دراع مربعة وثلاث أدرع مربعة . ولا يزيد ثخن أحداها على ربع بوصة ، ومع ذلك فوزن التمثال ٢٥٠ طناً . وعلى التمثال من أحص قدميه إلى رأس المشعل ١٥١ قدماً ، وطول يده القاضية على المشعل ١٦ قدماً ونصف قدم ، أما القاعدة فارتفاعها ١٥٤ قدماً . وبذلك يكون الارتفاع الكلي للتمثال مع قاعدته ٣٠٥ أقدام . هذا مع العلم أن أربعين شخصاً يستطيعون الوقوف في داخل رأس التمثال وثني عشر شخصاً حول المشعل . وهذا التمثال مع مباني نيويورك الشاهقة التي تصاح السحاب بارتفاعها هي أول ما يحيي القادم إلى هذه المدينة العظيمة - كما تقدم - .

ب - جزيرة الس

ونعت بما الباخرة أمام جزيرة الس (Ellis Island) التي تهلج لذكورها قلوب المهاجرين إلى أمريكا لما ينقذ الكثيرون فيها من مرارة معاملات التحقيق والسدمين والمحصن الطبي قبل أن يؤذن لهم بالدخول إلى أرض الميعاد أو قبل أن يفرر أو يراجعهم على أعقابهم إلى بلادهم . ولما كتب من صف الأجانب فكان يصيبي أن يرل في الجزيرة مع بقية الأجانب قبل أن يسمح لي بالذهاب إلى نيويورك . فقصيت ليلة واحدة في الجزيرة ، وبعد أن حصت للمحصن الطبي مجدداً على الرغم من أن ذلك أجري في بيروت وأنتمت معاملات السفر المطلوبة غادرت الجزيرة يوم ٧ آب ١٩٢٥ ، وقد صادف أن صابطاً

امريكيًا لمحي واما مع اممي افس عن وسطه سيسي ابي نيويورك فمسي
 عن يدي قلب له ابي طائب عرامي قدمت في مركب مدحور في حدى انعامات
 في تكساس . فمالي هل اعراق بران دحبه و اعراق هو بلاد ما بين
 النهرين (ميروپوديا) فحجتي في وسرع ان ياخذني معه في نيويورك . فحصل
 معي بعض اممي وركبنا رورق ابي تان بسطرد على الساحل ومن ثم برس
 الى بر نيويورك حيث كانت سدره مسطره على توصيف . بعد سيسي على
 هناك فندق معين برغب في السرور فيه دحبه مع في اربع في العرول في فندق
 لبنان في شارع واشسطن فاحدي مع ابي اعدي وركبي فودعه ساكرا له
 فضله . وشارع واشسطن جدا من اوله اني آخره شارع سوري سيسي على
 الغالب فاذا سرت فيه مسعرضا بسبه واسواقه ومطعمه ومعرضه مسوعة
 تشعروا كانت في حي من احياء لبنان .

ج - نيويورك بلدة ناطحات السحاب

بقيت في نيويورك خمس ليالي دفعت دولارا واحدا عن كل ليلة (مضام
 فقط) في غرفه خصوصيه . ونيويورك شتيرت جبايتها التي صربت الرسم
 القياسي في ارتفاعها حتى صارت تعرف بمدينة نطحات السحاب . ونيويورك
 اهمه المدي في امه مساحه واسعة سكا واعظمها على وثروة . فيها اعلى
 المباني واطول الجسور لمعقه واصحبه وافهم الفادق . ووسائل لا تنقل بمنه
 فيها تحت الارض وتحت الماء وفوق الارض وفي الهواء فستقل الملايين من الناس
 سنويا . وازدحام السكان في بعضه ضيقة من الارض كان الداعي لاسكار المباني
 الشاحقة والوصول من المباني ابي مربة عينا من الانفسان والكمال . والدي
 ساعد على التقدم في هذا الخصام ان نيويورك قائمة على طبعه عميقه جدا من
 الصخور ، فالاساس اثبات اندي تقوم عليه هذه المباني الشامخة يجب ان تقوم
 على صخر صلد عمقه يزيد على مائه قدم على ان ينشئ المسافة بين سطح الارض
 والصخر على نسق الابراج اصحبه المسه التي يبنيها صانعو الجسور اي
 بالكونكريت المسطح . والسايه بواحدة من هذه المباني مدسة مصورة فيها
 من الروافع ما يريد على اربعين او خمسين رافعة تقسم الى قسمين ، روافع
 سريعة بلا هوف واحرى بقف عند كل دور . ونجد في هذه اسانه المطاعم
 والمخازن والمكاتب ودوائر اسريد ولسفون وشركات والاطباء والمحامين
 والخياطن والحلاقين ومساحي الاحدية وناهي السحابر الخ . . واحتمالا ان
 الساكن او المشغل في نهاية من هذه الاسية لا يحتاج الى اخروج منها لفصاء
 حاجة من حاجاته بل يستطيع ان يفضيها فيها . ومن اهم هذه اسايات نهاية
 ولورث المؤلفة من ٥٥ دورا عدا الراج ارتفاعها ٧٩٢ قدما وقد بنيت بعمق
 بنائها نحو ثلاثة ملايين جنيه وفيها مكاتب تسع ١٤ ألف نفس بناها رجل
 عصامي يدعى ولورث جمع ثروته من محازل لا يباع فيها شيء اكثر من تصح

سنت (١) ، ثم بداية « الاكويثال » وهي تتألف من ٤٣ دورا وارتفاعها ٥٤٥ قدما يشتمل فيها يرميا ١٥ ألف نفس وبها ٦١ رافعة وقد بنيت بصفات سانها وثمن الارض نحو ٦ ملايين جنيه ، ثم بداية البلدية مؤلفة من ٢٤ دورا علوه ٥٣٩ قدما وعمق اساسها ١٣٠ قدما ، وقد بنيت بصفات بنائها مليوني جنيه . وهناك مبان كبيرة بنيت من عشرين دورا او اكثر .

د - الوصول الى الكلية

غادرت مدينة نيويورك يسوم ١١ آب ١٩٢٥ بعد ان تجولت فيها وزرت المواقع المهمة فيها قاصدا الكلية في ولاية تكساس احدى الولايات الامريكية الجنوبية عن طريق هيوستن ، فركبت القطار السريع وكانت اجرة السفر مع اجرة سريو منام (Puliman) ٨٥ دولارا ، فوصلت الى الكلية يوم ١٢ آب بعد ان توقفت بعض الوقت في هيوستن . والكلية بلدة قائمة بذاتها بما فيها من مبان ومرافق عامة وخاصة يقف القطار عندها في محطة خاصة بها تدعى « محطة الكلية » (College Station) وعنوان الكلية « كلية تكساس الزراعية الميكانيكية » (Agricultural and Mechanical College of Texas)

وتنفق الحكومة على الكلية والمطام فيها نظام عسكري يدرّب فيها الطلاب على مختلف الفنون العسكرية بالإضافة الى منهج الدراسة في الكلية ويتخرج الطالب فيها بعد اكماله سني الدراسة الزراعية او الهندسية ضابطا في الجيش الامريكي برتبة ملازم ويتمهد حطيا ان يخدم في الجيش الامريكي في حالة الحرب او عند الضرورة لاسباب اخرى . وفي كل ولاية من الولايات المتحدة الامريكية كلية حكومية من هذا النوع . هذا مع العلم ان التدريس في هذه الكليات مجاني وتنفق الحكومة على جميع ما يحتاجه الطالب من منام وماكل وملبس . وشروط القبول فيها لا تختلف عن الشروط التي تعمل بها بقية الكليات والجامعات في الولايات المتحدة الامريكية . وهكذا تعد امريكا آلافا من ضباط الاحتياط في مختلف فروع الاختصاص العسكري في كل سنة تستدعيهم للخدمة عند الحاجة . وتقبل هذه الكليات عادة بعض الطلاب الاجانب على نفقتها ايضا اسوة ببقية الطلاب الامريكان ، وفي هذه الحالة يكون الطلاب الاجانب مخيرين بين ان يلتحقوا بالقسم العسكري او القسم المدني وللطلاب المدنيين بداية خاصة بهم ومطعمهم منعزل عن مطعم الطلاب الخاضعين للنظام العسكري . واذا رغب الطالب الاجنبي في ان يلتحق بالقسم العسكري فهو غير ملزم عند تخرجه في الكلية باعطاء العهد ان يخدم في الجيش الامريكي عند الحاجة . ولا تقبل الكلية

(١) ان اولى بناية من بنايات ناطحات السحاب في الوقت الحاضر هي بناية « امباير ستيت » يبلغ ارتفاعها ١٢٥٠ قدما فوق سطح الشارع .

الزوج فيها لان الزوج محدود عليهم الاحتلاط مع البيض فهم ممزولون عنهم في الاماكن العامة ولا يتعامل الابيض مع الزنجي في البيع والشراء ، والكلية خاصة بالذكور فقط .

وكان في هذه الكلية طالب لبناني من زملائي في الجامعة الامريكية في بيروت كان قد سبقني الى هذه الكلية هو جودت حيدر (اخ رستم حيدر) والمنفيت به في الكلية وسكنت معه في البناية التي كان يسكنها وكان خير رفيق لي في حياتي الجديدة لما كان يتسم به من سمو الحق وكرم النفس . والعرب في غربتهم خارج البلاد العربية يتعاطفون بعضهم مع بعض ومخاصة اذا كانوا طلابا في جامعة او كلية واحدة . ومن ذكرياتي مع زميلي جودت اني عبرت له عن رغبتي في التكلم على التلفون اذ لم يسبق لي التكلم عليه فذهبت الى احدى البنايات وطلبتني من البناية التي كنا نسكنها وهكذا تمت مكالمتي على التلفون للمرة الاولى في حياتي .

وفي ٢ ايلول ١٩٢٥ وصل الى الكلية محمود فتاح من طلابنا العراقيين وقد التحق بهذه الكلية ، فكان سروري به عظيما اذ قضينا كل النهار في الحديث الشجي حتى معظم ساعات الليل . وقد ذهبت معه الى « كالفستون » (Galveston) للمصباح في البحر وكان السبع مختلطا من الجنسين ، فكان هذا المشهد مثيرا وغريبا اذ لم يسبق لي ان اعتدته من قبل الا انه لم يمض وقت طويل حتى اعتدته فاصبح امرأ اعتياديا .

ولما فتحت الكلية ابوابها واخذ الطلاب يسجلون اسماءهم ويختارون مواضيع دراستهم كان عليّ ان اقرر موضوع التخصص فكانت رغبتي منصبة في البداية على التخصص في الزراعة لشغلي بالحياة الزراعية التي عشتها في الوطن ايام الصبا . الا اني وجدت بعد ذلك ان التخصص في الهندسة المدنية التي تعنى بهندسة الري ضمن مواضيعها الدراسية اهم من الزراعة بالنسبة لاحتياجات العراق في نهضته الحديثة فتحولت الى الهندسة المدنية . بقي عليّ ان اقرر هل التحق بالقسم العسكري او المدني ، فقررت ان اأخذ بالشئ الاول اي القسم العسكري مع اني كنت اعلم بما تطوي عليه الحياة الخاضعة للنظام العسكري من المشقة والخشونة لاني كنت أشعر ان المرء لا يمكن ان يدرس المجمع الا بالاندماج والاختلاط والمشاركة في جميع لفاعلياته . ولما كنت احسن ركوب الخيل وشغفي بها منذ الصغر قررت ان أنخرط في سلك الخيالة فانتسبت الى فرقة الخيالة (Cavalry Troop A) . والعادة هي ان يختار الطالب الرفيق الذي يشاركه في غرفته واقصى ما تستوعبه هذه الغرف ثلاثة او اربعة اسرة لاربعة طلاب ، فصادف ان اقترح عليّ أحد طلاب صفي اسمه (G. Taylor) وهو في قسم الخيالة ايضا ان اشاركه في الغرفة التي يسكنها



التصوير رقم ٣٨ المؤلف في مزرعة
الحياة - انظر الصفحة ١ (د)



التصوير رقم ٣٧ المؤلف يمارس تمارين القفل فوق
الحواجز على طهر الحبل سنة ١٩٢٦ - (انظر الصفحة ١ د)



التصوير رقم ٢٩ - المؤلف وهو أحد طلاب الصفوف العليا يقرب أحد طلبة
الصف الأول (انظر الصفحة ١ د)



التصوير رقم ٤٠ - مؤلف وهو سري ر. يمين حد في ٨ سبتمبر ١٩٢٦
(انظر الفقرة ١ هـ)



التصوير رقم (٤١) - مؤلف وهو
يعمل على ظهره امتعة في جوكه
في السفن الجنوبية من الولايات
المتحدة الأمريكية
(انظر الفقرة ١ و)

مع زميل آخر يدعى (Kreager) فنقلت امتعتي الى غرفة زميلي المذكورين وهي الغرفة التي أصبحت مقرى الى آخر السنة الدراسية .

هـ - تقاليد وعادات غربية

وفي الكلية تقاليد وعادات غربية يمارسها الطلاب ويتمسكون بها كجزء من تراث الكلية على الرغم من أن بعضها ممنوع منعا باتا بموجب قانون الكلية . ومن بعض التقاليد المسحوق بها أن الطالب الذي يدخل الكلية للمرة الاولى يعامل في السنة الاولى من وجوده في الكلية معاملة خاصة فيطلق عليه اسم « فيش » (Fish) أي سمكة وعليه أن يصح طوق ابيض في زنده لتمييزه عن زملائه من الصفوف العليا . وتقع على الطالب (الفيش) مسؤوليات وواجبات تشبه علاقة الجندي بالضابط في صفوف الجيش ، ومن هذه الواجبات :

- ١ - عليه أن يخاطب زملاءه من طلاب الصفوف العليا باستعمال كلمة « سيدي » .
- ٢ - عليه أن يطيع أمر كل طالب من طلاب الصفوف العليا .
- ٣ - عليه أن يعرف نفسه على أي طالب من طلاب الصفوف العليا يلاقيه بقوله : « أني (فيش) علان » .

- ٤ - عليه أن يكون في داخل البناية وقت الفراغ من الدرس وأن يكون منتبها حتى إذا ما نادى أحد طلاب الصفوف العليا يطلب القيام بخدمة ما عليه أن يسرع اليه وتضع عادة الخدمة المطلوبة على رأس آخر من يليه البدء .
- ٥ - عليه أن يكس ريشة العرف العائده الى الصفوف العليا .

- ٦ - عليه أن لا يتناول شيئا على مائدة الطعام إلا بعد أن يقدمه الى زميله من الصفوف العليا وعليه أن يملأ له قدير الماء ويقدم له القهوة أو الشاي . ومن بعض التقاليد أيضا أن هناك مصطلحات خاصة غريبه نستعمل لكل نوع من أنواع المأكولات والمشروبات التي تقدم على مائدة الطعام يجب على الطالب الذي يدخل الى الكلية لأول مرة أن يتعلمها . فيطلق مثلا على الحليب

(Milk) مصطلح « بكرة » (Cow) ، والماء (Water) مصطلح « عصير السماء » (Sky Juice) ، والسكر (Sugar) مصطلح « تراب المشمار » (Saw Duet) ومعجون الطماطة (Tomato Juice) مصطلح « دم » (Blood) والمكرونات (Macaroni) مصطلح « دود » (Worms) والسلطة (Salad) مصطلح « أرنب » (Rabbit) والخبز (Bread) مصطلح « خشب المدع » (Gun Wooden) واللحم (Meat) مصطلح « رقبه الثور » (Bullneck) الخ . وكنت

في بادئ الامر ادون هذه المصطلحات انجليزية على ورقة لاستعين بها اذا صادف ان تسميت بمصها .

والتعليد المتنوع ممارسته معا نابا وفق قاسون المدرسة هو التقليد سطوي على صرب طلاب الصفوف العليا للطلاب (العيش) ولكن مع ذلك كانت هذه الاعمال تمارس فعلا ، وكان على (العيش) ان يحصر العضا ويسحب لتلقي الصربات الشديدة من غير تدمير ، وهذه العملية تسمى (Hozing) وبالطبع كان الصرب يمارس في الحفاء وعلى (العيش) ان لا يتوح به لتسلطات وادا باح به قاطعه جميع الطلاب . وقد صادف ان فاجا احد الصباط بناية من بنايات الكلية بزيارة من غير سسوى امدار فوجد في احدى الغرف بعض طلاب الصفوف العليا يمارسون عملية الـ (Hozing) فآخذ اسماء جميع من كانوا في الغرفة واجريت محاكمة طلاب الصفوف العليا بعد فحص مقاعد (العيش) الذين اصروا على عدم الاعتراف بشيء مما جرى او ذكر اسماء الطلاب الذين قاموا بالصرب . ومع ذلك حكمت المحكمة بطرد كل طلاب الصفوف العليا الذين كانوا في الغرفة وعددهم ١١ طالبا وذلك لفصل واحد من فصول السنة الدراسية . واسعد الطلاب لقيام بمظاهرة احتجاج على طردهم ، ولكن الطلاب المطرودين منهم من القيام بأي عمل من شأنه ان يؤدي بالحاق الضرر بهم . فتمع كل الطلاب لتوديعهم والحزن يخيم على لوجوه حتى آخذ بعضهم ييكن من شدة الغيظ والغم . هذا مع العلم ان أكثر الطلاب المطرودين عادوا الى الكلية بعد انتهاء الفصل الاول من دراسة الكلية فاستقبلوا استقبالا حارا .

وعلى الرغم من الصعوبات والمشاق التي كانت ترافق حياة الطالب العسكري في سنته الاولى ، واضطبت على دراستي نادرا أقصى الجهود حتى انتهت الفصل الاول من دراسة الكلية بسوق ، وهذا نصر مهم دونه في مفكرتي ليوم الاحد للصادف ٢٨ شباط ١٩٢٦ :

« ذهبت اليوم بعد الظهر مع بعض الزملاء الى خارج الكلية حيث احتشد جمع غفير من الناس في مساحة واسعة وكانت هناك طائرات صغيرة يدفع الراغب في ركوب الطائرة دولارا واحدا فيطير في الجو حول الكلية مدة حوالي عشر دقائق ، فركبت احدى هذه الطائرات وطربا فوق الكلية حيث كانت تشاهد كل ابنيتهما ومراقبتها من الجو . وكانت هذه هي المرة الاولى التي اركب فيها طائرة في حياتي (انظر التصوير رقم ٤٠) . وبعد عودتنا الى الكلية عرجت الى البناية العمومية حيث تلصق الاعلانات فوجدت لائحة تحمل اسماء الدين كانوا من الممتازين في مختلف فروع الدراسة للفصل الاول . قرات وقرات كثيرا من الاسماء وادا باسمي كان مدرنا في فرع الهندسة المدنية ، فكان لرحي شديدا ولا سيما عندما قرات اسم البدة والقطر العراقي الذين امتلها هما . »

و - جولة في الانحاء الجنوبية من الولايات المتحدة

وفي آخر السنة الدراسية بحب في الامتحان السنوي بتموق ايضا . ثم انتشرت فرصة عطلة الصيف فمضت انا ورميل من زملاء صفي بجولة في الانحاء الجنوبية من الولايات المتحدة ، وقد انقضا على ان نمر يوم بهذه الجولة دون ان نحصل مصاريف لنقل والاقامة في اعداد . فاستمر من محزون معد في الجيش في الكلية خيمة صغيرة رادوات طبخ وساعونا ان وصاحبي في نقل امتعتنا على ظهرنا فكننا نعد على الطريق اعطام ونؤشر الى استبدات المسار فكانوا ينقلوننا معهم برحابة صدر الى البلدة التي كنا بقصدها خاصة عندما يرونا في ساسا العسكري . وهكذا تحولنا في اكثر مدن الولايات الجنوبية . فكانا نصلب خيمتنا خارج البلدة ونذهب الى السدة تاركين امتعتنا في الخيمة فنقصي بعض الوقت لتناول طعام مساء ونجول في انحاء المدينة حتى وقت مسحر ثم نعود الى خيمتنا لنبيت ليلا . وقد يسمر القاري برك امتعتنا في الخيمة من غير حارس يحرسها ، ولكن هذا هو واقع الحال لان السدوت في امريكا تنصب عادة على اصحاب الملاين والبيوك ولما يقدم حد على مسرفة البيوت والملكات الصغيرة وخاصة اذا كانت الخيمة خيمة طلاب عسكريين . وفي الصباح نعود فمحمل امتعتنا بعد تناول طعام العطور ونعد على الطريق لعدم المؤدي الى المدينة التالية التي بقصدها . وهكذا دوليت الى نهاية الجولة . وقد استغرقت هذه الجولة خمسة وعشرين يوما شهدنا فيها اكثر مدن اساطل الجنوبية من الولايات المتحدة الامريكية .

ز - جمعية الطلاب الاجانب في الكلية

وفي الكلية جمعية للطلاب الاجانب تسمى (Cosmopolitan Club) تعمل تحت شعار «الانسانية فوق الأمم» (Above All is Humanity) وقد كُنت عضوا عاملا فيها ، فقمنا يوم ١٢ آذار ١٩٢٦ جعله انيس دعونا اليها اساتذة الكلية ورئيس الكلية والفائد وبعض لصباط مع عائلاتهم ، فلسسنت اللباس العربي والقيت كلمة دلت اعجاب الحاضرين تحدثت فيها عن العراق وبلاد العرب ، مهد الحضارات ومهبط الوحي ، فشرحت ما قدمته للانسانية في مصمار النمدن ، ثم تكلمت عن الكلية ونظامها والروح الطيبة التي تتسم بها طلابها ، فذكرت انها تعد رجال سيف وعلم ، عنصران يمثلان سر عدم الانسانية ، وبعد ان انتهيت من كلمتي عزمت بعض الانعام على العود الذي كُنت قد حملته معي الى امريكا فأسس الحاضرون بالعلم العربي الغرب . وقد كُنت في السنة الاولى من دراستي في الكلية (١٩٢٥-١٩٢٦) امينا للمصندوق في هذه الجمعية ثم انتخبت في السنة الثانية رئيسا لها .

٢ - الجمعية العراقية في بيروت تعتبر عضوية اعضائها في الخارج مستمرة

وكانت اتصالاتي مع احوالي العراقيين في جامعة بيروت الامريكية مستمرة ومراسلاتي معهم غير منقطعة . وكان ان قررت الجمعية العراقية في بيروت اعسارنا اعضاء فيها ، وفي هذه المناسبة بعثت بالرسالة التالية مع مرفقها كلمته موجهة الى الجمعية بتاريخ ١٧ مارس ١٩٢٦ هذا نصها :

الى حضرة الاخ فاضل انندي اجمالي رئيس الجمعية العراقية في الجامعة الامريكية ببيروت المحترم

سلاما وشوقا (وبعد) فاني اشكر الجمعية العراقية على قرارها الملحد بشأن قبولها اياي مع بقية الاحوان العرب في امريكا اعضاء في الجمعية العراقية ، وهذا ما حملني على ان اردد آيات اشاء والتقدير لا ابناء الاخوة في بيروت من صدور المودة وسمو الخلق لاني وطهم المصريين في اوليات المتحدة الامريكية ، واعتراانا باربعينهم فقد اشتد الميل في نفسي لان اجمل ارتباطه قوية متينة ، ووجدت ان افضل رابط يمكن ان يوطد عرى الاتصال المستمر هو المراسلة فيكتب الطالب ما تجود به قريحته وما تثمره في نفسه حياة القرب من ملاحظات وتعليقات فياسر اعضاء الجمعية بها ويستفيد الطالب بما يستفيد من تلك المراسلة من التحسني والاشبه فيكون بذلك قد اباد واستعاد . وما اني انزل فكري هذه الى حيز التنفيذ فابعث ابيكم طبا كنة لتلاوتها على اعضاء الجمعية علنا مجد فيها عمرة في حياننا المقلد حين نزل الى ميدان العمل والاصلاح ولكم ممي مزيد الشكر والامتنان والسلام .

وهذه مقتطفات من الكلمة الموجهة الى اعضاء الجمعية :

« احوالي الاعزاء :

لا فرق فيما اذا كان بينكم في محفلكم الكريم من حديث لم يسبق ان اتفق للتعرف به ، او قدم بتحسيني منتصا امه فكل منكم احي . .

« ما اجمل الساعة بل ما اسعدي الآن وقد اغردت لي مجلسي لاحاكي اخوة الوطن طارحا عن كاهلي اثقال لدرس واعبائه ، كيف لا وقد اراني حالسا احاكي رجال الغد جيش العراق لناسل الذي سيفسلم زمام امته بعد فسل فيطرد عنها كل شر وبلاء وبعدها عن الطامنين بها .

« ابن الطبيعة فاستمد منها الوحي لانطق بما تمليه النفس على واصفا شعوري لاحوتي ٠٤ يا ليت اراديو معروف في بلادنا العربية تاطلب اليكم ان نحتسوا الى هذه الآلة الصغيرة لتسمعوا دقات قلبي المتتامة في هذه الساعة والبراع في يدي . .

« ان الحياة الامريكية حياة عمل متواصل ، فمثل الامريكي الاعلى هو الحركة والسرعة ، ومصدره انقويم التعاون الوطني : صفتان اتصف بهما من العالم اجديده يستلان دور القور والعلاج ، حياة قائمة على اساس العمل والتأدر القومي .. »

« ان في الحركة نهضة ، وفي العمل تقدم ، ولكننا بحاجة الى صفة تنصف بها اذا ما اقمنا على العمل ، وهي تعاضد المبادل ، وانعاقنا الدائم ، وبكلمه اخرى يحتاج الى تربية ييسية . فاذا فقدنا التعاضد والانفاق كان العمل عشا والحركة سدى . فل لي برك اوسرل اني ساحة العدل وبحر لا براى معربين طوائف واحزاب . هذا ينضم الى حزب والآخر الى طائفة نجهز الاسلحة وبعد هذه . سحبل الحرارة المحررة المنبعثة من شعلة تلك الفروق راضحين تحت العدة للمشاحنات الطائفية والاحقاد المتأصلة بنا ؟ اوسرل وبحر على حالتنا ويلانها ... »

« التربية قبل العلم ، والاحلاق قبل الدرس ، التربية الصحيحة قبل درس الكيمياء ، والاحلاق الفاصلة قبل الطب . الكيمياء تعلمنا المادة وتركيبها ، والتربية تفرس فيا المحبة والاحوة . الطب بلا احلاق يعلمنا كيف نمتص دم الفقير .. في التربية الصحيحة وحدة وفي الاحلاق الفاصلة تعاضد .. »
« نحن نحتاج الى مدرسة التربية والاحلاق قبل مدرسة انطب والفلسفة . نحن نحتاج الى امهات يعرفن كيف يربين شبابا احرارا ، يقتصمون بحمل المودة والاحوة الوطنية . مبدؤهم الانفاق ، ومسلكتهم التعاضد والتساضل . وهذا ما يدعو الى حصر اصنامنا في تعليم الفتاة ونهذيبها تهذيبا صحيحا لكي تكون قادرة على تربية اطفالنا تربية صحيحة . »

« ان واجباتا كثيرة ، والاصلاح واجب ، على اني ادى اول واجب هو تهذيب الجنس اللطيف ، لان في المرأة الامل الكبير ، وعليها يتوقف بناء الامة ، فهي مدرسة التربية الصحيحة .. »

« انكلم بكل حرية وانتم اخوتي قد فهمنا معنى الحياة والواجب ، فدعوني اختتم رسالتي فاقول : دعوا عنكم يا ابناء وطني الحق والفرق ، فكل منا اخ للآخر ان شاء ام لم يشا .. وقد حان لنا ان نتطعت الى واجباتنا نحو بلادنا التي طالما صرخت اناؤها واطلالها تنادينا بارجاع مجدها الفابر . فقد ارتني سعرتي هذه ما للقومية من الاحمية الكبرى بين الشعوب المختلفة . وقد برهنت لي ايها الاحوان ان الفرد الذي ليس له امة ينتمي اليها ويضوي تحت لوانها دليل حقير ، وان المرء الذي لا بلاد له يفاخر بها ورياضي بمآثرها لا عز له ولا صدد ، لان عزه ومجده في قوميته ووطنيته ... » (٢)

٢ - انقسام بين الطلاب العراقيين في الجامعة الامريكية بيروت

وفي جملة مراسلاتي مع احوالنا العراقيين في جامعة بيروت الامريكية رسالة وصلتني من فاضل الجمالي رئيس الجمعية العراقية في الجامعة الامريكية في بيروت يسوء فيها بوجود انقسام بين الطلبة العراقيين في جمعيتهم فبحثت جوابا على رسالته بكلمة مؤرخة في ٥ نيسان ١٩٦٦ هذا نصها :

عزيزي ، تسلمت رسالتك امس فكان لها اثر عميق في نفسي ، اذ ضرت على اودر قلبي واسمعتني الحانا مبهجة ولكني ويا للأسف لم انه من تلاوتها حتى تغيرت الالحان الى نغمة محزنة نزلت على جوارحي كالصاعقة التي تسزل على الزهرة المبعشة لتمحو آيات البهجة ولسرور المسطرة على وريقاتها ، فقد كان سروري بها شديدا اثناء قضاها ، وبكر ويا للأسف لم يمض على تلاوتي بعض سطورها حتى تلاشى سروري شيئا فشيئا فخفف حزنا عميقا حين قرأت ما ذكرته عن عدم اصدق الطلبة العراقيين في الجمعية العراقية بيروت فليس لدي الا أن أقول : نحن نختلف في اعمالنا وآرائنا ونقول هذه منافسة واحتكاك وكذا يكون التقدم والارتقاء ، ويا ليت الفاقدين علموا انها ضربة قاضية ويا لها من ضربة .. جميل لنا أن نجد وجهته ، وجميل لنا أن نسعى وعمل ، ولكن الجهد والسمي بدون صفاء النية والاخلاص الاكيد لا يثمران غير الخراب والخسار . اولا توافقني اذا قلت اننا بحاجة الى اتفاق الآراء وصفاء النية قبل الدرس . . . أن حياة المرء النافعة في عمله لخدمة وطنه خدمة صادقة ولكنها تصبح عكس ذلك اذا نزع العمل حق اغير في التعبير عن آرائهم أو جرح هذا العمل حواس زميلك . عار والله وكل العار فيما ذكرته عن عدم اتفاق الاخوان في الجمعية العراقية ، ماذا تخصصنا الآن في أمورنا ونحن بين حدران الجامعة فكيف سنكون غدا يوم ندخل الى ساحة العمل الفعلي ؟ مع ذلك ان خيط الامل لا ينقطع وانا لا اؤمن بما قيل في بعض الاحيان : « انا قد اتفقتنا على ان لا نتفق » ، وقد اتحدنا على أن لا نتحد » ، لاني اجد بارق امل في اخلاص الكثير من الاخوان وصدق معظمهم فلا بد من أن يأتي اليوم الذي نرى فيه الكل قد التحم كالجيش المتراص من مختلف المشارب والميول لنهوض بالبلاد والدفاع عنها باقدام ثابتة متماسكين ما بينهم من خلافات ، فليكم الامل وفي اتفاقكم بتحقيق الاماني .

كلنا نموت ولكن القليل من يعيش بعد المنية ، ونحن نريد من مات وعاش ، نرى المرء يقاتل ويمارك ويتخاصم فتحدث الشهوات ضبابا امامه تنسيه الهدف الامثل من الحياة ، فتنسيه بان ليس في الحياة ما يدوم سوى الاعمال الطيبة والذكرى الحميدة ، كل عمل يموت مع الشخص ، ولكن العمل النافع هو الذي يخلد . لقد فهمنا والحمد لله معنى الحياة ، وراينا النور بعد الظلام ،

وكان لا بد أن يحدد في الحرام بعد أن رأينا أسود . ان لا أحضر كأمي في
سجن أو أسود و هذا القول انما يحتاجه من التربية بسببه فربما بعد ، بعد
أهل دواء ، برييت ونحن أهل فسنس تربيه أهل حد وهذا لا يتم لا
بشيف فهاه اليوم . .

كلية تكساس الزراعية الميكانيكية ٥ نيسان ١٩٢٦

٤ - المرأة في أمريكا وفي العالم العربي

ان أكثر ما كان يحدث في الوحدة الأمريكية الجديدة دور الرئيس الذي
تلقاه المرأة الأمريكية في المجتمع الأمريكي . كان هذا الدور سبار بحسبي
وتطمين لي نحدثي عملة بحور امرأة عربية بوجه بناء والمرأة العراقية بوجه
خاص من سجدتها تسبب نفس الدور الذي تلقاه المرأة الأمريكية على مسرح
الأحداث في الوحدة العامة وفي تربية الجيل الجديد . فاضلا من هذه الأساس
المرتبطة بحب الوطن وتفكير في بناء المستقبل كنت مدلا مطولا عن امرأة
في أمريكا وفي أنحاء العربي أحزى منه انعطاف الساعة :

' امرأة سر محض في مجموعة أسرار هذا الكون حدثت كشفه لإدعة وحدث
فيه الكتاب وأشعراء ، فمهم من وصلها برهرة الحياة ومهم من بحثها برة
الحبال والى ما هناك من الاوصاف في هذا الصدد حتى أصبحت أسرار محور
بحثنا وموضوع حديثنا ومكتوبنا وأحاسيسنا . '

أجل : ان المرأة سر من الأسرار ، فهي سر طموحنا ، وباعثة شماسنا
وسهينا وأساس وجودنا . هي في نظري عماد الكون ومصدر ارتقي وبقدم
في مجالات حياة المجتمع ، لبكالتها تكسل ، وبرفها يرتقي ، هي مرسة الحب
وماعده وجودنا ، فان كانت صالحة كنا صالحين وان كانت متأخرة ناقصة
التربية كما كذلك .

لغوامض الطبيعة وما أعقدها . لقد باصت العقول بسوق الفسداد
حتى أصبحت لارا في الكون وكنية وجودنا . . أسرار هي الطبيعة وسنسى
كذلك انى يد الابدس . . هي تلك الطبيعة عيها وسأيرها حقي تسكن حدود
الأحاديث في صدور حسنين فينقط فبهما حس السجون حتى نأجلك زانهم
وبعازهم أيرت الامم الى مستوى الانداع وبقدم . والشعب المتقدم هو
الشعب الذي فتح بابا واسعة لذلك السماون . وبدا يجد احترام المرأة عند الامم
استفده في الحضارة اكثر منه في الامم المتأخرة . . ان الامم المتقدمة أصبحت
تطلق للمرأة حرسها شت فشتنا حتى سميت ابيوم مساواتها لمرجل في كبر
من المرأة انى كانت عتده تده . المرأة الأمريكية بعدها اليوم مع الرجل في

مختلفة بدرجة ، هي و حاته في سن اعمه يسارته فيها . فمرها في
بحر كد يك بعد في د ربه و يحلته عودت برجل ورفقه في صديقه
حتى اصيحت مصنعه في ارنه و عده و حيدتها . وهكذا فقد حسب راسه
سجدها و شمرت مسؤوليتها في المجتمع . و بين حرب د محسرات في
ارجل مصاريا لها في شتى مجالات الحياة .

شأنه قد شربو كرس مرس وقيم من وضع شطه على دج . دسه
من دل لانه و ارحه و مدرس يحسن على مقعد واحد في حبه حبيب
سليمون و ياهم في محاسره ادرس ، ومن هو مدرس . لده به سحر عده
اثالث من عمرها بعد مسواة كرسى التدريس .

ان عمل المرأة الامريكى به ينصر على هدى مدرس واندقه من بعده
الى ساحة الالعاب اريضية . لأمريكى سيدة شجع الالعاب اريضية
اسديه وشد ميه اى بعد انكره فاشعب عامة يرس د الهده و سكون في
الالعاب فوق مرسه ذوي الالعاب و دت لحت اسسه على لاعبه د ربه
الندية ، برى الكبير و الصغير ، المره و الرجل . سداب و عده . كن حديم
عن الالعاب الرياضيه و شبر لاعس ، حتى د كن من بعد عم في حديق
امدن او الجامعات تدرب مساعده اوف من الناس من كن رحيه و صوب .
اما من لم يتهيا له مشاعده بعد فارتادو يحمل به كل د بحث على ساحة
انصب . كانت تذك الالعاب مفتحة عى ارجل فتاحر بقوه و عسلاته
ومهارته في الالعاب . اما اليوم فاحدب المرأة بروض يدها حتى سدت ارجل
في كثير من الالعاب اريضية . فوجد المرأة في حاسب ارجل على شمساضى ،
البحر برداء اسباحة كما بعدا على ساحة الالعاب بارداء المون اجمل .

عام قد مضى منذ تحدرت ولانه تكساس وناهب النوظون لاسحب حاكم
ولايمهم ، فكثر احطاب و شطط الاحراب و كسب لصحف و صفت الاعلانات
في كل مكان حتى لم يمض على الاسحاات هذه قصيره حتى انس قرر . عدم
فرجسون « بمنصب رئاسة الولاية »

سنة كاملة قد مضى واندام فرجسون مسوئه كرسى الحكم في ولايه
تكساس . فلا تزال صور حادث يوم ربارها تكلسا عده في ذهني فكن ريارتها
اهتمام كثير اذ اصدر فاندنا الامر صباح ذلك النهار بوجوب المذهب لعرص
يقام خصيصا لها . وها اى افضل فيما يلى ما دوته في مفكرتي عن رياره مدام
فرجسون لكليتنا :

• الخميس ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٥ :
• لشعب الولايات المتحدة يوم وطني يطلقون عليه اسم « عيد الشكر »
ولي الانجليزية (Thanks Giving Day) هو عيد وطني يقع عادة بهار

أحميس من الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) في كل عام يحتفل فيه المواطنون على اختلاف طبقاتهم ومعتقداتهم ، بسوء كل الأعمال في ذلك النهار وتقبل المحلات والمحار والدوائر والمعامل زمرا للشعور العمومي وشكرا لله على نعمه وحيرته التي أعدها على الأهلين في حلال العام .

« قلعت مدام فرحسون تزور مدرستنا ذلك النهار مصدر الأمر من قائدنا العسكري بالناهب لاستعراض باللباس الرسمي والأسلحة الكاملة وقد أوصى وصول حاكمة الولاية في الساعة الخامسة بعد الظهر ، فما كاد يصير العطار في المحطة ملأ وصولها حتى أطلقت فرسة المدفعية إحدى وعشرين طلقة متتابعة . »

« كان مجموع الطلبة بفرقة المدينة حوالي أسي طالب كل فرقة تسبج وراء حامل رايتها ، ولما كنت أسي الى فرقة الحيالة فقد كنت بين الصفوف الأخيرة حاملا مندقتي ومقطعا بالاحزمة فكنت أسير بين رماي وأفكاري طارت بأجنحة التامل الى تصور حالنا في الوطن البعيد ، فتصور ما أعدت رؤيته ، رايت ما أعده من العيود التي ربطت المرأة . رايت الحجاب وما يتبعه من القيود فتحسم لي الوصف الذي تعيشه المرأة عندما بأحى مظاهره ، واتصح لي تطرفنا في تقييد المرأة وحرمانها من نور الحرية والشفقة ، فربح اعفادي تلك الآوبة بوحوب تحرير المرأة عندما شيئا فشيئا بعد ان تفجح لها المدرسة الباب لرى النور الذي حجه عنها الجهل . لقد تطرف العرب في اطلاق الحرية للمرأة وتطرف ابناء الشرق في حرمان المرأة حريتها وما من تطرف الا وعاقبه غير حميدة . »

« انتهى الاستعراض فأقبل علينا وليس فرقة الحيالة واثى على همتنا ، ثم قال وهو يبتسم : لقد أصبحنا في عصر يستوجب حصر اهتمامنا في بل رضا الجنس النظيف . فصحك الكل وادن لنا بالانصراف . »

فتاة أمريكا لا تفقد جنسيتها عند اقترانها بأجنبي فهي تحفظ بجنسيتها ولا تتبع جنسية بعلمها عند الزواج .

ان المرأة الأمريكية تنظر الى الرجل كرفيق يتماونان كلاهما في مسيرة حياتهما الزوجية حتى يلبا طريق السعادة التي يشدها فان لم ينحقق ذلك فالنوا الطلاق وما أسهل الطلاق في أمريكا فلم يمح على اقتران الزوجين شهر حتى تقرأ اعلان اقترانهما .

وانا إذ أشرح بعض جوانب الدور الذي تلعبه المرأة في أمريكا في المجتمع الأمريكي أرجو أن يكون في ذلك الحافز لقربلة أحوالنا في ضوء من سبقنا في مضمار التقدم مناخذ الصالح من الحضارة الغربية ونجنب الطالح فيها في تطور حالة المرأة العربية الى ما فيه خير المجتمع العربي .

• - دراسة في أمريكا

لقد نصبت ست سنوات في أمريكا وذلك بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٣٠ دخلت في خلالها عدة جامعات وكليات في مختلف أنحاء أمريكا ، فساعدت على هذا من كلية أو جامعة إلى أخرى على درس أنحاء الاحتمالية والاحتمالية في مختلف أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية ، مع العلم أن هذا السفر لم يحدث أي تأثير في منهجي الدراسي أو وضعي الاقتصادي لأن منهج الدراسة الجامعية في أمريكا موحدة فالنظام موحد في كل جامعات وكليات أمريكا مع فروقات بسيطة ، فإذا داوم الطالب في إحدى الجامعات أو الكليات في فترة من الزمن يستطيع أن يتحول إلى أية كلية أو جامعة أخرى في أية ناحية من نواحي الولايات المتحدة الأمريكية مستصحباً معه استشهاده أو شهادة الدراسة التي أتمها في الجامعة الأولى ويعتبر هذا القسم جزءاً من منهج الدراسة النظرية المنهج على أن يداوم سنة دراسية كاملة في الجامعة التي سيجري فيها في السنة الأخيرة حتى يحصل على شهادته منها ، وفي كثير من الجامعات دورات صيفية فادوم الطالب دورة صيفية يكون قد أمم ما يعدل ثلث سنة دراسية كاملة ، وبذلك كان وضعي الاقتصادي لم يعد في عرسي سواء كنت في جنوب أمريكا أو شمالها ، في شرقها أو غربها حيث كنت أدرس على نفقتي الخاصة ، فتقدمت بين سبع جامعات وكليات وحصلت على ثلاث شهادات علمية عالية من ثلاث جامعات بدوامي في كل منها سنة دراسية كاملة ، وهي سنة المنهج التي شترط قضاؤها في الجامعة التي يخرج الطالب منها ، وقد استغنت من نظام الدورات الصيفية فدخلت ست دورات صيفية في مختلف أنحاء أمريكا وذلك بنية إكمال دراستي بأسرع وقت ممكن لأعود إلى وطني فأمرت وقت دامت هذه الدورات الصيفية السبب معادلة لدوام سنتين دسبير ، وبذلك أصبح مجموع السنوات الدراسية التي أتمتها في منهج دراسي في أمريكا ثمانية سنوات دراسية .

وهذه هي الكليات والجامعات السبع التي دخلتها في مختلف أنحاء أمريكا بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٣٠ :

- ١ - الكلية الزراعية المتكاملة العسكرية في برين (ولاية تكساس)
 - ٢ - كلية الزراعة في شمال تكساس في ريلين (ولاية تكساس)
 - ٣ - جامعة تكساس في أوسين
 - ٤ - كلية كولورادو في كولورادو سبرينجس (ولاية كولورادو)
 - ٥ - جامعة جورج واشنطن في واشنطن
 - ٦ - جامعة شيكاغو في شيكاغو (ولاية يمينوي)
 - ٧ - جامعة جونز هوبكنس في بالتيمور (ولاية ماريلاند)
- وفي جامعة جورج واشنطن حصلت على جائزة ويدل للدراسات



الصورة رقم ٤٢ - سرب من طائرات جامعة تكساس في إحدى مقراتها .
انظر الصفحة ٤



الصورة رقم (٤٣) - المؤلف
في كلية تكساس العسكرية
انظر الصفحة ٥



التصوير رقم ١٢٢ - المؤلف
في واشنطن عاصمة الولايات
المتحدة الأمريكية ..
(انظر العنبر ٥) -



No. 2, \$8.00 No. 3 \$7.00
No. 1, large, as dom used, \$9 00



Key No. 4, \$6.00
No. 4 is for women only.



سور ق ٤ - ١٤ عام الذهب الذي ساج -
بشقوق (انظر العنبر ٥)

Wedgell Peace Prize، بمبلغ خمسمائة دولار، التي منح كرسية
 سنة لكاتب احسن مقال علمي في موضوع عدم من شأنه ان يوطد عرق الصداقة
 والعلاقات الحسنة بين دول العالم . وكان من بين الذين شاركوا في هذه
 المباراة عدد من المدرسين الذين كانوا يواصلون دراساتهم على الحصول على
 الدكتوراه . وكم كان اعجابي عندما اعلمت ان اسماء المحصلين على الجوائز في
 حفل التخرج فكان اسمي من بينهم فقدمت اني انصه بحسب عادة وسام
 بصفتي المحضرين واداء بها كرسية يحتوي على نفود ذهنية من روث حبيبة
 دولارات ، وعنده لا يدور بها الا بأذن . فاحببت كرسية في يوم من
 الى امك تحويل النفود الى عملة ورقية . فذهبت بوضع سنون ودي من
 امي ابنت بهذه النفود لا وان اوصحت به نائي طاب في حبيبة وقد حصلت
 عليها كجائزة عن عملة اطار وعلماني عليها ونقصني من يديها . دولارات
 الوردية .

وقد اتيت في عيد كرسية في جامعة جورج واشنطن ان حتى يصعد
 رئيس الولايات المتحدة الامريكى اسير هوور وروحه في عيد ، يقضي . وقد
 تم لي ذلك بوساطة استاذي في الجامعة الدكتور شارل هين فاجيرني داب
 يوم انه سيزور البيت الابيض هو وزوجته لتناول شاي في عيد ويكسي
 مرافقته في عيد ، بريار ان رعت في ذلك . فذكرت مسجدا بهد منقولة
 في لوقت احمد دعينا اني سيب لا يبي حيث كان جميع كبير مصعد حتى
 ياتي دور كل واحد منهم فيصافح الرئيس وزوجته بعد ان يعرف نفسه بهد
 ثم يجلس على حد المقعد المقعد في المقعد وعند حد دور عرسى الاستاذ
 في رئيس وزوجته وديان بهما في طاب من عرسى ، ميروبوتيب ، ادرس
 في الجامعة للحصول على شهادة البكالوريوس فوجدت في عيد صديقتها . ثم
 جلسنا على المقعد بعد حد حتى يصعد مشيرة في المقعد وتكونا انشائي في
 اكواد خاصة بفس عبيد سم بيت وايضا ، رسمه جمهورية .

وكان حصولي على حرة وديان سيب حرة حرة رسمه بشوق
 رائد ودية حرة في ثم بخرجي في جامعة جورج هوبكس وحصولي على
 شهادة البكالوريوس . فاحببت عرسى في حبيبة دي بيتا كرسية
 في جميع عرسى بها كرسية من بخرجي من حبيبة
 ومرتبة نفود ربة حبيبة ببيع حرة اد بخرج من رسم حرة استقلال
 دولارات . امريكى سنة ١٧٧٦ فامسست دون مرة في كنية وليام ويري
 في مرة في ٥ دون دون ١٧٧٦ ثم امسست بها فروع في كرسية حبيبة
 لام انه وفي سنة ١٨١٣ اسس عدد جميع فروع ومرتبة في نيويورك .
 ولكن حصوله في سنة حبيبة ، من مقصوده على بخرج فقط ثم منح الحق
 لمرء في حرة في عرسى سنة ١٨٧٥ . ويسكون شعار حبيبة من حرة ،

أوجه الأول يحمل حرفي (أس وبي) وهما يمثلان الحرفين الأولين للكلمتين
 'لاتينييتي' (Socetas & Philosophice) أي جمعية الآداب الفلسفية ، ويحمل
 أوجه الثاني الشعار اليوناني « حب القيادة أس المعرفة » (Love of Wisdom
 the helmsman) ، وهناك إشارة إلى ثلاثة بحوم ترمز إلى الزمالة
 والفضيلة والأدب (Friendsh p, Morality and Literature)

وللمصو الحق أن يحمل شعار الجمعية المكون من مفتاح ذهبي عليه شعار
 الجمعية ولهذا المنقح مكانة علمية متميزة للشخص الذي يحمله في المجتمع
 الثقافي الأمريكي ، لذلك يشاهد الحاصلون عليه يحسونه في مكان بارز للعيان
 اعتزازا به ، وقد كان هذا المنحاح واسطة على نشأة أمريكية على ظهر الباحرة
 لي عودتي من أمريكا إلى العراق كانت نحمله حكم الصليب أن أصبح زوجتي
 وسباني ذكر ذلك فيما سامعته عن أول زواجي بفتاة أمريكية .

أما موضوع دراستي اعلية في أمريكا فكان اهندسة المدنية كما سبقته
 الإشارة إلى ذلك ، فحصلت على شهادة ب.ع. هندسة مدنية مع اختصاص
 في هندسة الري ، ثم رغبت في دراسة القانون الدولي لحصلت على شهادة
 ماجستير والدكتوراه في القانون الدولي مع اختصاص في الاطلة الدولية
 الخاصة بالانهر المشتركة بين الدول لما لهذا الموضوع من صلة مباشرة بانهر
 العراق وفي مقدمتها مشكلة نهر الفرات وهو مشترك بين ثلاث دول ومفككة
 الانهر التي تنبع في إيران وهي مشتركة بين دولتي .

٦ - الأسى واليوم ١٠٠٠ (٢)

قرب بابل خلقت ، وعلى ضفاف الفرات نشأت ، وسط أحاطت به عظمة
 اجتذبت الفرنج أوروبا ، لما حوته من آثار ، هي أس معجزات حضارتنا .
 أطلال ورقي تحير عقل الزائر بجلالها ، تملأ نفس المرء إعجابا بمكنونها .
 كم من مرات زرت بابل ، وكم من مرات مررت بنمرود (١) ، فما كنت
 ألهم غير اليسير من عظمة ما صيها ١١

في وسط الصحراء ، أطلال « الإحيمر » (٢) كن الإرسيس يسعون بين
 نولها ، قصبتها وأما صبي ، فما كنت أرى غير الإكام جدهلا عظمة من عاصرها

(٢) كنت هذه المقطوعة في خلال مواصلي الدراسة في كلية كولورادو الأمريكية ، وأما في
 إحدى المنزهات على قمة أحد جبال كولورادو الجميلة حيث الشلالات السبعة الشهيرة .

(١) هي برس نمرود (مدينة بارسيا الباطية) تقع أطلالها ونقايا برجها الشاهق نحو ١٠٠
 أميال جنوب مدينة الحلة .

(٢) هي نقايا مدينة كيش التاريخية الشهيرة ، تقع أطلالها على بعد حوالي ٢٥ كيلومترا من
 شمال شرقي بلدة الحلة وزهاء خمسة عشر كيلومترا من شرقي بابل .

في صحيح الزمن ..

حسب حقه ، فيحدثني وحلوه ، فهي مسند رومي ومشت ذكريات
حريمه ، آتية زمني ، كـ شرب من بارها وهي محرومة من ماء العز
عذب . ثم يغسل مشروح مسند هندية روي كـ روث أرضي - سبل
معنى .

هـ ترل ذكريات دت يوم جلس رسة في دهي .. هـ نصيب صبرة
ورمي وحسب بألـ خبها لهم ينصرون (سده هندية ، مشهده وحسب
سبح له ..)

للمرة الأولى جرت مياه العرات في وسط الفيحاء ، فكانت مياهها كندة ،
يدبي ديبب الأمل ، حاملة من الزبد وقيرا ، ومن ورق الاشجار كثيرا ..
فيا لها من ذكريات جميلة ، تثير من الشجون أزكاهها ، ومن الأحلام النما ..

أحسنت وما نعت محنتي ما حبط بسرائر عرت ومن عاشبه .. أحسنت
روني ، وحسنت كناد فيحدثني ومشايحها .. من أعم ما عرف لا يسير ،
ومن سعة ما عرفت غير كلام وأشرفه .. ثم غموني سريره والفرسية ،
أما ذريح انداز وعذر عهدنا فما عرفت منها غير سواد وكهف .. عرفت
يساري وحدهي . غلاوي والحصاوي . ومهم تعلمت حذر ونسيه .

كان لي مكيه . فرس يعني أعربي بحسب وبركيت ترويعها . صبة
حسب . محبته للاث . تعلمت به شئ حطب بمشوقه .. كم وكـ من
امرت و.. وأيعا سرحد في الرزي . ومن سب لسفير يدي صفتها ..
كم من أماني وسر فيه يصرح جيش عدم . وفي سكون سبل وصدفه .

كـ بعض روي على ظهر بدت الهوى سبر في وسط مزرع وكسلا
أصيد ، بي نور ، بعقب وأخرى بي الأمام بعدو ! سب منجره . وسده
أروق حيل . وكواكب مبرة . سكون وهوى بعرض صده حيف سب
وعين خدوع . وبي آونه وحرى تسمع صدى حوفر أحيل . وحرى المياه
وحرر أن آوى على كـ . وبعد مصي أخرج من أسيل تبعث تر بيم ديسوك
أصيح من بين الأعمام عظمته برانها .. كـ وكـ بدوره ساد أحيل
والسنيد ، ودأ ما من أغراي فسيان عده عرفت أم لم يعرفك بقابلك
نصير مؤه اسداجه وسداه ، فتسمع صوته اعذب يرن في صفوة انصاء
وهو يقول : اسلام عليك .

تلك هي ليد . نمر . من . ت . نمر . أيام صدي وصفت

(٦) انظر ما تقدم من مشروح مسند الهندية في القرنين ٥ و٦ من الباب الاول من هذا القسم.

حمر الزاوية لاساس حياي ، مبدئي ومعتدي ، زمسي برد ، الفطره اسدوية
مربية ووصفت على جيدي صوما بالروح المربة موصنع .. ايام ولياليها
ممت ولكن دكواها في نفسي خائدة ، وصورها في خوف قنبي مرسسة ..

سجد دري من عاش بين سوع الترافدين وزروعها ، ارض الرشيد هي
محور لذكري والاماني .. فاجعل لي يا ذا الحلال روحا نوحه ، ابعان
الاعراب رائدتها ، واعلاء شأن العراق مرادها .

اتمت الوعي وويلاتها ود بالابريج ناتو بالقرب من الديار .. وصار دري
يدفع يرق بالاذان .. ثم جاءنا عاكف وعساكره ، فارانا من بدل واليهوان
ما لم تره الفحياء طول عمرها .. نصب المشايق واحذ يعنى اطل لديار
الرعييل بعد الآخر .. اراد ، نظام موهم وبنا ليتته دري باهم حياء وفد حللوا
في قنب كل عربي حر من السبحيل ما يجعل موهم حياء حاده لا تموت .

مضب الايم ودا بجيوش عاكف احدث سراجح الى الورا ، فمالب الى
اعز ما كان لي تريد اغصاب « معتكبي » .. هربت وفي وسط صوصاء جيش
مسحوب سارت بسب الهوى وانا منتد صهرتها ، كاهب عماب وفد دعاه جيش
نظام الى وكرة ، فانقدت حياي وبالنبدل من يد الانراك افقدتها ..

جاءنا الانكليز بسياراتهم وطياراتهم فحبسوا عمولك وستك سعدت بهرونا .
رحب الناس بهم وهم بمنون بالحرر وبسفسد ابوعدو يرقبون .. ولكن لم
يمض وقت طويل حتى مانت الآمال وحابت لطلون ، قنار احرار الفرات
وبالمناء خصبوا ماء نهرهم ، دفاعا عن حقوقي منتصبه رحبا عن لبلاد ومجدعا
دتلوا .. رحم الله زبدان ان كان مائنا ، وأصل عمره ان كان حيا .. فما
أرق صوته وما أعذب كلامه !.. بعد اجتمع الاعراب حوله د ب بيته حيث كنت
اشمة البدر تضيء الفضاء ، قرفع غفرته في ذلك الفضاء الساحر وهو يعني الى
جانب « وبابه » الايات العامة الآتية :

- « اتانا الذل يا ليت الموت يدني .. »
- « الخادم طال واحنا (نحن) اكصرت (قصرت) يدنا .. »
- « وانجانك (ان كنت) محمد (صالح) صدك (صحيح) جدنا .. »
- « فكما من زمان الصوحرية ، العسكرية الانكليزية) .. »

ثم اتانا كوكس بالوعود ، سناد اسلم ، وعلى تنفيذ بوعود ععدت الآمان
ودكرت الاماني ..

جلس فيصل على العرش فاضطربت في نفوس الشبيبة روح الوطنية
ناعت في سماء العراق بعد افولها اجيالا كثيرة ، وبدأت تسير فواصل اشباب
أفواجا نحو اسوار المدارس ..

تلك هي الحوادث التي صرحت على أوبار نفسي ، فوئنت ومن فبر جهني
 مشيت إلى صغرف الجند وهذا الارشاد من ماعل العنم والعراف ...
 وما أصعب العراق ! فودعت الرفاق ومدمني ملء لدموع باصدا بلاد عربية
 تاركاً ورائي العزيز في الحياة من رفيق ونسيب ، صديق وقريب ، بسلا
 وديار ...

بلادي ، عربية يحلوها ومرها ، بانراحها وافراحها ، هي أم حنونة من
 ندي الغراب سقمي ماأ عديا ، ومن حبوب بعرو احبين احتمرت طعمتي
 عيشاً طيباً ، من ثمار اشجارها اليبعة اكسني ومن ثبات اعنابها عند اشتداد
 الحر شربتي .. ما اطيب حمر الشعير وهو من نبات ارض اراميين مخور ،
 وما انذ اللبان وهو من ندي الغنم العراق مستحلب !

بلادي ، ولها اخضر حيا يحاكي حب ارضيـع مرصعته ، ولما ابي اوان
 الوداع ارحمت الي هامسة : لك مني يا بني مريد احب والحبان ، فان عين
 لبلاد نحو نور عندك واعماله سطر ، سر يا صبي والخلق برعك ، فادكر
 لعيش ولبن الصعر ، ولكن ذكرى الوطن نصب عينيـك اني كنت وحيشا
 صرت ، فان الله يود لوفي ..

رحلت ، وقد سجدت دموعي وعداً هو دين عني ، فأنزله باوعـد
 أصبحت تدور آمالي وأحلامي ..

بلغت بلدة لرشيد ومنها قصدت لحدباء حيث وجدت في اضلال بينوي
 عضمة تحاكي عضمة بديلي .. ثم قطعنا ارض ما بين مهرس ، دخله والهرات ،
 وبعد ان اجبرنا لغراب سرن شمالاً ، والغرب بلارما سيب ، حتى بلغت
 اشهباء ، ومنها انطينا بشار سلف بيروت حيث اجتمع الامريكة عدوت .
 حية جديدة ملاب صدري وحاً وصوحاً .. هذا لعيب لبلد ارض وعهم
 وجدت حياً املا وطموحاً .. ما مصي الا اقليل حتى وجدتني وبعده عصاد
 شعاً متعباً ، لعني وعهم نحوها كان أسهل علي من شرب اللبن ، اعرب
 كان اسديني فباحلاصهم وعوهم احسب البحر حي اسيب وبقه نصيحه
 اشياء امال ..

جامعة امريكا وارجاطها بالمالم الحديد فتحت نافذة صوحى وصحب
 نفسي تريد اسجوال في ارجاء احام الغربي .. اسقطت ماء بحر السروم مؤني
 وحني نحو حصم كويومس باصدا ارض اليهود حمر .. فومنت دهبلا
 حمرة الارض امام باطحات السحاب وانا ارسب الناس وعهم سراكصرون وك ..
 رمز من النحل رالى محققهم مسرعون ، رايت ورايت وكان كل ما رايت يمثل
 المدنية الصناعية الحديثة باسمي درجة تعفها .

مستأ من الصين قصيتها في الولايات المتحدة الأمريكية ، أما بجيوبها
تحمي وأخرى بغيرها ، وتارة بشرها وطورا بشمالها ، ولحت عسدا من
الجامعات والكليات في مختلف انحاء شغلا بدراسة المجتمع الأمريكي دراسة
عملية على أمل أن أساهم يوما ما مع العاملين في اصلاح شؤوننا واعلاء شأن
عراقنا الحبيب .

كم قلت يا ليني بقيت جاهلا وفي الجهل دفينا ! .. اراي الملسم تاريخ
دسائس وصراع جرت على مسرح ديارنا وقد كنت اجهلها . اراي العرب ابيض
واسود ، وما كنت عرفت في وضي غير اما حيوان ناطق وانكل سوا . . . هذه
مدنية الغرب ، رايت فيها عرورا جنسية ، يعزل فيها الابيض عن الاسود ،
والغربي من الشرقي ، وما كنت عرفت في وطني غير المساواة . . يعزلون في
بعض ولايات امريكا ابن حواء كما يعزل الرعاة اعمامهم ، فتجد محلا لا يدخله
غير الاسود وترى في القطار للابيض محلا خاصا لا يمسه الاسود .

في الجهل والسذاجة كنت وجدت راحة النفس وسكونها ، وفي جمال
الطبيعة كنت قد الفيت بروبحا واطمئنا ، رايت الان باطحات السحاب
وسواد الجو يعني الابصار ، رايت الناس تركض ورامها التمويل ، رايت
القوي يستعبد الضعيف ، رايت غاصبا ومغتصبا ، طالما ومظلوما ، غنيا
يتباهى بمنتوج مدنيته الحديثة ، وفقيرا يتضور جوعا ، وما اكثر مشاكل
المدنية الحديثة القائمة على المادة ! .. رايت ورايت ، عرفت وعرفت ، فاضح
الخمي ، وباتضاحه غدا عدا بي يكثر ، وكثيرا ما يكون الجهل مجلبا للسعادة ،
وكثيرا ما يكون في المعرفة شقاء . .

رايت بلاد العز والمجد في الورا بعد ان كانت منار البسيطة ، اللهم ،
فكيف السبيل الى استعادة ذلك المجد العابر ؟ افي القعود والتقاعد . . لقد
دنا الأوان يا بني العراق ، كنت كما كان الكثير منا نجهل واجب الوطن
ومعنى الحياة ، فذاك زمن مضى وكالنجم اقل . . لكم يا بني الاوطان بتاريخ
الأمس فخر مجيد ، كفانا قعودا وبذاك الفخر نصوغ الاحلام ، هذا زمن عمل
ومن لم ينهض ليعمل في سبيل فخر المد فاقرا على مجد الأمس السلام . .

مسئولية ويا لها من مسئولية كبرى تقع على عاتق كل فرد في مجتمعنا
العربي . . واجب مقدس - هو واجب لاتحاد والناخي لنفوة الروح العربية
الحقة والتضحية الصحيحة . لفظة الشعور بتلك المسؤولية وذلك الواجب ،
اذ بهما يزول ماء الذل فنعود وسحر المجد نسيتر بواخر النصر والمجد مرددين
قول الشاعر :

لا تسقني كأس الحياة بللة
بل فاسقني يا عز كأس الحنظل



التصوير رقم (٧)

المؤلف في كلية تكساس العسكرية (أظهر العديد من



التصوير رقم (٨)

المؤلف في إحدى حدائق كولورادو (أظهر الفقرة ٦)



التصوير رقم (٨)

المؤلف في كلية تكساس العسكرية
(أظهر الفقرة ٦)

ما من ذكر يد ترسخ في ذهن المرء بعد بلوغه سن الشـحـوحه مثل
معمراته الغرامية عبر مسيره حياة الشباب . فقد صدق ائرجو السـمـح
الشبيبي حين قال :

« عهد هوى كنا عهدناه »

يعنى اصطباري عند ذكره

لا انا انساء فاسلو ولا

مذكره انت فترعاه »

ان لـحـب مـسـاح اقلوب نـصـع لـسـطـصـه العـنـي واهـمـر ، احـكـم و سـحـكـوم .
القوي والضعيف على السواء ، فهو الذي يصمم جسر حياه بين جرف الامل
والسعادة وبين اليأس والشفاء ، وان وجد له نزهه صالحة اردعه واثمر
نمارا يذوقه ، والا كان يفسده ووبالا . . . وما اصدق قول الشاعر في
ذلك ايضا :

« يا زمان الحب قد ولي الشباب »

وتواردى العمر كالظل الضئيل

وانمحي الماضي كسطر من كتاب

خطه الوهم على الطرس البليل »

وانا لم اكن الا واحدا من هذه الرمره اسمره التي تثار بعطشه شباب
وتحس بشعور الحب والغرام ، وخاصة ما كان يحدثه تأثير اسفالي المفاجئ
من محطتنا الشرقي المحافظ الى محيط العالم الجديد بما يتميز به من حرية
وتطور فكمت والحالة هذه كمن كان نائما ثم سيقظ فجأة ليواجه عالما
غريبا غير عالم به كل حواسه . ولعلاقات بين الجنسين تلعب دورا بارزا في
اجتمع الامريكي . واهم ما تأثرت به في هذا المجتمع الجديد ما كنت اشاهده
على شاشة السينما من تبادل افهام بين الجنسين وذا بي اشاهد ذلك يطبق
عمليا تماما كما هو على شاشة السينما . ولم اسلم من الاكثواء بشارة فوقعت
في شركه فعلا في اوسى سمي دراسني في امريكا وظل يلارمي منه بعد اخرى
حتى انتهى بزواجي . وانا اد انص هذه الحوادث الشخصية التي اسميتها
بمعامرات غرامية انما استهدف من ذلك لكشف عن بعض جوانب الحياة
الاجتماعية في امريكا ، تلك الحياة (بقية غير المستقرة التي يواجهها اطالب
الشرقي في المجتمع الجديد حين يحتك به لأول مرة .

وخلاصة الحادث الاول اني تعرفت على احد زملائي في الصف عندما كنت

في كلية ارلينجتون اسمه استر بيكر كان هو وروجنه وطفله نازلين في بيت
 قريب من الكلية مدعاني لزيارته وعرفني على روجنه . وفيما كنا جالسين
 في الصالون دخلت فتاة رائعة الحال تعرفني زميلي عبيها وقال انها ابنة رب
 الدار واسمها ماكي لي وهو يرعى شؤون كنيسة الببده ثم دخلت امها معرفني
 عبيها ايضا . واحذنا نتبادل الحديث في مواضيع مختلفة اكثرها عن العراق ،
 ثم طلب زميلي من الفتاة ان تشرف آذاننا بعرف قطعة موسيقية على البيانو
 ففعلت وقد صفتنا لها . وقد علمت من سياق الحديث ان الفتاة متخرجة من
 معهد الفنون الجميلة وهي وحيدة لاهلها . وانفاعة آية من لحمال تقرا على
 نبرة وجهه وحلاوة ملامحها الاحتشام وهي تمثل نموذجا من حياة العوائل
 الامريكية المسيحية القديمة وتعتبر محافظة بالنسبة للعوائل في المدن الكبرى
 من الولايات الامريكية . ومرت الايام وانا اتردد عليها بين حين وآخر فخرج
 الى المنزهات القريبة ، ثم كثرت لقاءاتنا فصرنا نلتقي يوميا دون انقطاع
 حتى تطورت علاقتنا الى حب وعرام . وكان صاحبي ينقل الي باستمرار
 اخبار الفتاة وشموها بحوي وخاصة ما نبوح به لزوجته عن وقوعها في حب ،
 وكنت واثقا من انها تحبني حبا صادقا لا شائبة فيه وانها مستعدة ان تصح
 كل شيء في سبيل تحقيق حلمها بارتباطنا برباط الزوجية ، وباختصار ان
 كلانا وقع في الشرك . وكم كنت المنى هذا الزواج لو كنت مستعدا له لان
 العاة كانت كاملة اصفات من جميع الوجوه وهي تحبني من اعماق قلبها وانا
 احبها وهنا أخذ يدور في ذهني لتفكير في المستقبل : لقد تفرقت عن وطني
 وقد حنت الى هذه البلاد لتحقيق هدف معين هو اتمام تحصيلي والعودة الى
 الوطن لانضم الى الاخوان في خدمته . فهل اضحي بكل ذلك ، هل انسف
 كل احلامي وآمالي لالتهي بغامرة مجهولة النتائج قد تجرني الى ان اهجر
 وطني لاعيش حياة الغربة طيلة حياتي ؟ لا . لا . لن يكون شيء من ذلك .
 ولن احيد عن الهدف الذي عاهدت نفسي على تحقيقه . فلا بد من انقطاع هذه
 الصلة والرجوع الى الوفاء بالعهد الذي قطعناه نحو الوطن . وهنا قررت
 الابتعاد عن مصدر هذا الشرك ومفطرة هذه الكلية باقرب وقت ، وقد تم ذلك
 فعلا ، وبعد انقضاء الدورة الدراسية مباشرة غادرت كلية ارلينجتون لالتحق
 بكلية كولورادو في غرب الولايات المتحدة الامريكية . وبعد وصولي مباشرة
 الى الببده التي تقع فيها الكلية أرسلت الى فتاة احلامي رساله رقيقة ومؤثرة
 شرحت لها فيها ظروفي وهي ان واجب الوطن يدعوني بان اكرس كل جهدي
 وطاقتي في سبيل تحقيق اهدف الذي جئت الى هذه البلاد من اجله اي اكمال
 تحصيلي والعودة الى بلدي لدي هو بأشد الحاجة الى ابنائه من الشسباب
 المثقف لينهض به الى ما يصبر اليه من تقدم وتطور ولما كان ذلك قد يستغرق
 عدة سنوات فلا يمكن ان يتم في مثل هذه الظروف زواجنا . لذلك ان الواجب
 يقضي بأن ننسى الماضي على الرغم من الألم الذي يخلفه لافصح المجال لها ان

حذر رومن حياتها وهي لا تزال في ربيع شبابها ، وودعها بكلمات عاطفية
رمية ولا تزال أحفظ بتصويرها وتصوير صاحبي وزوجته وطفله وهو الذي
كرسنا في ورطتي دون قصد وهكذا انتهت مغامرتي الأولى بسلام .

ذهبت إلى كولورادو ، وما أجمل كولورادو ، وما أروع مناظرها
«ساعة الحلالة» هي بلد الحب والغرام . فقد حبها أحلق بأسمى آيات
جمال حيث الطبيعة بأروع مظاهرها . وكولورادو مشهورة بمساقطها
«سبعة» (Seven Falls) أي سلالها السبع . وما كنت أحسب حسنا
بعد الذي ما كاد يسقيني من ورطتي الأولى إلا ليرمسي بأحصان ورطة ثرية
م استطع القلب عليها والأفلات منها هذه المرة فعلمت على أمري ولارمئسي
طوال السنوات التالية التي قضيتها في أمريكا . وهذه قصتي الجديدة أشرحها
بإيجاز :

كانت البلدة التي قصدتها تسمى « مساقط كولورادو » (Colorado Springs)
نسبة إلى المساقط السبعة التي تجاورها وهي تقع في ولاية
كولورادو . وما أن وصلت إليها حتى راجعت إدارة «كنية مروجي» بمائة
دسمة العوائل التي تقبل عندها أطلاب . فاحترت إحدى هذه العوائل
«قريبة من الكلية وهي تسكن بيتا جميلا مؤلفا من عدة غرف احترت أحداها
ونقلت أمتعتي إليها . فأصبح هذه أبنار ملجأى الدائم طوال سنين وحشت
فيها كل أسباب الراحة فضلا عن السمتع بالجو العائلي الذي نقدياه في غربتنا ،
لأن كان لدى العائلة طفلان جميلان يزيدان الجو العائلي زخرا ونعما . لم
يغض أسبوع على وجودي في بلدة « مساقط كولورادو » حتى نزلت في نفس
بلدة في غرفة مجاورة فناء جميلة باهزت العشرين من عمرها ومعها أمها جاءا
في سيارتهما من كنساس صيتي في ولاية مروجي للاصطياف في بلدة « مساقط
كولورادو » المشهورة ، فعرفني ربه الدار على الأم وابنتها وقد عرفت فيما
بعد أن العباء وحيدة لاهبها مثل فتاتي الأولى واسمها « روي » وأن أباها
أحد رجال الأعمال الأمريكيين في حاله لا بأس بها من الرخاء . ولا يحتاج
إلى أن يتكهن ما سيحدث نتيجة هذا اللقاء غير أن سطر بين شباب وشاة
في مع الأمر يسكنان في بيت واحد ويجمعان على مائدة طعام واحدة
بحسن في صالون واحد للاستماع إلى الموسيقى عدة مرات في كل يوم .
سرعان ما تمت صداقة وأمه بيننا حتى صارت الأم واسمها تدعواني لرافقتهما
في برهما إذا كانا نذهبان يوما في سيارتهما إلى إحدى المتنزهات في منطقة
مساقط . كما كنت أنا والفتاة خرج لمرحة مشما على الأقدام في كل مساء
مع أمشاء ونعود إلى البيت في وقت متأخر وقد تطورت هذه العلاقة إلى
أن تحدث بيني وبين الفتاة قصرا نذهب إلى المسرحات لوحدا في السيارة
أن ظهر لي أن الفتاة هي التي طلبت من أمها ذلك لكي نأخذ حرقنا . وكانت

هذه المرة الاولى التي نذهب فيها باسئارة لوحدا ، فمضدنا الى منطقة
 الاشلال وحسنا هناك بين الاشجار في أحمل بقعة احترناها الى جانب المساط
 وما ان جلسنا حتى صرنا نبادل الحب والفرام بصورة تلقائية كمن كان
 مكتوتا فانطق من حسنه ، وكان ذلك بشكل مثير وعنيف جدا بحيث امتاثر
 بكل حواسي وأقعدني شعوري ، فأحسست اني وحدث الحب والحنان لأول مرة
 في حياتي . وتكررت هذه اسرهات بالذهاب الى نفس المكان يوميا فكلنا نذهب
 معا معا ونفسي النهار كله معجولين بين المساط واحانات مفسطين سلك
 العزلة الهادئة وبلك المسطر الساحرة . ركبت الأيام نفسي بسرعة في عمره
 هذا الحو المسمى بالعجوبة ونألف وسرعان ما دبت ساعة العراق ساعة
 مصادره روبي لنعود مع امها الى بدهما . فشعرت بفراع تركه هذا العراق
 لم يعل إلا بعد امساح الكنية في ١٢ ايلول ١٩٢٧ وشعبي بالدرس . ولكن
 لم تكن هذه النهاية بل هي ابدية . فقد تبع ذلك تبادل حب وفرام في
 مراسلاتنا المتواصلة استمرت طيلة اسمه الدراسية حتى اصبح لدي كوم من
 الرسائل تحتاج الى حزانة خاصة ، هذا مع تبادل هديا في مناسبات خاصة
 مثل يوم عيد ميلاد أحدا أو يوم عيد من لأعد مثل عيد (الكريسماس)
 وما الى ذلك من المناسبات الاخرى . فكان كل منا يسطر بفارغ الصبر حتى
 يحين موسم لصيف لكي يتم اللقاء بعد قراق قدره ان يدوم تسعة أشهر .
 وما ان حل هذا الموعد حتى حاب روبي هذه امه لا بصطات مع امها ولكن
 لتشجيع من حبيبها . فكان اللقاء مقروبا بحراره بشوق والحب واصبحت
 العلاقة اشبه بعلاقة الحبيب بحبيبته فكلنا نتردد يوميا الى البقعة التي احترناها
 بقرب المساط وبرتاد وادي الرقص حيث نقضي ساعات مآخرة من الليل .
 وهذا كله لم يعرلني عن منهج الدراسة الذي درره فكنت اواصل دراستي في
 خلال اصيف بالتحاق في لدره الصيفية ، صرت هذه الصيفية بين الدرس
 والفرام بسرعة فتوطدت بيني وبين صاه احلامي رابطة قوية انعما على اثرها
 الرواح حلما اتم دراستي وأحصل على شهادة البكورة ثم نذهب سوية الى
 بلدي ، فوافق والداها على ذلك واستثمرت مراسلاتنا بصورة متواصلة حتى
 حصلت على شهادة اسكلوريوس في الهندسة من كنية كولورادو . وقد دعيت
 في خلال هذه الفترة لقضاء عطلة عيد الميلاد عند اهل روبي ، فذهبت اتي
 كمناس صيني حيث تعرفت على واد روبي وبعض المقربين من الاهل حتى
 صرت اشعر وكأنني احد افراد لعائلة وليس هناك أية قوة نستطيع ان تغرق
 بي . وقد اجمعني بي اهل روبي باعتراري حبيبها ، وما كان كل ذلك لا
 تكريما لروبي التي احتراسي دبقا بسمل حبيبها ومحبتي حبا .

ومناسبة ترحلي في كنية كولورادو أرسلت العائلة التي برتبه بهته ،
 ثم عادت كولورادو مسجها الى واشنطن حيث دخلت دورة صيفيه في جامعة

واشنطن ، وفي طريقه إلى واشنطن عرجح على كينساس مسي حيث تمسك
ليمة عند أهل روسي فحرجا تلك الليلة إلى أحد بوادي لوفس حيث تمسك
وقفا ممعا إلى ساعة متأخرة بعد نصف الليل . فكانت كل أمسي ويطعمني
مرتبطة بحبنا ومستقبلنا . وهذا ما كان يدعيني أكثر فذكر لئلا أكسب على
الدرس على أمل الانتهاء منه بأسرع وقت ممكن على أن لا ينهي إلا عمه
الدكتوراه وهو آخر ما كنت أطمح إليه .

حصلت على شهادة الماجستير من جامعة جورج واشنطن في شباط ١٩٢٩ .
ثم انتقلت إلى جامعة جوس هوبكنس في بالتيمور للحصول على الدكتوراه منها .
وفي خلال هذه الفترة بلغ بسا وفاة والد روسي فحرب عنه ونكسه كما
نكته أبنته الوحيدة . وقد كان لهذا الحادث الأليم أثره في انسداد حسا تعافا .
أد أصبحت روسي تعلق كل آمالها ومستقبلها على صلات وما وطفه عليه الله
من الزواج بعد حصولي على شهادة الدكتوراه مباشرة ، فأرسلت إلى روسي
والى أمها ورقة تعريفية ثم رساله إليها عبرت فيها عن عمق حبي لها وعن
مستقبل حياتنا ، مما يعوض عن الفراغ الذي تركه موت والدها .

مرت الأيام بسرعة وأنا مكب على اندراسة فاستأجرت آلة طباعة
وانصرفت كليا لطبع أطروحتي . هذا ومراسلات مواصلة لم ينقطع وكلانا
ينتظر اليوم الذي صبرنا عليه استنوات الطول ، ولم يبق إلا أسابيع معدودة
حتى أتدم إلى الامتحان النهائي ومناقشته أطروحتي .

ومر كل شيء بسلام حتى ندخل القدر فأزل علبا فاحشة بسفت كل
الأماني والذكريات بل سمعت ذلك الحب الذي زاحج في نفسي طوال
سيرة . . نعم فلا شيء كل شيء وأطوى الماضي بين وريقات حسا . فبا لهول
المصاب الفادح .

قد كنت على مائدة الطعام حين سلمني ربة الدار كتابا ، وما أن تمسكه
وكنت أتو بدايه حسا ، ففقت عيني على دعوة لعقد قران فنصوريه عقد قران
أحد أارب روسي ، ثم تمسكت الدعوة جيدا . وما أن أتيت على حرجا حسا
أيقنت أن الدعوة لعقد زواج روسي داتها على . . . نعم عقد رواحها هي بالذات
وهذه هي الدعوة التي كان مقررا أن يطبع باسمينا . .

هل أصدق ما شهدته عينا ؟ . سمريت في مكاني فوقفت بعيني في نفسي
وكان وقع الصدمة عميقا على نفسي . . فركب مائدة افطور ولجأت إلى
عرفتي لاكون وحدي مع نفسي وأطرح على الفراش وكاني في حلم . فكانت
الذكريات تتماوج في ذهني حتى صرت أهدي صديان الرقص في أشد حمه
واسأل في دحيتي : بالله أهذا الذي مرأته جميعه واقع ؟ رياه أن لا أصدق .
بالله أهذه هي حقا أنكون هي التي عرفتها من قبل وأحبها حب العباد

والبحون ٠٩ وكنت أصت على أسني واستشعر اعصب ساحج في نفسي ، اد
كان هذ احداث طعمه لكرامي ورحولي وحياته للعهد فاحدب لأحاسسي
والمشاعر المتصارعة تعمري فكرعك بحياة الأمريكية وكرعك كل شيء أمريكي
والعن الساعه التي حاب بي اى هذه البلاد لاندوق عدا العدا ، فاستولت
على شوة من اعصب وبولت عدي بعمه عارمه على النساء جميعا .

ومني عدا لصراع يدور في ذهني اياما بليليتها حسي اسهي باستصار العقل
على العاطفه فادركت ان العلاج بوجد هو الرجوع الى كسي لانم دراسني
باسرع وقت كي ينصني لي معادره هذه البلاد بسرعه غير آسف على بركي
ابعا . وهكذا بدا وقع الصدمه بعف شيئا فشيئا ، فكنت رسالة مفضيه
مهتئا فيها فناء اخلاقي بعقد زواجها متسيا لها السعادة والهناء . وفي الوقت
نفسه جمعت كل رسائلها وادعيتها في حقبه كيرة وشحنها في القطار . ولما
عرفت ربة البيت بقصتي وهي مطلعة على سبق علاقي بروبي اخذت تصحني
بأن اسى الماضي واصرف الى اتمام دراسني فعملت نصيحتها وصممت على
ان اخرج واحرج في جمعه شتوق ثم اعاد هذه البلاد التي عشت فيها سب
سنوات من ربيع احياة حرت حلاها حسناها وسيثتها غير آسف على
مفادرتها .

ومرت الأيام بعد عدوه العاصفة واقترب يوم تحرجي بعد ان اديت الامتحان
بساحج كير وادا برساله تصلني من كساس سبني ، وما تناولت الرسالة
حسني اخذ فبني يدق مفضيه بند مرتجفة ودا بها من أم روبي بحمس بين
طياتها خبر حادث خطير وقع لروبي اثار اشاعر من جديد . ما هو هذا
الحادث الخطير ؟ عرك نص خطاب أم روبي وهو يوضح ما حدث :

عريزي ٠٠

اذن وانا اكتب اليك هذه السطور يتنازعني وخر الضمير لما اقترفته بحق
روبي ويحقك ٠٠ فانا وحدي مسؤولة عن كل ما حدث ٠٠ ولا ادري كيف اكفر
عن هذا الدس الذي ركبته بحقكم ٠٠ لذلك جئت بهذا اطلب اليك ان نفع
لي عما حسب عدك وعلى أسني روبي ٠٠ وان كانت هذه المغفرة لا يعني شيء
بعد فوات الاوان .

ان روبي عني الآن في بيتا تركت زوجها بعد اول لقاء للزوحية وعادت الى
بيتها سدد حذها ، لاني ان التي جمنها على الرواح من ٠٠٠ وهي لا يحب
سواك ٠٠ وهي تصر على طلب الطلاق من زوجها ٠٠

ولما كانت روبي عاجزة عن ان تكتب اليك فجئت بهذا لاجرك بما حدث
فرحاني الآن ان تكتب لروبي وبواسطها عني ماساها هذه وهي ترعب في لدنك

و ربح من ارباح هذا استجبت لرغبتها فخرجت مع الغناء في مكان ما
معلوم عنه . هذا واكرر رحلتي بان تعبر لي عما حبس وارحوا لك دواء
وقد مع احسن السميات .

المخلص

(...)

ولا حاجة لأعبر الي اعدى عما أصابني من الدخول بعد بلأوه هذا الخطأ
من أم روبي . فقد وقع ودفع اصابعه على عيني اذ عرني بعد وادى كل
من عرني من حبه ، هل اصدق عيني بما فرت ؟ وعن لي نطبت بعد كل
حدث ؟ فقد كتب في حبه من امرى . ولكن كان علي ان اجد بقرار
بحسب وتحدثه دون تردد وهو ، لا مراسله ولا لقاء . فكيف حواليا ففصلت
هذا المعنى هذا نصه :

عزرتي ..

سكنت مع ، تشكر رسالتك . اننا كلما ناسد لحدث ولو كان للاسف
وندم مجال لاصلاح . حول وعدده الامور الى محاربا ضد الأمل في محبت
عنه مفعول . فليت واحده هذه ان نواجه حقيقة الواقعه وهي ان الواحد
يقضي بقطع صلتي بروبي في الظروف الحاضرة على اقل تقدير . بروبي
مروجه شرعا من شخص ثان وان افرقت منه ، وهذا لشخص الحق وكل
حق ان ينقم علي من يتافسه على روجته شرعية فحير لكينا أنا وروبي ان
نسى الماضي ويبد كل ما حياة جديدة ، لان لماضي لم يعود ثانية .
عزتي لروبي .

المخلص

لقد كنت اظن ان جوابي هذا سيكون خاتمة المطاف وسيبدل الستار عما
مضى ولكن خاب ظني ، فحيثما كنت منكبا أعيد أمعني استعدادا للرحيل
والعودة اني الوطن واد يد . بلعوني من كسناش مبني فبدني صاحبه لدار
وهي مطلعة على كل شيء وقاب اظنها روبي او امها . ساولت السماعه وقلبي
بحق حتى صرت اسمع دقاته بادني . فقد كانت روبي بدأت . فانت بصوت
مكسوم وقد تحطمت معوياتها فكانت كالفائد المهزم في ساحة الحرب ، قالت :
رحل لا نزال نابقا علي يا حبيبي . . . قلت هذا حكم العذر وقد شاء ان يختبر
مبني حينا وهو يهزا منا ، فكانت تجربه قاسيه علينا . . . قالت اريد ان
أراك قبل مفادرتك للبلاد ولو للمرة الاخيرة فهل تسمح لي بالمجيء الي بالتيمور
لاحضر حفلة تخرجك ؟

وهنا بدا الصراع بين العاطفة وتحكيم العقل فكانت تتنازعني عوامل الحب

والاسقام والعذب ، تمت دون شعور : طبعا كيف لا اسمع لك ان كنت راعه
في ذلك ؟ وبعد ان غيب يوم مجيئها رساعه وصوبها وكن ذلك يوم احصل
رسل سعري بيوم واحد ودعسي بقولها : مالي الفاء يا عزيزي .

عدت الى عرسي وصرت اسائل نفسي مستعرضا شريط الاحداث : هل كان
حصوعي لمعاطفه ضعفا هي ؟ . هل اعمر لها اسهر من عافيتي وجبرها لي .
وهل اعمر لها حياته عهد ؟ . ثم اعود دقول لنفسي : كيف لا يغيب المعاطفه ؟
هل انسى تلك السنين التي فصصاعا ونحن منهيمسون في حبا بدور اشبه
طماء الفرام فيها ؟ . فكيف انسى تلك الاعوام التي مرت كدستجاب امام هوا
المعاصفه ؟ . فكيف الدنيا كلها ترفض وايانا على نفم حبا حتى حلت المصيبة
معصفت على كل آمانا . يا بها من ذكرى مؤلمة مريره . . يا لها من حسره
لا نفس حب الموت . . لقد مر على تلك الحادثة حبس واريمون سه ولا يزال
روبي عدله امامي وهي مشبكه في صراعها النفسي وعذاب الصجير الذي
كان يؤمها .

دعيت لاستقبال روبي في محطة المطار فكانت تقصارع نحو طر في دهلي .
هل لنا الحق ان نحاص عند معاء ؟ وهل تسمح بنا المقاييد المرعيه بان
نعود الى الصي وسناتف تبدل احب واعرام ؟ . استعصها وما كن مجال
نحجب انحص عند انقاء فاضطرت ان اقضي كل وقتي معها فحصرت حمله
المخرج وعشاني بقلات حارة . وفي اليوم التالي (يوم ١٧ حزيران ١٩٣٠)
دعينا الى - الباخرة التي مستقلني ابي فرئيسا (S.S. De Grosse)
فكانت روبي ترافقني وانا انقل امعني ابي العره المحددة لي . وحلستنا على
الاركة ، وهنا احدث بدور في ذهينا خواطر ودكريات ، فقد كنا لنقطر
عده اساعه بفارغ الصبر لنحفل بزواجنا ونأتي الى الباخرة التي مستقت
الى أوروبا لفضاء شهر لعل ، ولكن بجري ارياح بها لا تشبهي السفر ،
فكانت مشينه القدر ان نجتمع على الباخرة سوديع آخر لقاء بعد ان حسدت
ما حدث من نظور قلب الامور الى هذه النهايه المجره . وفيما نحن نطق
اعيان لهذه الحواطر اطعمت الباخرة آخر صفر بها فدنا وقت ارحيل فودعسي
روبي بقبلاها الحاره ومعدرت الباخرة والدموع سيل من مآفيتها مداره فبارة
نمسحها بمسديها وتارة بجهش باللكاء وهي تسب حطب ابي حطم كل آمانها
تطلب عثواني في باريس وفي العراق فاعطيتهما لها وقالت ان مصيه في سير
مما له طزفي من عدا ارواح ابي ارعمت عيه وارحسو ان لا يحرمي من
حبارك . ثم وقف عند سياج الباخرة لاتباع خطوات روبي وهي بفادر الباخرة
توقف عند الرصيف وحدثت بهف بيدها وقد طبت وادبه سايع تحرك
الباخرة من مراسيها حتى غابت عنها في عمق البحر .

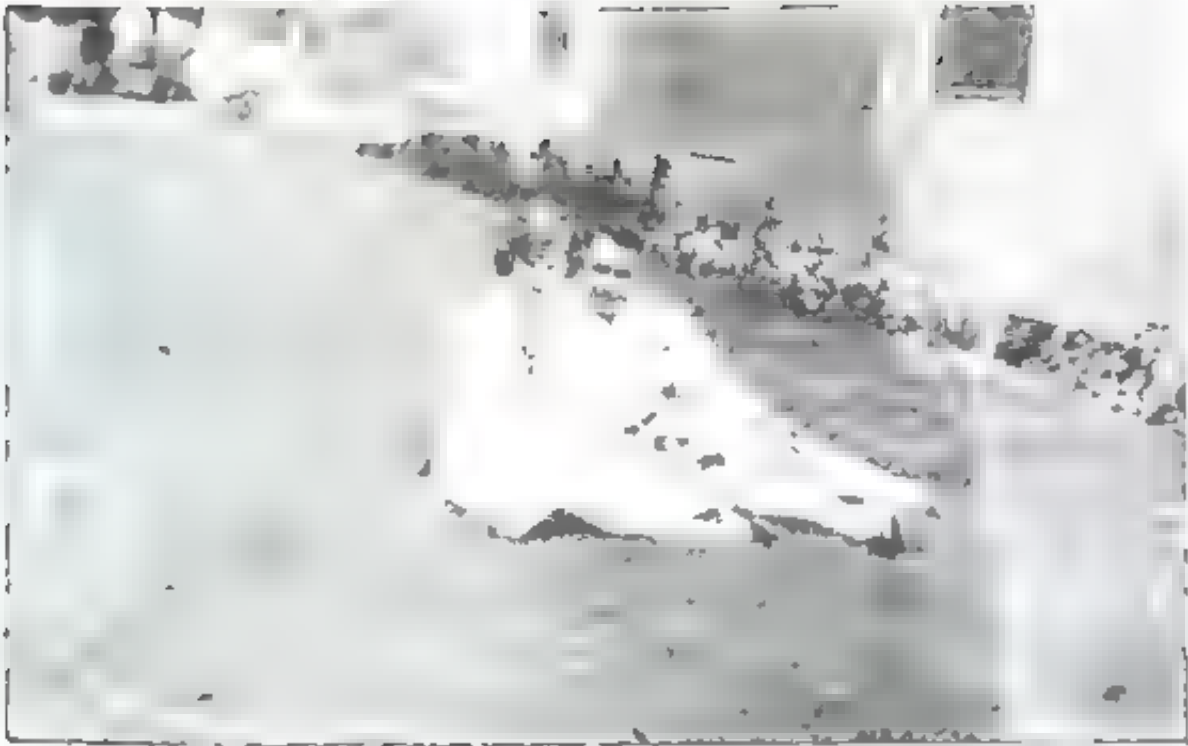
رجعت الى غرفتي فكنت متعبا وكانت اعصابي متوترة نتيجة السفر

حواسل لأعداد أطروحي والتحصير للامتحان النهائي وسيجة ما أصابني من مرض بسبب الحاجة الفجعة التي انتهى إليها صراع حث عظم آمالي بحدسي لمستقبل سعيد مع فتاة أحلامي . فلحقت إلى وحدتي النفس الراحة مرة بعد ست سنوات قصيها في أمريكا تحت ضغط حياة مرهقة لا تعرف راحة وأهدوه . استطحت على السرير وأحدث استعراض في محيطي شريط حدث التي مرت وما كان من بهايه علاني برربي ورواجها وقد كان للمادة الرئيس فيها ، فقد أرادت أم روبي زوجا من أصحاب البنوك لابنتها بحسب مستنقلا وهدمت كل ما كانت تصبو إليه من حياة روجية سعيدة من الحب والحنان . مرت تلك الحوطة في ذهني كما يمر برق الحطاط في رائد نفسي وأقول : أهذه هي الحياة التي عشتها ست سنوات في أمريكا هبرت حسناتها وسيئاتها تجولت في كل أبحاثها وتفتحت في صميميتها الاجتماعية ، فهل تعتبر هذه الحياة العذبة على المادة الحياء التي سماها المرء لصمان سعادته واستقراره النفسي ؟ وهل هذه هي الحياة التي شاعدهم البشري ؟ وفي الوقت نفسه كنت أسلي نفسي بقرب عمودتي إلى رضى وأنا أحمل أعلى شهادة بل أرب شهادة دكتوراه يحملها عرقي من أمريكا حرب ما يؤهلني للدخول في ميدان الخدمة العامة وهو الهدف الذي من جعلنا مشرق حياة الفرة لسنوات الطوال .

وحياة الباخرة تمثل عالما مستقلا دائما بذاته ، عالما عائما فوق سطح ، يصمم مسافرين من أنحاء العالم كافة ، تجمعهم الباخرة فوق سطح واحد ، يرق الباخرة ترسخ في دهن المرء وتوطد أواصر الصداقة لعالمية . وليس حل من حياة الباخرة خاصة إذا كان البحر هادئا . فكنت أنسطح على كرسي المستطيل وأنامل مياه البحر ذلك العمق الذي لا نهاية له فلا يرى غير السماء يبعثان بلونهما الأزرق الصافي جوا من السكينة وراحة الأعصاب يبدو البالد ، نصرت أتمنى أن تطول رحلة الباخرة لأشفي عيني من هذا حر الرائع فأعوص فيه عم يحملني من التعب والأرق .

وأنا في مثل هذا الظرف كنت أتصور كل شيء إلا شيئا واحدا ، وهو ادخل في مغامرة جديدة مع فتاة أميركية جديدة بعد الذي حدث . ولكن حكم القدر والمصيب هو أقوى من الإرادة ، وهو الذي يعرض حكمه في أمور الناس . وما أصدق المثل العامي الفائل (كل شيء بالعسمة والمصيب) . فكذا فقد لعب القدر لعبته وأعد حطة ليطرحنني في غمرة مغامرة عرامية جديدة مع فتاة أميركية جديدة كانت على ظهر الباخرة . وهذه الفتاة الجديدة ظهرت لي الباخرة وهي في طريقها إلى باريس وكانها كانت على موعد مع روبي جاءت سايه لتودعني والاولى لتحل محلها . فما أعرب حكم القدر (والعسمة) .

هنا تبدأ قصتي الجديدة شهدت الباخرة أولى أدوارها واشتهت هذه المرة



التصوير رقم (٤٩) - المؤلف مع مكي لي في معامره الترابية الأولى .. آخر
الفترة (٧)



التصوير رقم (٥٠) - تصوير آخر
للمؤلف مع مكي لي في معامره
الأولى ..
(انظر الفترة (٧)



التصوير رقم (١٥) - المؤلف مع روبرت في مفاخره الترامية الذاتية في حدائق كولورادو ، (انظر الفقرة ٧)

بالزواج من الفتاة الجديدة وهدم خلاصتها :

دخلت ذات يوم الى صالة الرقص حيث نعام حفلات الرقص كل مساء ، فيجتمع ركاب الباخرة في هذه الصالة رجالا ونساء على اختلاف أعمارهم ، فبعضهم يتمتع بالرقص والمصاحبة الآخر يجلس على المقاعد لمشاهدة الرقص وصماع الموسيقى . فدخلت الصالة لاقصي بعض الوقت فصادف جلوسني الى جانب فتاة أمريكية ، وما أسهل التمييز بين الأمريكي وغير الأمريكي بسلمت عليها وأحاطني بلطف ، نظرت اليها وأدا بها فتاة مشوقة الغد ، وشقيقه الجسم . بضياء لوحه ، كستائية الشعر ، أليفة اشيا ، قد دهزت الرابع أو الخامسة والعشرين من عمرها ، كان يسدو على وجهها سيماء الخجل والفرح معا يدل على انها من عائلة محافظة تخرج لأول مرة خارج بلادها . وفيما أنا أنظر اليها لمحت انها قد علقنت على صدرها المصباح الذهبي الذي يمنح لتخرجي الحمامات بتفوق ، اي انها عصوة في جميعه (فاي بيا كايا) التي التمتع بعضوتها (٧) ، فسماتها مشيرا الى المصباح الذهبي في صدرها عن الخدمة التي تفرحت فيها فذكرت انها تعمل شهادة الماجستير من جامعة آيوا الأمريكية وهي الآن تدرس اللغة الفرنسية في نفس الجامعة التي تفرحت فيها وانها داهية الى باريس لقضاء العطلة الصيفية وممارسة الفرنسية بين

(٧) انظر ما تقدم في الفقرة ٥ من هذا الباب « نواستي في أمريكا »



التصوير رقم (٥٢) - أرفك لي لي التخرج من جامعة جونز هوبكنز سنة ١٩٢٠.

الى بلادي وارتبط بعلي . وهكذا كن فم متفرق بعد بزوب اني اسير في
مرما الهامر في شمال فرنسا فركبنا الفطار نوا عاصدين باريس . ولما وصل
الى باريس رلنا في فندق واحد في عرفتني منجاورتين ، فم اتذكر اسم احد
ولكني اتذكر انه كان يقع في شارع صيق وبنايه واسعة مؤلفه من طيعين
فقط وعمره واسعة وسقفها مرتفع على النحو اندي كذب عليه السيدات
العديمة . وقد وضعنا منهجا وهو ان نقوم كل يوم برحلة في اوسع اندي
نحدده لذلك اليوم . وكنا نتساوب فيما في توي مسؤوله اضرب على
حولنا وعلى طعامنا فيوم ابولى انا هذه المهمة ويوم تولاف هي . وفي المساء
كما نذهب الى اسبينا او المنزهات العامة او بعضي سهرنا في اهدى . فم
نترك مكانا سياحيا عاما او منجنا او معرضا او موقع تاريخي الا نرساه
واخذنا لها بعض التصاوير ، فمضى اسبوعان ونحن سير على هذا الموال
حتى دنا وقت الرحيل فشعرت باني باشد احاجه الى التركون الى التوحده
والافراد للتمتع بالراحة واليوم الكافي لاسنعيد صحي وشاطي . فقصمت
على الذهاب الى سويسرا لقضاء بضعة ايام هناك ، ثم اذهب الى لسان بقضاء
بضعة ايام هناك أيضا قبل عودتي الى العراق ، فكانت صاحتي برعب في
مرافقتي في رحلتي هذه ولكني لم اشجعها على ذلك لاني كنت اود ان اسمع
بوحدي كما ذكرت . فودعها دون ان اقبلها وان كنت اشعر بانها كانت ترغب
في ذلك ، وقد تعمدت عدم تفصيلها اسبجاة لما كانت تعفده من انه لا يجوز
للغاة ان تسمح القبلة الاولى لغير خطيبها ، فودعتها وانا اشعر بمزاج تركه
رغم رعبتي في الافراد والركون الى الراحة والهدوء . ولم يحظر بيالي حينذاك
فكرة الزواج واهم ما كنت اردو اليه هو الراحة والاستجمام ، وكنت اظن ان
انتهى بي المطالب الى هذا الحد ولكن النصيب يعود فيتدخل القدر كما سنرى
فتتطور الامور حتى تنتهي بزواجنا .

قضيت عدة ايام في سويسرا متجولا في مناطقها الجميلة ، ثم ذهبت الى
لبنان مسقط راس دراسني الاولى وانا اعود اليه بعد غياب ست سنوات .
واول شيء اجتنب اسبابي ما كان يدور في لادنية والصحف آنذاك حول
موضوع فلسطين المكوبة ووعد بلفور المشنوم فاثار احساسني وسخطي على
الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية مما حملني على كتابه مقال نشره
في جريدة الاحرار البيروتية في عددها الصادر يوم ٢٨ آب ١٩٣٠ بعنوان
« فلسطين بين العرب والصهيونيين » شرحته فيه المطامع الاستعمارية البريطانية
ودورها في تبني مشروع استعمار فلسطين على يد الصهيونيين ودعوتهم في بناء
وجهته الى اليهود العرب الى شجب واستنكار وعد بلفور وبوحيد الجهود في
سبيل مناهضة المساعي لاستعمار فلسطين العربية وشريد سكانها العرب

والنيل من حقوقهم في بلدهم» (٨)

وفي لبنان قصدت زحلته حيث كنا نقي صنفائنا عندما كنا طلابا في الجامعة الأمريكية في بيروت ، وهما استأثرت بي ذكريات أيام دراسي الأولى ، فأعادت الي ذهني صورة من صور تلك الأيام المبهجة التي كنا نقضيها مع اخواننا العراقيين ، اذ كانت تجمعا رابطة الوطن الذي كان يعاني من طغيان الإنكليز وتعتيمهم ، وخاصة في أعقاب الثورة العراقية الكبرى (ثورة العشرين) تلك الثورة التي يغيب الحماس والطموح والاندفاع سحقوا الوحدة العربية الماسكة والوحدة العربية الشامية ، ولم تكن هذه الثورة الا مطهرا من مظالم حركة التحرر من نير الاستعمار العائس الذي سلب العرب استقلالهم وحريتهم وكرامتهم . وما ان تشكل الحكم الوطني المربيع في العراق حتى وضع



التصوير رقم (٥٣) - المؤلف
في زحلته مع الاخوة العراقيين
وهم من اليمين :
المؤلف ، المرحوم الشاعر الشيخ
مهدي البصر ، عبدالوهاب كموه
، علي الوائلي ، هبوع شلائس
(اُخذت في ٢٩ صفر ١٩٣٠)

(٨) انظر الملحق (٢) « فلسطين بين العرب والصهيونيين »

الانكلز محفظاتهم فرسموا السياسة التي اتفقوا مسؤوليته بوضعها بمرارة من
اهل البلاد . وهكذا شرعوا الشريكات حسب ما يقتضيه منهج محفظهم هذا
الذي ضمن لهم ما يفتون من امسيارات ومواتيق تربط العراق ببحره الضائع
الاستعمارية البريطانية . ثم احدثوا يفتون سمومهم باحداث اسفوفه بين ابناء
الشعب وتشجيع المرات انطانية ، ففرسوا في القوس الحمد والعصا ،
ليتمكنوا من التلاعب بمقدرات بلاد العرب وفق مصالحهم .

كان هذا الفليان مستحوذا على اوصاعنا السياسية والاجتماعية حين رجعت
الى العراق فولد في نفسي خيبة امل ورد فعل ، وفي غمرة هذه الامسيات
وردني رسالتان ، رسالة من روبي يقول فيها انها على وشك ان يهي معامه
الطلاق من زوجها وتطلب الي ان اكتب اليها واواقيها باحباري ، وادسه من
ماري رفيقه الباخرة وبابريس ، فبعثت جوابا على الرسالة السنية واهملت
الاولى ، وبعد ايام قلائل وصلتنني رسالة ثانية من روبي بحري فيها انها
حصلت على طلاقها وهي ترجو ان ارسلها . وشاء القدر ان تظهور علاقتي
مع ماري بعد تبادل رسائل بيني وبينها اكثر من سنتين حسب بيت علامية
متبادلة من الود والتقدير . وكلما كانت تمر الايام كلما زاد فاعلي بل
ماري هي الفتاة الشرقية الغربية التي جمعت الصفات المطلوبة لاتحاد رصة
حياتي ، ومع ان رسائلها كانت تعز من طرف غير مباشر عن مينها التي لم
اكن متاكدا من موقفها فيما اذا فاحتها بطلب الزواج ، ففاحتها في ذلك .
وكم كانت دهشتي حين جاءني الجواب بانها كانت تسيطر بفارغ الصبر ان اتقدم
بهذا الطلب وقد كانت تحجل ان تعانجني في امر حبها لي قبل ان ساكد من
شموري نحوها ، وهكذا فقد ربطت ماري حبها ومستعملها بي مصحبة بكل
ما كانت تتمتع به من توافر وسائل العشر لعيش في بلد عرب ومجهول مع
من احبه عن صدق واخلاص ، فركت وظيفتها واهلها وحدي الى بيروت
حيث عقد زواحنا في القفص الامريكية بيروت بتاريخ ٩ مارس ١٩٣٢ . وقد
وقعت ماري موقفا حازما امام معارضة اهلها حتى اضطروهم الى الرضوخ
لارادتها . وهكذا فقد حكم النصيب (او القسمة) كما يصر عنه بهذا الزواج
وكانت نهاية المطاف بان ارسلت بطاقة مطبوعة بالانكليزية تحمل خبر زواحي
من ماري الى روبي لاحاطتها علما بذلك فكف عن مراسلتي . وبهذا فقد
سكنت نفس الطريقه التي سلكتها في معانجني بحبر زواحها بدعوتها ابي
لحضور حفلة زواجها وكانت تبادل دعوة بدعوة .

وكان علي بعد عودتي الى الوطن مع ماري ان نعيش لوحدها وذلك لمقاطعة
الاهل لنا ، فاستأجرنا دارا صغيرة في بغداد واشتريت بعض الاثاث البسيط
بعدد احماله وامصبيا بعض الوقت على هذا النحو حتى ابطت بي مهمه
ممنه خارج بغداد ، فكتب من امرين ، اما ان اتركها لوحدها في بغداد

وأما أن استئصالها لمعيشي في الحيلة التي كانت تمر عملي ، فصرنا نأخذ
 يصل بالطريقة الأولى ونأخذ أخرى بالطريقة الثانية وكانت نتحمل كل ذلك
 من غير أن تنفجر . وفي غضون ذلك أصابت ماري بداء الحناق . وهو مرض
 معد نادرا ما يصاب به الكبار ، فعزينا في دارنا ولم يسمح لأحد أن يصل
 لنا أو يزورنا ، فكاد يقضي هذا المرض عليها لولا الاهتمام والعناية الخاصة
 من أحد الأطباء الإنكليز يومذاك يدعى الدكتور كراهام على ما أذكر . فكان
 يزورنا يوميا وفي بعض الأحيان مرتين في اليوم حتى أخذ حياتها بعد أن ينسأ
 من شعائها ، ولم ينقاص ما أي أجر بل كان يزودنا بالأدوية المطلوبة دون
 أن يتقاضى ثمنها . فبميت ممرض بها طيلة أيام مرضها الذي دام حوالي
 خمسة عشر يوما لم يدخلنا في خلالها أحد غير الطبيب . وكنت أقوم بتعسي
 بإحضار الطعام وتنظيف الدار وعسل الألبسة ، وكان خادما يأتي مرتين
 كل يوم يجهزنا بما نحتاجه من المؤن ويسلمه لنا من الباب دون أن يدخل
 الدار . وكانت زوجة مديرونا البريطاني (مدير الري) تأتي يوميا ونجهزنا
 من الباب بطعام خاص لما ري دون أن سنخرج الاواني فتجمعت عندها ، وعلى
 أثر شفاء ماري تم تعقيم كل شيء في الدار .

كانت هذه أول صدمة أصورتنا في حياتنا الزوجية الأولى قاومنا مصاعبها
 بحزم وثبات ذلك لنا ذلك الطبيب الإنساني العظيم فكان نموذجا للمثل الأعلى
 الذي يجب أن يتصف به كل طبيب ، هذا بغض النظر عن الدوام التي حملته
 على قيامه بهذه العملية الأساية المأدرة ، أي الرابطة القومية التي تربطه
 بها . وقد كانت ماري تقول في أثناء مرضها أنني سأحمل كل شيء كي أبقى
 حياتي وحبي لك واني واثقة بعون الله أمي سأشفي . وقد رادت هذه الحادثة
 رغم آلامها تعلق ماري بي حتى صارت تسنهون كل العقبات في سبيل تكييف
 نفسها للمحيط الجديد . فضييا بعد ذلك قسطا من الراحة والاستقرار فترة
 من الزمن في بغداد وزفنا في خلالها بطفل ذكر سميناه (فيصل جميل) وكان
 ذلك في التاسع عشر من كانون الثاني ١٩٢٤ المصادف لليوم الثالث من عيد
 العطر المبارك . ثم بعد أن بلغ الطفل حوالي الشهر الثامن من عمره صدر
 الأمر بنقله إلى بعقوبة مهندسا مسؤولا عن منطقة ري ديالى وهي أول مسؤولية
 فنية مستقلة ذات صلاحيات يتسلمها المرافقون العميون من المهندسين
 البريطانيين ، فمكثنا في بعقوبة حوالي ثمانية أشهر بين ١٩٢٤/٩/٢٠
 و١٩٢٥/٥/٢١ ثم عدت إلى الحلة مسقط رأسي ووطن صباي مهندسا مسؤولا
 عن منطقة ري الفرات وأشرف على إدارة مشروع سدة الهندية الذي واكبته
 وهو في مرحلة البناء في عهد الصبا ، ذلك المشروع الذي أوصل الماء إلى بلدة
 الحلة بعد انقطاعه عنها . (٩)

(٩) انظر ما تقدم عن هذا المشروع في الفقرة (٥) من الباب الأول من هذا القسم .



التصوير رقم (٥٤) - ماري
في بغداد قبل أسائها بالغتاف
أخذت في تموز ١٩٣٢
(انظر الفقرة ٢٧)

وهنا بدأ انقدر يشاكسنا فبدات المشاكل تظهر فأصيب الطفل مرض
عجز الاطباء عن تشخيصه ، اد كان يموج تدريجيا في طريقه الى لفظ اعماسه
الاحيرة بدون جدوى من ادوية الاطباء ، اد جربوا انواع الادوية دون ان يحصلوا
على اي تحسن في صحة الطفل . وأعقب ذلك مرض امه متأثرة بحالة طفلها
ايانسة فاشار على الاصدقاء ان اذهب بماري وطفلها اسي اهنها في امريكا
فصملت بصيحتهم . وكان الموسم في لب الشتاء فكان على ان أنقل مع
زوجي وطفلها وامتعنا على مراحل بالسيارة اولا ثم باباخرة ثم بانفطار بعد
الوصول الى بر امريكا ثم بالسيارة الى المزرعة حيث اهل ماري ، في ذلك ابرد
القارس ، ولكني تغلبت على هذه المشاكل بطول الأناة والصبر على الملمات
حتى يبعنا الهدف ووصلنا ثلاثا بسلام الى مزرعة اهل ماري في ، فنتون -
ايوا) . وما ان وضعنا اقدامنا على عتبة باب بيت اهل ماري حتى تسحرنا
بان الحياة عدت الينا من جديد ، وكانت هذه المرة الاولى اسي اهنها بولندي
ماري . واول عمل قامت به بعائلته انها استندعت طبيبها الخاص بالمعوي بعد
على عجل واحد يفحص الطفل فحصا دقيقا وهو في حاة شبه احصار . وصار
يسأل ماري عن تفاصيل عراض الممرض وعن وصفات الاطباء في علاجه ،
فشخص المرض في الحال وعيى العلاج اللازم واعطى التعليمات الخاصة برعاية

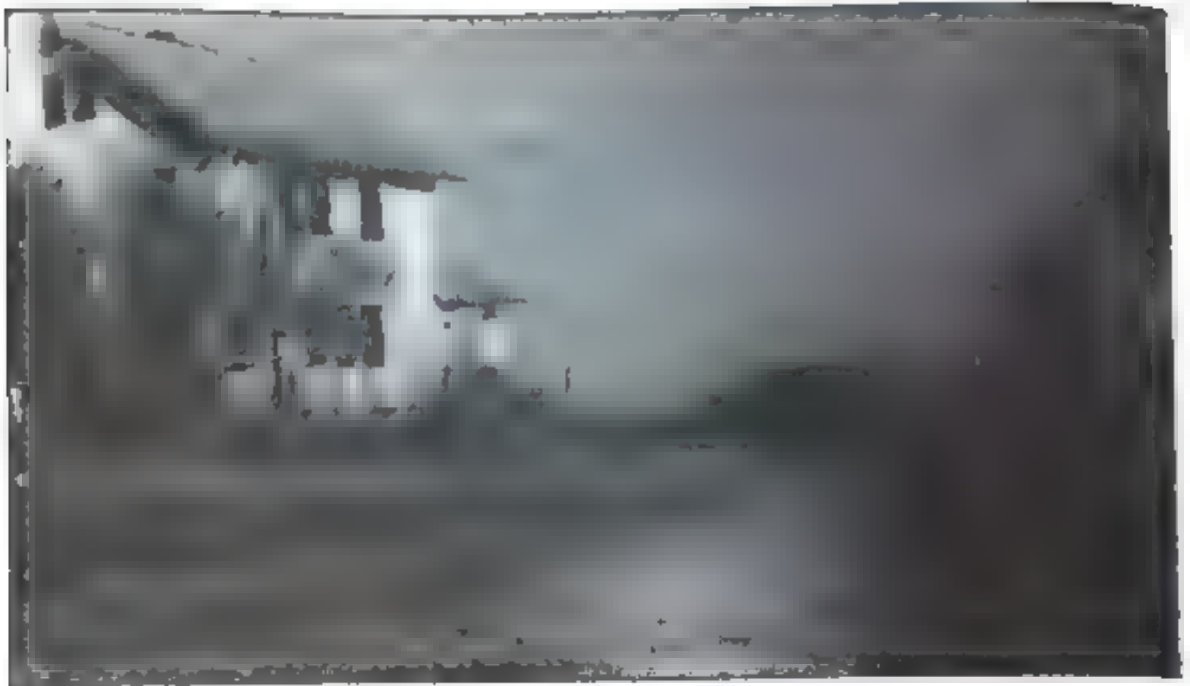


التصوير رقم (٥٥) - فهدل جميل وهو في السنة الثالثة من العمر

اللازمة من حيث استعمال الدواء ومن حيث نوع الطعام الذي يعطى للطفل .
وكان لطبيب يستوصح تلغويا بين ساعة وأخرى عن حالة الطفل اثر العلاج
الذي وصفه به فصار يحسن بسرعة مذهشة اد لم تعص ثلاثة ايام حتى
استعاد الطفل صحته وازدادت شهيته بلطعم . واما لا اباخ حين اقسول ان
ما كابدناه من الهم والقلق في حلال حوالي ثلاثة اشهر من البرمن قد زال نهائيا
في حلال ثلاثة ايام بفصل العصا السحري الذي جاء به الطبيب الامريكي .

قضينا بضعة ايام في دار اهل ماري في المزرعة ولم اكن اعلم ما كان يخفيه
حكم القدر بعد ذلك ، فبما كنت استعد للعودة الى الوطن مع زوجي وطفلي
بعد ان شفي واستعدا صحتيهما فوجئت بماري تطلب الي بل تنوسل ان
ابقي الي حبيبها بحجة ان الاطباء قرروا ان مناخ العراق لا يوافقها صحيا ،
ولكني ابيت ، واخذ ابواها يضمنان توسلاتهما الي توسلاتها واضمين تحت
تصرفي ثروتهما . فايبت ايضا . وجاء دور الطفل وهو ينصت للحديث
فما درني قائلا : « الى اين تذهب يا (داد) اي يا ابتي ؟ » لماذا لا تبقى معنا ؟
فكان موقعا متيرا جدا وحرجا جدا . . . وكان لا بد من قرار : « البقاء مع الغنى
ومجال العمل » او « العودة الى الوطن مع الكفاح » وهو يعني خسارة زوجي
وولدي ايضا . . . وكان القرار الحاسم « العودة الى الوطن » . وهكذا
كان . فغير ذلك القرار مجربات حياتي كلها وسار بي القدر الى ما انا عليه
اليوم . . . وانا لست بنادم على ما حات ولا على ما احترته في حينه ، وان كان
الحين وانشوق الى تلك الزوج وولدهما يكوياي بنارهما . . . الوطن عزيز
وان جفاك ، وما اجفى حياة المرء في ديار الغربة حتى مع اوفر الظروف المعاشية
المادية .

مرت الايام وتلتها الشهور والسنون وانا اشعر بفراغ بعد ان هجر عني
اعز ما املك في حياتي ، فلم اطلق احتمال العزوبة طويلا محطبت فتاة من عائلة
محاسبة متوسطة الحال لم تتجاوز دراستها الابتدائية . والزواج عندنا (حظ
ونصيب) كما يقال . واما ان يحظى المرء بينت حلال تصعبه طول حياته واما
ان يسوقه القدر الى زوجة تنقص عليه حياته كلها . ولحسن حظي ان ساقني
النصيب الى زوجة صالحة ذات خلق رفيع وتربية اسلامية بيتية فائقة ، كان
زواحي منها يوم ٩ مارت ١٩٣٩ فملأت المراه الذي كنت احس به وزاد تعلق
بعضنا ببعض بمرور الزمن ، غير ان هناك امرا كان ينقص علينا الحياة وهو
اسا قصصا عدة سنوات دون ان نرزق بطفل يرعى الحر اعائلي ويقوي الوشيجة
الزوجية لان المرأة بطبيعتها تشعر بالنقص فيها اذا ما كتب لها ان تكون عقيما
ولكن الحظ قد حالفنا فاستجاب الى مرادنا بعد مرور عشرة اعوام فرزقنا
بأبنة يوم ٢٨ نيسان ١٩٤٩ سميها عاليا ، ثم وزقنا بمولود ذكر يوم ٣٠
حزيران ١٩٥١ فسميها علي واكنفينا والحمد لله بهما وعيننا بتربيتهما كل



التصوير رقم (٥٦) - صورة بيت ماري في الوردية في ٢٢ يوليوس ١٩٥٢

لمدية للمكينة ضمن حدود وضعها المالي الثابت حتى تخرجنا من الكلية .

هذا ما مر بي من أحداث عائلية بعد افراقني من زوجتي الاولى ماري وبنتها ، ولتعد الآن اليهما لنرى ما حل بهما الدهر . فماري صممت على ان تبقى عاسيا وان تعيش مع ابنها رفية لحبها الاول واسانفت عمل التدريس التي كانت تمارسه قبل زواجها وظلت تمارسه ١٣ سنة . وفي غضون ذلك توفي والدها الواحد بعد الآخر . اما جميل فكان يواصل دراسته وقد تجاوز الثامنة عشرة من عمره ففوجئت ذات يوم برسالة منه هذا نصها مترجمة الى العربية :
بنون - ايوا

٢٠ حزيران ١٩٥٢

لدي العزيز (١٠)

انقضى اكثر من شهرين وانا مغلول اليد عن مكاتبتك قارة بانهمساكي في نروسي وتارة اخرى بالاعتلال عما يضمره لنا المستقل ، وقد سبق ان شرحت لك تفاصيل هيامي بغرام «جودي» ومدى تعلقي بها وما نسيناه من امان عذاب بعد ان نتخرج من الكلية حين ينم زواجنا . ولكن شئت الاقدار ان تعاكسني بحملت القنوم نراكم في سماء علاقتنا الغرامية بما وضعه من العراقيل في طريق تحقيق امنيتي .

(١٠) « داد » اصطلاح عامي امريكي يقابل كلمة ابي او ابيتي عندنا .

ولا ادري يا (دادي) كيف ابدا رسائلي هذه ومن اين ابدأها . لاني احس ان يكون وضع الصدمة عيب عليك . لقد تركتني وانا في الثانية من عمري . وقد مر الآن اكثر من ستة عشر عاما على اصرافنا وان أمسي في احياء . اراك وراسي قبل ان يقضي الدهر على "او عليك" كما ان "حودي" يحمل في قلبها ذاك لاميته وهي تدعو من الباري تعالى ان يصفا سمه الحياء منفي شهر العسل في ربوع العراق حيث بغداد مسقط رأسي في كنف عطفك الأبوي .

ولم يبرح من ذاكرتي رعم صغر سني ذلك اليوم الذي تركت انا وامي وانا طفل ابن حولين ابدأك ابوسل اليك ان لا نرحل عنك وكنت نومة ناحودة اليها . وما انا ابن عمدين تقريبا شاء العذر ان يحرمي طينه هذه . سسسين من عطف الوالدين وما رلت اعيش في خلاوة ومرارة تلك التكريات السعيدة والالية . وقد اصبحت الآن في عمرة من الياس والموت من محقق اميتي بالقاء بعد ان احدث قراري الذي ابسطه عليك فيما ياتي :

لا شك في انك سمعت بائدلاع نار الحرب في كوريا وان الولايات المتحدة الامريكية هي التي احدثت العيب الاكبر في هذه الحرب اعروس . وقد اديح علينا نحن الطلاب بيان رسمي يدعونا الى التطوع في سلك الخدمة العسكرية والالتحاق فورا بمعسكرات الجيش الامريكي لتدعي التدريب الارم هناك قبل الاشتراك في المارك الدائرة في كوريا ، وثلية هذه الدعوة او عدمها مقرونة بالاحياء اشخصي لا يحتر عليها الطالب . وقد لى الدعوة عابيه رفاي من طلاب صفي ، ونميت انا في حيرة من امري فكان على ان احمار احدى الطرفين: اما البقاء حيث ان لائم دراسي وانعم رواجي من "جودي" اسي بمسست في حبها او الالتحاق مع رفاي ملييا بقاء الواجب تركا مقيم المسجل الى يد الاسدار وما كنهه انه لنا . وبعد تفكير ملي ومداولة طويله مع نساء اعلامي "حودي" تطلب الشعور بالواجب الوطني برغم حبنا للحياه في كنف الرابطة لروحيه ، فاستمر رأينا من غير اي تردد ان اأخذو حدو اصحابي بالانحراط معهم في سلك الطيران الذي احذته كخرج احتصاصي في تدريسي احسكري . وقد تم تسجيلي فعلا بتاريخ ٢٧ حزيران بعد ان اخبرت المحض البدني كنتطوع بمحض ارادي في الجيش الامريكي لمدة اربع سنوات . وليس هناك من لا يحب الحياة يا والذي العزيز ، خاصه بالنسبة لنا نحن اشباب وانا ما رلنا في معنوا وعودنا نطلع الى المستقبل امامنا ، ميمت طموحا ومصدر امانا وامانينا في العشر الزميد في ظل مدينتنا العظيمة الجبارة . وقد احدث هذا القرار قبل ان استشيرك والاستئذان منك لعلمي الاكيد بان ما مرره ينال رضاك ، وهل برصي ان يقال عن انتك انه جبان ؟ . ولا حاجة لي ان اؤكد لك ، يا والدي العزيز ، اسي لا استطيع ان اسفني عن توحيتهاك الميسرة

وعظمك وارشادك رغم تجاوري السن العابوية لتي تحوسي حريه الاحيار في
شؤوني الشخصية ، وأرجو ان تثق بانتي حريص كل الحرص على الواجب
محتفظ بكل ما تحبه من شريف المبادئ ومكارم الاخلاق ، وان دوما بحاجة
الى عطفك ودعائك .

فاستودعك الله وادعو الباري تعالى ان يمد بعمره ويحفظ حياتي في
مفازتي من اجل المصير والواجب وان يحملك راصيا عني . وادا قصدت الي
الجنة فسأعود اليك والى جودي وسوف نتقي كلبا بين احصاء السعادة
والقاء ، واما ادا ناصتنا الدهر العدا ، وقصص عني فسكون هذا المرق
الاخير الذي لا لقاء بعده ولا رجعة ، وسأحمل ممي في كل مكان صورتك
وصورة جودي رمزا لمودتي ومحبتتي الصادقين لكما ولألقي عليهما آحر نظرة
تل توديع الحياة ان كتب لي ذلك .

ولذلك المطيع (جيم)

وما ان تلوت هذه الرسالة حتى انهمرت الدموع عليها وتارت في نفسي
العاطفة الابوية وصرت أهذي بيني وبين نفسي مرددا قول الشاعر :

امن اجل ان يسلم الواحد

تطل السماء وتفنى الآلوف

ويزرع اولاده الوالد

لنحصدهم شفرات السيوف

امور يعاد بها الناس

وتدعى فؤاد اللبيب الحفيف

فيا ليت شاعري متى نفهم

معاني الحياة واسرارها ؟

واي والد يستطيع ان يملك نفسه ومدامه وهو يرى بام عينه فلذة كبسه
يساق الى الموت وسط حرب ضروس لا ترحم ولا تشفق . . واي ذنب ارتكبه
تلك الأرواح البريئة حتى تساق الى الموت سوق النعاج الى جزاها . . بل
واي جرم اقترفته هذه الالبس المظلمة وقد عمرها حب الحياة حتى تساق
سوق الاغنام الى ميدان الفصال لتبقي حتمها او لتصاب بجرح خطير يقمدها
طول العمر . . واي ذنب جناه أولئك الشبان وهم في عنوان شبابهم حتى
يقادون الى آبن الوغى . . فما أقسى الانسان على بني جنسه . . فحتى الوحوش
الضارية لا تفترس الا اذا جاعت ، وهي لا تقدم على اعتراس اصنائها من
جنسها . . فلانسان ادن اخرى منها واشرس ولا يحق له ان يدعي لنفسه

اسمى على الحيوان في بصره هذا ، اد احد بسجده عمله وادراكه في
الفتن بكيفية زهاق روح ابيه الاسنان ويبدل كل جهده وطامه في اكتشاف
وصنع انوى الوسائل منكا كحصه بني حقه بالجملة . . ان تاريخ الانسانية
منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا تاريخ اسود منى بحوادث الصراع الدامي
والظلم اعادر ، ان هو الا بصره مستسنة لا نهايه لها من الفزو والقتل
والاخصاع والاستعباد والحقد والظلم . . . وهل من يستطيع ان يغير طبيعة
البشر هذه بالاملاخ عن المحارر والمصارع الانسانية ٠٩

اما جميل فبعد ان بعث برسائله المتقدمة انقطعت عنا اخباره فشرة من
الرمز . وقد كبت اتوقع بين لحظة واخرى تسلم خبر نعيه لما كان معرض له
الطيارون من الاخطار نتيجة اسقاط طائراهم من الجو . وفيما كست ارقب
ساعي البريد والتقيته اخذ منى ماخذه واذا برسالة تصلني من اليابان
وهي معنونة بخط جميل وكانت مبشرة بالاطمئنان ، ففضضت الرسالة وقد
كانت قصيرة لا تتجاوز بصمة سطور ينبت فيها انه على احسن حال وانه قدم
الى ايبان مع بعض رفاهه لعشاء فمره استجمام فيها ، كما افاد فيها انه
ارسل الينا رزمة تحوي على بعض الهدايا من اليابان ، وقد تسلمنا الرزمة
فعلا بعد بصمة ايام فكانت تحوي على رداء من النوع الذي يلبس فوق اشياب
وهو رداء حريري في منهي الجمال لما كان يحتوي عليه من نقوش وزخارف
يابانية زاهية الالوان ، وكان مع الرداء هدايا صغيرة اخرى . ثم مر اكثر
من سنتين لم يصلنا شيء عن اخباره حتى فوجئنا ذات يوم برسالة وصلتنا
من امريكا معنونة بخط جميل مما يشير الى انه لا يزال في قيد الحياة .
وقد ابلانا فيها انه اعيد الى امريكا ليقتضي فيها المدة الباقية من السنوات
الاربعة التي تطوع لخدمته فيها ، فاضان بالنا . . وما اصدق قوله تعالى
(قل لن يصيبنا الا ما كتب الله) وقوله تعالى (وسيجعل الله بعد عسر
يسرا) .

وهكذا فقد اراد الله لجميل سلامة العودة فاكمل دراسته بعد تسريحه
من الجيش وتزوج من حبيبته جودي ورزق منها ولد في ٢٣ تموز ١٩٦٨
اسماه « جفري » عمره الآن اكثر من سبع سنوات . وهو يعيش مع امه
وروحه وولده على مزرعة العائلة حيث يقوم بادارتها .
والآن وقد ادركني حسم هذا الحقل فخير ما احتم به قصة مصممي العراصة
وعلاقني المائلية مصرا عن ذكريات الماضي قول الشاعر :

يا زمان الحب قد ولي الشيباب
وتواري العمر كالظل الضئيل
وانمعي الماضي كسطر من كتاب
خطه الوهم على الطرس البليل



التصوير رقم (٥٨) -

جيفري سوسمان وهو في الثالثة والنصف من عمره .



التصوير رقم (٥٧) -

فيصل جميل وزوجته «جودي»



التصوير رقم (٥٩) -

في لقاء بين فيصل جميل
وزوجته عالية عندما كانت
تقيم حفلة في أمريكا سنة
١٩٦٠

الملحق الاول

دراسة مقارنة بين الاسلام والمسيحية

الاسلام والنصرانية (١)

عن الانكليزية - مقال وضعه المؤلف في سنة ١٩٢٩
اثناء دراسته في جامعة شيكاغو الامريكية

(يلوح اننا نحن المسيحيين متصفون بهذا العجز الذي لا يطيق التسامح
من يشق عن مبادئنا الدينية ، فقديما كنا نحرق من حالنا في معتقدنا .
يوم فيما نرى من سلب الحرية الدينية لانفسنا في الغرب فانا لم نفتح
المنظر الى كافة الاديان والاجناس بنظر التسامح والرحب الذي
مناد به الاسلام)

(كلير برايس في كتابه « نهضة تركيا »)

ملخص البحث :-

(١) المقدمة (٢) الاسلام والنصرانية (٣) الاسلام وتعدد الزوجات
.. الاسلام وكيفية انتشاره (٥) الاسلام والاصلاح (٦) ملاحظات وخلاصة

المقدمة

كان قد اعمل شأن الاسلام في العصر العليلى الماضية ولم تذكر الأمم
مربية خطورته الا في سني الحرب العالمية بحيث اضطرت الدول الكبرى اذ
لا الى الاعتراف بخطورته فحسب بل السعي الى حطبه وده واجتثاثه
رجابهم ، فتلك الشعوب التي كانت تعتبر جاهلة متأخرة وليست حليقة

كان قد انشئ هذا المقال اصلا في اللغة الانكليزية من قبل المؤلف وذلك اثناء دراسته
بموضوع « مقارنة الاديان » في جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة في سنة ١٩٢٩ على يد
استاذ اللاهوت المعروف وهو الدكتور هيدن وقد ترجمه الى العربية حلمرة السيد وهبي
وفيق الترجمة في وزارة الاقتصاد والمواصلات وان النص المنشور في هذا الكتاب هو النص
بعد ان وقع من قبل المؤلف نفسه ، وبود المؤلف بهذا الصدد ان يعبر عن شكره وامتنانه
الى الترجمة التي كان الشجع المباشر لنشر المقال في اللغة العربية ، وكان المؤلف قد
قدم المقال الى الاستاذ هيدن مع كتاب وجهه اليه اليك معه اثناء :-

جامعة شيكاغو في ٢٢ آب ١٩٢٩

فرزي الدكتور هيدن :

بعد ان قضيت عدة سنوات في هذه البلاد وبعد ان ابيع لي الانعقاد بسبع جامعات
دالية في مختلف ولايات الاتحاد الامريكي اتي اشرف للمرة الاولى بانني حر للتعبير عن

الا يان تحكم قد استيقظت من سباتها العميق ثائرة على الظلم والامساحاد
ولصحة قلبها وروحها في مطالبتها للحرية والاستقلال والمدر والاعتراف
بكيانها ، فما هي الافغان تتمتع بمزية الاعتراف بها كأمة اسلامية مستقلة ،
أما تركيا فليست تتمتع بهذه المزية فحسب بل انها طردت العوذ الاجبي الذي
كان متغلظا فيها الى الاعماق مدى عصور ، وما هي دي مصر في طريقها الى
الاستقلال التام وقد اقلحت ايران في تقويض هيبة الاجاب غير انها مع ذلك
لم تفتحها قيمة المشورة الغربية المخلصة فاقبعت تتلمسها على ايدي امريكا ،
وهو ذا موطن ألف ليلة وليلة فان الاظار متجهة اليه وقد يكون مكمنا
لسيادة مجيئة في المستقبل القريب . ان ديار العرب هي مهد لاعظم لمدييات
وهي تناضل اليوم من أجل كيانها كأمة عربية تستمد قوتها وسلطانها من
قلب الجزيرة العربية وليس بعيد أن يأتي يوم يحدث فيه التدخل الغربي
الطامع حافزا لتأليف مصلحة مشتركة تكون من العوة بمكن بحيث توجد
اتحادا من الامم لاسلامية ضد الاستغلال والاستثمار الاوروبي بالرغم من
الخلافات الكثيرة فيما بينها الآن في أمور اللغة والثقافة والمركز الحضاري وذلك

► أداني في المقال الذي القمه لكم مع كتابي هذا ، وذلك لما وجدته في شخصكم من مسحة
التفكير وبعد النظر والتسامح ، فلي وطيد الثقة بأنكم ستنتظرون الى ما في المقال بطور
واسع خال من التحيز والانتقاص ،

ولعلمكم نقولون من مجرى البحث في المقال بأنني مسلم فأحفظكم عليها بأنني حسب مسلما
واني قد نظرت الى البحث دون التحيز الى جهة ما وانما قد حافظت على واجب سرد
الحقيقة والانتصاف حسب ما تراءى لي من نتيجة تنقيبي ودراسي .

المخلص لكم

وقد يتساءل القارئ من الداعي لتوجيه مثل هذا الكتاب وبه الحق في ذلك الا اذا
تصور الوضع في الولايات المتحدة ، فان الكنائس وجميعيات البشر امسره في امريكا
قد جطبت عامة الامريكان يعتقدون بان الاسلام هو مثال الضلال وشي من الوثنية وعليه
فمن يظهر حقيقة الاسلام او يكتب عن حقيقة امره فاول شيء يخطر على بال الامريكي
انه مسلم .

— واما الاستاذ هيجن فقد اعاد المقال الى المؤلف مع مطالته التالية عليه :-

« اني لاقد روح التفاهم والتسامح ، انه مقال مفيد ، »

ولا بغرب من البال ان هذا المقال كتب أصلا في اللغة الانكليزية وفي بلاد عربية للعادى
الامريكي مع مراعاة تاثيرات المحيط وذلك بالاستشهاد بما دونه الغربيون احصاهم في
الموضوع . وعليه فلو كان المؤلف يكتب هذا المقال في اللغة العربية لكان حرره في غير هذا
النائب والاسلوب . هذا كما ان لا يفتى ان المقال قد كتب في امريكا كرسالة مطلوب
تقديمها من قبل كل تلميذ قبل انتهاء السورة التدريسية وقد كانت مصادر المطالعة كلها
كتب اجنبية لكتاب غربيين .

إن المصالح المشتركة يمكن أن تؤلف وحدة حتى بين العناصر المعادية بعضها بعض كما أنها قد تدر الخلاف والخصام بين أشخاص وجماعات كانوا ولا على ود مقیم .

وعليه فلا غرابة فيما نجد من اتجاه الانظار وبذل الاهتمام الزائد في دراسة الاسلام خلال السنوات القلائل الماضية ، وليس قليلا عند الكتب التي صدرت حديثا عن هذا الموضوع ومصدق ذلك ما قاله المستر جون موت في هذا الباب بكلماته التالية :-

« في الواقع إن اهتمام المسيحيين يتجه اليوم نحو الاسلام اتجاهها لم يسبق له مثيل منذ غارة المسلمين على أوروبا وإن موقف اتباع الدين الاسلامي وسرهم لهما تأثير حيوي على علاقات البشر من الساحة الدولية والجسسية من ثم على سلام العالم . » وإن العالم ليلفت الآن الى الورا الى ذات البقعة التي تورعت فيها الروحية والرسالة التمدنية لتكون حافزا مباشرا لتكوين النية الطيبة والتفاهم بين المسلم والمسيحي ، بين الشرق والغرب ، ومن المؤكد ان في هذا الامر خطورة جوهرية للسير في سبيل السلام العالمي ، وبهذا الصدد يقول الدكتور جاسترو في كتابه « المسألة الشرقية وحلها » ما يلي :

« لم تنته الحرب بعد ، كلا ولن تنته ما لم تحسم المسألة الشرقية وأنه ليس ادعاء طائشا ان نقول بوجود اعتبار المئتين وخمسين مليونا من اتباع محمد (ص) قوة كبرى يجب مصافاتها قبل ان يكون في اوسع حل المسألة الشرقية . ان العالم الاسلامي اليوم برمته في غليان شديد وثمة انقلاب هائل يجري الآن على قدم وساق وسيتمخض عن نتيجة لا بد ان تؤثر على البشر كافة . »

وغالبا ما سمعنا من منابر الكنائس كما قرأنا في افتتاحيات الصحف لا سيما في امريكا وبالاخص خلال فترة الكفاح العالمي وهي الفترة التي بلغت بها الدعاية اقصى ذراها ان المسلم متوحش بربري وأنه يدبغ المسيحي ودينه السلب والنهب ولاغتصاب وإن دينه دين قوة وسفك دماء وهكذا فإن الرأي العام الذي بنى معلوماته على هذه الاقوال أخذ يطالب بوجود استئصال قوة الاسلام وأنه يجب أن يجرد من مزية الحكم وأخيرا فإن « تركيا العاجزة عن قيامها بواجبها الانساني يجب أن تخرج من قائمة الأمم . » ذلك هو الرأي العام الاميريكي وهو ما يزال رأي الكثيرين ممن لم يبصروا نور الحقيقة بعد .

هذا وإن الاعتقاد في كون الاسلام عقيدة زائفة وإن مؤسسه دجال قد نال درجة من الرواج لدى عامة القراء الاميريكيين بحيث يظهر انه أصبح من الصعوبة بمكان بيع كتب أدبية تحبذ الاسلام أو بالحري تذكر عنه الواقع الحق .

ان امرآن الذي كان قد ترجمه « سيل » الى اللغة الانكليزية قد اصدر حديثا بطبعة جديدة من قبل شركه « برت » بيد ان مقدمته لمهيديه التي دمجها براع « سيل » ، المدمجة مع استرجعه الاصلية قد حددت بالمره وحل محلها في الطلعة الصادره اخيرا مقال بعنوان « حياة محمد » بقلم (فردريك ماينون كوبر) . ونمة دليل كاف ليقين بان الدافع الذي ادى الى هذا التعبير مرتبط بفرض الكسب التجاري والرواج لان المقال الجديد اندي كسبه المستر كوبر احتوى على اسطورة دارجة مما يرويه خصوم الاسلام عن الديانة المحمدية . ولقد اطلق المستر كوبر بقلمه العنان وكتب ما شاء ان يكتب في محاولة البرهنة (وهو ما عجز عنه في الواقع) على ان محمدا (ص) دجال وقاس وشهير وان قرآنه تزوير واصبح بحيث انه لم يذكر فعلا اي شيء عن الموضوع الرئيسي الذي يشير اليه في عنوان مقاله . ولقد كتب المستر كوبر ما كتب بصفته كاتباً لكي يشبع شهوة الداتية ويسجل رايه المتحامل الا انه لم ينجز اي شيء جدير بالالتفات اذ ان معالجة موضوع ما بروح غير نزيهة وغير مجودة عن العرض والتحيز لم تبق ثمة اية قيمة ادبية تاريخية للبحث ، واني احيل ها كتبه المستر كوبر الى الواقفين على دراسة الاسلام ليحكموا انفسهم في امر تحيز الرجل في بحثه . واقول انه ربما لا توجد كلمات قيلت في هذه المناسبة افضل من الكلمات التالية حول سوء استعمال اللغة من قبل بعض رجال العلم اذ قيل :-

« اذا اراد اي امرئ ان يتامل الاحطاء والارتباك والفضوض والاعطال التي تنشر في العالم عن طريقة اساءة استعمال الكلام فسيجد سببا للشك فيما اذا كانت اللغة - على قدر ما يتعلق الامر بطريقة استعمالها - قد ساهمت في تحسين المعارف بين الجنس البشري ام في تاخيرها الى الورا . »

وليس بين المظلمين على الديانة الاسلامية من يقرأ مقال المستر كوبر دون ان ترسم على شفثيه ابتسامة استخيرية ، وهذا المقال على كونه يحمل عنوان « حياة محمد » فان مضامينه لا تحتوي في الواقع على اية حقيقة تاريخية بل لا تنطرق فعلا الى البحث في تاريخ حياة محمد الذي يعرفه المطبع ، ونقد ذهب الكاتب براهيه المتحامل المنصب على طول الخط ومن ثم فقد بنى افتراضه على ان محمداً دجال وشهير وان « لله اقامه لارهاب الجنس البشري وادعاه على الشر والسوء . » وانه لمن الميسور ان يسي المرء فرضاً او اعتقاداً به ان الجراح الحقيقي اما يكون في مجال التحقيق والاستشهاد والتدليل ففي هذا المجال كان نصيب الكاتب الاخفاق التام .

ولكي يدلل المستر كوبر على افتراضه فقد ركن الى الاساطير والخزعبلات التي يرويها خصوم الاسلام ولكن هذه الروايات لا تقع غير الجاهل بشؤون الاسلام والذين لم يتفوا على حقيقته ، هذا ويدعي الكاتب ايضاً ان الاسلام

عمر جدير بأن يسمى ديناً وقد ذهب إلى أن الإسلام في طريق الانحلال ومن المؤكد أن هذا الزعم وحده كفيلاً بأن يقدم دليلاً كافياً على نقص معلومات المستر كوبر من الناحية التاريخية لموضوعه وجهله الحقائق المؤسسة لآله لو سئى له أن يدرك كم هو عدد المسلمين الذين نصرروا وأصبحوا مسيحيين وذلك بمراجعة تاريخ نشاط وأعمال البعثات التبشيرية في الاقطار الإسلامية لاتصح له بكل تأكيد خطأ مدعياته . ومن الغريب أن المستر كوبر جاء بأمر كون محمد (ص) أقدم من الأرملة العنيفة حديجة دليلاً للحط من شأن نبي الإسلام وللمبرهنة على أنه دجال فقد قال :

« لو لم تكن مرامي الدجال الطموحة بالنسبة له لتحل محل كل شيء آخر لما كان من المرجح أن يصرن بأمراء بكره اثني عشر عاماً بيد أن ثرونها الطائلة فتحت أمام عييه الأفاق المنهج للوصول إلى حضي نمار أعذب رعباته . » وهكذا يعود المستر كوبر فيظهر نقصاً في معلوماته عن تاريخ حياة محمد . لأن التاريخ يسؤنا أن محمداً صحى بكل شيء من أجل رسالته إذ أتيت له مرات فرصة الاختيار بين أمرين أولهما حياة راحة وهناء وعسى على أن يسعد أجليه وثانيهما حياة عسر واضطهاد مفروبه بنشر رسالته وقد فضل الأمر الثاني لأن إيمانه برسالته كان قوياً وكان قد أوحى إليه بأنه قد أحياه ربه لبث هذه الرسالة إلى الأبدية حمداً فكان ما أراد الله له .

وعلى أساس مثل هذه التلفيقات التي تشر على الدوام وتلقى على مسامع الجهلاء فقد صار الإسلام بعد دأبه ينقل إلى ذهن عامة الأميركيين فكرة الشريرة والفسوة والجهل بغض النظر عن كلمة « الأتراك » التي لا يفهم الأميركي منها سوى التجرد عن البشرية والحياة ، ولم يمض زمن بعيد حيثما احتج عدد من الرعايا الأميركيين ذوي المكانة على تصريحات المستر كوليدج فيما يخص الموافقة على دخول السفير التركي إلى الولايات المتحدة وقد بني احتجاجهم بصورة رئيسية على الادعاء العائل بأن السفير المذكور ساهم في المذابح الأرمنية في تركيا وعلى أن الأتراك يجب ألا تعترف بهم حكومة الولايات المتحدة بالنظر لما ارتكبه من الجرائم ضد الإنسانية . أن وفاة تأمل وأمعان حول هذا الموضوع كفيته بأن تفهم المحتجين بأن « المسؤولية الكبرى عن وضع الأرمن الحالي يجب أن تقع على عاتق الدول الكبرى (٢) وأن الجيش العثماني النظامي كان بريثاً كل البراءة من مذابح الأرمن . ولقد نجوحت الحقيقة جهلاً تاماً وهي أن ألمانيا المسيحية كانت تسيطر على دفة البلاد التركية والقوات العسكرية هناك والتي كان في يدما حياة الأتراك وحياة الأرمن على السواء

كان في وسعها بدون أدنى صعوبة الحيلولة دون تلك الكارثة وليلاحظ كذلك أن الاتراك قد ذبحوا على أيدي الأرمن بذات القسوة والطاعة التي دبح فيها الآخرون على أيدي الأولين ويقول الدورد كردن بهذا الصدد :

« لا بد من الاعتراف والجزم بأن الأرمن خلال أسابيع ١٩٢٠ لم يتصرفوا تصرف الحمل البريء كما يتوهم بعض أساس إذ أنهم في الواقع قاموا بسلسلة من الهجمات الوحشية واثبتوا على أنهم قوم متعطشين إلى الدماء . »

ومن المهم أن نلاحظ هنا لو راجعنا تاريخ قيام وسقوط الامبراطورية العثمانية لوجدنا أنه حينما كان المسيحيون يقومون بالمذابح كانت أعمالهم تنعت بمجرد الظفر والاصفار إلا أنه من الجهة الأخرى حينما كانت ذات الطريقة تجري على أيدي مسلمين معدت تكون المذابح مذابح حقيقية بالحرف والمعنى ، وحيث أن المجدر في كلا الوجهين ليست سوى أبادره البارز للطفر فإن المسيحيين كانوا على الدوام بمسجاة من بهمة القسوة والعطاسة وكانوا يهناؤن على ما نالوه من انتصار في حين كان الاتراك يلصقون ويهيمون بأنهم ارتكبوا جرائم بربرية . ومي جرائم تقع مسؤوليتها على عاتق المدعين أنفسهم في أغلب الأحيان . أن فكرة الاصعاء التي جانب واحد فقط في المسألة التركيه قد عبر عنها المأجور بأول تعبيراً رائعاً إذ قال :-

« اننا نستنكر الاتراك ونحن في ذلك محقون كل الحق وذلك لما ارتكبوه من المذابح تجاه الأرمن واليونان نسين الآلاف التي لا تحصى من الاتراك الذين ذبحوا على أيدي الأرمن واليونانيين في آسيا الصغرى وعلى أيدي الأرمن والروس في القوقاز واليونانيين واللبانيين في البانيا وكريه واليونانيين والصربيين والبلغاريين في ماكدونيا وتراقيا والحقيقة هي أن الشعب الأميركي قد ضللت وأعمت بصيرته دعاية ضد الاتراك تأمرت فيها الصحف ومنابر الكنائس دعاية بدر أن تصاهي في وقاحة الكذب ومهارة السمويه والنصليل ، ويا لها من دعاية منظمة توفر فيها القدر والمحاته وأسفل الدعاة عن طريقها مصبنا الجسي والديني بحيث سلمنا بها دون تمحيص موقنين أن التركي هو كل ما نعنه به أعداؤه . » (٣)

الاسلام والنصرانية

من الواضح لكل من وقف على مبادئ الاسلام ان معظم ما قيل عن الديانة الاسلامية من قبل رجال الدين العربيين مبني على الأغلب على العاصفة وبكاد لا يوجد دليل لاثبات وجود أي اتجاه للركون إلى الحقائق في مجال التاريخ

(٣) عن كتاب « الكفاح من أجل السيادة في آسيا الاسلامية » للألفه أي . ١ . ١ . باول .

إسلامي . أن الإسلام دينه شرفيه وكذا المسيحية ، وفي الواقع فهناك على مدى غير بعيد من الزمن التي كان المصري ينفي فيها عذات بجينه وقد النى العربي مباحاً زمانه التي سمعته بل التي لاسمائه حمقاء . واما ٢ يرال الكثيرون ممن يحنون بعالم محمد الاساسيه - وذهب سبجه بمصر الى سدها التعصب وعنها لمرص منسكين بانكره ان الاسلام هو الوثنيه على صعيد واحد على الغرب فان الحميه المائنه هي ان لاسمائه يطلق بحراره وبها بلاعراف في انديان اسسحيه واسهوريه وانه في اسيا على قاعده اموحد وعنده انه رب لجميع ، وانه في النسخه تضمن هذه القاعده سردا مسهب لحيه محمد وانديانه التي انزلت عليه حيث تقتصر على موحز من لقول وقد يكون ، فصل خلاصه ما كتبه اسر ريجارد برتون في كلامه عن محمد اد نقول :

« انه لشاب ذو سبب بيل وكومسي الرسول والمشرع الاسر لثني فانه اشهد عوده عن طريق الاسطر والوحده ولأمل فقد كان جبل حيره له يشابه جبل حوريب (حربه) لموسي وكان يفكر بفكيرا قويا رائد ولقد كان سيد الفصاحة وبلاده وكنسبه نراهه بعب الامين فكنسه سجاياه لسميه ان يفتري بالارمله اعليه ، وبعد مصي زمن طويل من التأمل وقد اسهب عصفا من جراء تعصب اليهود الديني لسحب وحرافات انصاري من السوريين والعرب وعنده الاصنام الاقصاد من عواظنيه عرم وهو المنهيب حماسة - وانه روح كبيرة كم تكن محمسه وزنه - على اصلاح هايك المقدس لثني جعله اوحى الالهي والايما امرأ مررب لدى بعلا ، ومججها مصرا لدى السوفة ولقد يرد لجماعة من افريانه ودي قسسه كرسول برل عليه الرحي والالهام . »

فيما حلا الثالث وبعض نقط ثانوية ان الاسلام يعرف بالصره وسبه ريجل الاسفار المسيحيه وكذلك ايهودية مع انه يوضح بعض الحريف فيها . كلا من انصرايه والاسلام مبني على ذات المبدأ ايجلين وهو كسبون اله حائق الكون ولا يحدون الا في كوب الاولى تتصور زمر العربي ششخص بالله وهكذا تسمر بالاسان الى مسوى لاله في حين ان اناسي برن الاسمان التي اصعب المرامب باسميه التي خافه رافعا سمر الاله الى مستوي لا بهاني غير محدود « اله اكبر ، لا اله الا الله » هكذا يقول المسلم . ان الثاوث الذي يلمح الى وجود بشر الهي وقربى لله قريه لاواصر من المرء تربل في اعتقاد المسلم العقاب الشرعي ويكون مهدها بالصرورة ان الانسان يجب ان لا يؤدي حسابا عما يحبه يده ، ولا يد ان بشير بهذا الصدد الى اننا اذا راجعنا تاريخ بلدة بوسون الاميريكية لوحدنا انه كانت في وقت من الاوقات جماعة من المسيحيين تدعى بالاتيوميين الذين ادعوا ان المسيحي لا يمكن ان يرتكب مكررا او جريمة وانه يجب ان يكون بمسحاة من القايون وطائله العقاب،

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ عَمَلَهُ قُضَاهُ ۖ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۖ

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ عَمَلَهُ قُضَاهُ ۖ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۖ

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ عَمَلَهُ قُضَاهُ ۖ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۖ

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ عَمَلَهُ قُضَاهُ ۖ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۖ

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ عَمَلَهُ قُضَاهُ ۖ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۖ

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ عَمَلَهُ قُضَاهُ ۖ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۖ

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ عَمَلَهُ قُضَاهُ ۖ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۖ

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ عَمَلَهُ قُضَاهُ ۖ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۖ

لا يرضى بالتعصب لسبب اندي انصفت به بعينه لأدين وأنه لا يوصي
بالخط من كرامه اللبح كما ادخل في عقد الكثير من الناس ٢٠٠٤ ومصدان
دنت ما ذكره الفيلسوف الأشهر توماس كارلنل حول علانية الاسلام
بالمسيحية حيث قال :-

« نحن صميم الاسلام ضرباً من النصرانية ولو نظرنا الى ما كان في سرعه
الى القلوب وشده امزجه بالنعوس واحتلاطه بالندماء في مروق الانسا انه
كان حيرا من تلك النصرانية التي كانت ... في ... وسبر
... لاقدار و ... تلك النصرانية التي كذب هدمع براس بصيصه
الكاذبه وترك انصب بطلانها قفراً عيباً !! وعلى كل حال فلنا ان نكره
ان دس محمد هذا سر من النصرانية وانه لمبصرين شرف معاني الروحانية
واعلاها فاعربوا له فلهذا ولا تبجسوه حقه ولقد مضى عنه مثنان وانف عام
وصو الدين بنويم ولصراط السقيم بحسن انهم وما زال يوق ذلك دينا
بومن به امله من حبات ائندهم ولا احسب ان انه من انصارى اعصموا
بديهم اعصام المسلمين باسملائهم » (كذب لا بطلان مؤلفه توماس
كار لاين) *

وختاماً دعنا ندون ادناه ما ذكره الدكتور ماركس دورس حول جبي
الاسلام ورسائله اد قال :-

« ايس محمد نبياً ؟ من المؤكد ان له انبي من اهم الخصائص المؤهنة
سبوه ، فمعه رأى الحقيقة عن الله - تلك الحقيقة التي لم يرها اصحابه -
واقد ان به دفع داعي لا يقوم في سبيل نشر هذه الحقيقة - أم فسا
بص السحبة الثانية فلمحمد ان يقارن بأشجع لا بطل من اسياء سمرائيل
، منس الحقيقة غامر بحبانه وقسي اضطهاداً مسديماً سنوات عديدة ،
ثم اق مرارة البقي وصنيع ما يملكه وحسن معاملة مواصيه وبعه اصدقائه ،
ومصوري الكلام فبعد قاسي ما يفسيه من داف صوب الأذم حلا نبوت الذي
ثم سحو منه الا بفراره ، ومع ذلك فما نك يشر برسائله ولم يسكته
اي وعيد او رشوة او اعراء ومما قاله :-

« وانه لو وضعوا الشمس في يميني وامر في يساري على ان اترك هذا
الأمر حتى يصهره له أو أميت فيه ما تركته » (ميوس ، موس لاسلام) .

الاسلام وتعدد الزوجات

هناك عدد من الالهامات التي يتجدها حصوم الاسلام دريمه لوفهمهم
العدائي ون ارر هذه الالهامات هي نصية تعدد الزوجات في الاسلام ، ولا
رانا نحاحه بالسياسات في شرح حانه الخبرة العربية في الوقت الذي ظهر فيه

الشي الإسلامي حذرا رساله الى شعبه ، ونصح لمن يحملون فكرة صححه مصادره عن المحقق وظروف انان بشر الدعوة الإسلامية أن أصلة احدث دولة المتخذ من بيل الشي العربي في مجال الاصلاح الاجتماعي ولأدبي لا سكرس التفرغ في تقديرها ، ونكفي بالاحتراز دون أنطرق الى التفصيل فمقول به حسبنا أن نذكر في هذه العجدة بعضا من العادات التي حرّمها الإسلام كتصحية البشر وتعدد الزوجات غير المحدّد وشرب الخمر والفقر والقسوة في معاملة العبيد وراد السنات .

لا حرم أن هذه العادات كانت مسخري مجرّها دون ما يعرض لو لم يظهر راعي الصحراء ، شي العربي الذي وضع حياته على مديح الاصلاح والتوير فقد المي عادة الزوج بأرمه الأب و بالأثرياء بعريين وذك بقوله عدي -

« حرمت عليكم ميثانكم وسانكم وأخوانكم وعماتكم وبنات لأح وبنات لأحت واميثانكم اللاني ارضعكم وأخوانكم من الرضاعة وأميّات تسانكم وربانكم اللاني في حجركم من سسانكم اللاني دخلتم بهن من لم يكنوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحنانل أبنانكم ، الذين من أصلانكم وبن جمعوا بين لأحتين إلا ما قد سلف ن الله كان عفورا رحيماً » (سورة النساء) (٤) -

ستنتج من هذه الآية الكريمة أن عادات بني حرمت فيها كانت متبعة في الجزيرة العربية كمر معتد قبل أن يضع محمد لها حدا . وأن من صحر الأمور الأخرى التي قصي عليها 'رسول' هي عادة تعدد الزوج أي زواج المرأة بعدد من الأزواج بني كانت في انتشار واسع فقد بيل عن إحدى النساء المسماة 'أم شريفة' أنها 'ماتت بأحدّها أربعين بعلا' ، ولقد كانت المرأة في ديار العرب قديما محص متع مجرد ذكرها أمر مستهجن . هكذا كان الوضع حينما برز سائق أحمال العربي على المسرح ناشرا بحبه وحقا انه قد وضع مقام المرأة في آسيا من وضع اثناع الحفير الى مرتبة الشخص المحترم الذي له الحق في احياة حية محترمه كما أن له الحق في أن يملك ويرث المال قال توماس كادلایل :-

« وقد قيل وكتب كثيرا في شهرة الدين الإسلامي واري كل ما قيل وكتب جورا وطما أن الذي أباحه محمد مما نحرمة المسيحية لم يكن من نلها نفسه وما كان جاريا متعا لدى العرب من قديم الأزل وقد قيل محمد هذه الأشياء جهده وجعل عليها من الحدود ما كان في امكانه أن يجعل » .

(٤) وما يجدر بالذكر في هذا الصدد أن الديانة اليهودية لا تحرم الزواج ببنات الأخ أو بنات الأخ .

ولنعد الآن الى قضية تعدد الزوجات فنقول ان الاسلام في الحقيقة يبيع هذا التعدد ولكنه قد حدد عدد الزوجات بأربع على شرط العدل مع تفضيل الزوجة الواحدة مجرد الخوف من عدم العدل وفي الوقت نفسه التاكيد بان العدل غير مستطاع وعليه فان تعدد الزوجات في الاسلام قد حلل على طريق الاستثناء ونوجب قيود أوجب مراعاتها ، ولا يغرب عن البال بأن تعدد الزوجات كان أمرا محبدا ان لم يكن ضروريا عندئذ في الوقت الذي كان معظم المؤمنين يستشهدون في اقتل عدا الاوبئة والثورات لني كانت تحصد الكثير منهم ، لذا فقد أمنت إباحة تعدد الزوجات لعالة الأرامس من النساء مع أطفالهن كما أنها كفلت استبقاء الجنس وهو أمر حيوي لأمن بقاء الرجال المطلوب في حياة البداوة المحفوفة بشظف المشى وعسره .

وعدا ذلك فقد صارت المجتمع من بني البغي والمجور وقد قال اسحق تير بهذا الصدد :

« وإذا قلنا بمضار تعدد الزوجات فانا نرى لها منافع تفوق تلك المضار لانها ازالنا واد البسات ومنحت كل أنى حصى شرعيا تخلصت بها المسالاد الاسلامية من الحرف المقتوة التي خزيها في المسيحية اشد وأكثر من تعداد الزوجات - فيا حندا تعداد الزوجات المنتظم في البلاد الاسلامية فانه أقل اذاعة للنساء وأكثر حصانة للرجال من البغي والمجور الذي هو حري عطيم على البلاد المسيحية وهذا البغي غير معروف لدى الامة الاسلامية فهل والحالة هذه يمكن لبغاة الانكيز ان يرشقوا المحصنين الاسلاميين بحجارة الطس والمسلم فلنخرج الحر أولا من اعيننا قبل ان نخرج القذى من عين اخواننا . »

ومما يدل على ان الاسلام هو دين أبدي قد انزل لكل وقت ومكان نجد ان عادة تعدد الزوجات لم تعد تتبع في كثير من الاسحاء لاسلامية الا ما ندر وقل ذلك لسبب التطور الذي طرأ في حياة معظم الجماعات بحيث جعل العسر الاقتصادي والظروف الحالية تعدد الزوجات متعذرا تطبيقه وبكلمة اصح ان المؤمن أصبح غير قادر على أن يعدل فيما اذا اتخذ له أكثر من زوجة فاعتصم امتثالا لكلامه تعالى بعدم تجاوز الواحد ، هذا وإذا دققنا كم هي السبب المثوية من المؤمنين بالدين لاسلامي الذين يطبقون عادة تعدد الزوجات في الوقت الحاضر نجد فعلا انها نسبة جد قليلة واشد ما يكون هذا التطبيق برورا في الانظار البائية حيث لم يدخل الا تغيير بسيط في نظم حو لماسي الذي هم فيه الآن يحيون .

ومن اقريب أن في البلاد المنحدية (ونصي بالتمدينة لبلاد التي اقيمت الحضارة المادية الحديثة) التي أصبح من المتعذر على المسلم وفقا بتعاليم القرآن تطبيق عادة تعدد الزوجات فيها لسبب حياة المدنية المرتبكة الحالية

وعدم امكانه احدى نجد اتباع الطائفة المعروفة بصانعة « المودعون » وهم عربون يعيشون في وسط المدينة العرصة الجديدة لا يزالون يمارسون عده تعدد الزوجات وليك ما يقوله المبحر ناول في هذا الباب د يرى :-

« ان عادة تعدد الزوجات لا يطبقها اكثر من اربعة في المائة من مجموع النفوس في تركيا الاسلامية في حين ان في الوقت نفسه نقرا بكل هدوء ودون ما استغرب حول ممارسة ابراهيم ويعقوب وسليمان وآخرين من انبياء التوراة هذه العادة أو البعض من ملوك المال وأقطابه الاميركيين الذين قد اعدوا لهم مؤسسات خاصة لسائهم العديدة بصورة لا تختلف عن تطبيق عبادة تعدد الزوجات في سوى عدم مشروعيتها وكونها تجري وراء السعار ، ومن المهم ان نلاحظ بهذا الصدد ان عادة تعدد الزوجات لم تمنح في الولايات المتحدة الاميركية الا بعد ما يقارب القرن بعد الثورة وكانت تمارس في مدينة « يوتا » ولاية قبل زمن قليل جدا ، وحيثما توفي احد الوجهاء المشهورين من « يوتا » منذ مدة ليست ببعيدة جلست سافو الاربع بجانب نعشه اثناء اجراء مراسيم الدفن »

لقد كان من الضروري ان يعتمد قوم يعيشون في مثل مناخ الصحراء حيث تقصر مدة البلوغ وفي كل نظام اجتماعي يبطوي على حروب مستمرة يتعرض معظم السكان الذكور فيه الى الموت على ممارسة عبادة تعدد الزوجات لكي يتسنى لهم محافظة الجنس وحينما حدث التطور الهائل في القسم من هذا المحيط غابت هذا غير ممكن ، ويروي عن نابليون قوله « ان محمدا كان اول مشرع شرقي حارب فرض قيد على تعدد الزوجات اذ انه حقيقة يجب وضعها نصب الاعين » وقد عزا السر ريجارد برتون في كتابه « الاسلام » ممارسة تعدد الزوجات وتعدد الازواج الى العمل الجغرافي ، وقد عبر تعبيراً رائعاً عن استنكاره الشديد للخطا الشائع القائل بان الاسلام دين شهوة اذ قال :- « من الصعب التوصل الى معرفة كيفية حصول هذا التقدير المتساهل من الخطا ولا ارى تعليلاً لحصول ذلك غير الجهل المطبق وربما كان هذا الاستنتاج الشرير انفسه قد بني على الزعم ان حنة المسلم حنة شهوة وعليه فلا حد لشهوانية المسلم في هذا العالم ، ومن الممكن ايضا ان العناصر التي لا تتزوج بغير امرأة واحدة والتي تقطر الاصقاع الشمالية - لان الرواج بزوج واحدة وتعدد الازواج والزوجات من الامور التي تتحكم فيها لجغرافية - قد صدمهم اباحة الاقتران بأربع زوجات الا انهم قد اغفلوا - لدى تفسير سنة محمد - الحفود الدقيقة التي اودعها فيها نبياً يخص حياة الترف والشهوة ، اذ ليس للمسلم ان ياخذ لنفسه زوجة واحدة ما لم يكن قادراً على اعانها واكسائها وارصائها وعليه ان يعامل افراد لبيت بصورة يشغل فيها عدم التحزب الصارم متحاشياً بكل دقة ان يظهر اي افضلية في غير محلها الواحد على الآخر ولقد

أبيع له الاقتران بأربع زوجات معه في أن يزيد في عدد أفراد بيئته ويصاعفها ، أن الرجل العاطل في المحيط الحار والذي يتدرج نحو سن البلوغ والنضوج مبكراً ويفقد القوى التي نظريه على سوء التصرف فيها عاجلاً لئلا يكون قادراً على تكوين أسرة كبيرة إذا كان بعلاً لزوجته واحدة يجب أن يكون شأنه شأن اليهود فيخول مبدا تعدد الزوجات ويصبح صلاحية الطلاق ، أن هذه الصلاحيات ضرورية لزيادة الجنس البشري في الشرق وليس ثمة دين يستطيع أن يضمن شريعة يكون من شأنها كبح جماح ذلك المكثرات الطبيعي الذي هو أساس كل تعلم ومدنية . وإذا ضربنا صمغاً عن هذه الاعتبارات هل في وسعنا أن نرمي بالشمهوانية ديناً يحظر على الرجل النظر إلى تمثال أو صورة ويندد بتعاطي المسكرات حتى إذا كانت على أبسطها ، هذا الدين الذي يحتم على معتنقيه أداء الصلاة خمس مرات في اليوم في كافة المواسم ، في الأفراح والاحزان ، والمرض والصحة ، هذا النظام الذي يفرض إعطاء الزكاة بصورة غير منقطعة ويحرم الربى كيفما كان ولدي عابياً ما يصح صيامه السوي بحرية من أصرم التجارب التي يتعرض لها الإنسان ، ذلك الدين الذي يحتم بصورة الزامية حج البيت القصي بكافة متاعبه ومصاعبه مرة واحدة في الحياة على الأقل والذي نادى نبيه كما نادى مؤسس المسيحية قائلاً « القفر محري » والذي علم أتباعه موضحاً لهم أن أمرين يفران الإنسان وهما الثراء البطر والكلام الكثير ، على أولئك الذين يعرفون الاسلام معرفة جيدة أن يرثوا خمره التنسك والتقصي التي يطوي عليها هذا الدين بدلاً من أن يرممهم بالشمهوانية . »

الاسلام وكيفية انتشاره

لم يكن ثمة تحامل بين خصوم الاسلام اشد شيوعاً من الاتهام الباطل القائل بأن الاسلام دين قوة وازعاج ، هكذا كانت استنتاجات معظم علماء اللاهوت الغربيين ولا يزالون مستميرين على بثها بالرغم من كونها ادعاءات سخيفة لا يفرها الواقع ، وانهم ليجزمون أيضاً بأن العرب يهودون الشدة وإن نبيهم جعل الصف امراً قدسياً ، وثمة ادعاء آخر ذلك ان حركة محمد برمتها كانت مشربة بالروح العسكرية .

القوة ١٠ . أجل . ولكن أية قوة كان في وسعها ان تعجدي لشخص محاط بالآلاف المؤلفة لمقاومته ؟ هي القوة التي اكسبت محمداً نصره الأبدي ٠٠١ لا ورثي ، فما كانت القوة التي صمنت نجاح محمد في بث دعوته ، والادعاء بخلاف ذلك هو باطل وتلفيق وعمدوان ٠٠٠ نظرة فيما يدونه التاريخ والتاريخ بالحقائق عليم وبالاختلاف هو الحكم المعني ١٠ نظرة الى اتباع محمد وهم يتجشمون وعناء السر الى الحبشة لقضية لتخليص أنفسهم وحتى في ذلك المكان القصي طالمت قريني باستردادهم ٠٠١ لا ، فلا القوة ولا العنف

كأما سر انتشار الدين الاسلامي ولقد كان صدق دين محمد وليس شيء آخر سوى قوة ذلك الصدق الذي اثر في نفس نجاشي الحبشة فجعله يرمي والدموع في عييه تسليم المنفيين المحمديين . ولنتصور محمداً نفسه مختفياً في المار مصحوباً بابي بكر ثلاثة أيام عجاف ينبعه المطاردون من قريش لارهاق روحه ولما ان بلغ القريشيون النار قال أبو بكر وقد اخذ منه احواف ماخذه : « لسنا إلا اثنين » فأجابته محمد : « هنالك ثالث انه الله نفسه . » ولنتصور محمداً وحيداً مزدري به وقد رميت العراقيل في طريقه مرجوماً بالحجارة كلما مر حقاً ان محمداً ليس مديناً بطهره الى السيف ولكن لا جرم انه مدين بذلك الى صدق رسالته والى سمو رائدته . وليس لما الا ان نجزم ان الجيوش كانت واسطة التقدم ولكن بعد كل ذلك فان محمداً لم يرغم احداً من اهل الكتاب على اعتناق دينه ولقد كن يسمح للاقوام المهضومة ان تنتخب أي الأمرين أما دين محمد أو أداء جزية معينة وفي حالة اختيار هذه الاقوام الأمر انشائي فابها كانت تمنح مطلق الحرية في العبادة . وعملاً قد منع استعمال الارغام في سبيل الهداية الى الدين الاسلامي في القرآن الكريم وذلك بقوله تعالى :- « لا إكراه في الدين » .

والآن فلنسال هل طوت المسيحية كشعاً عن الركوب الى الحسام حيسا آتتها الفرصة على ذلك ؟ لا شك في ان الجوب بالسلب ! ونضيف الى ذلك انها حينما منحت لها هذه الفرصة خابت في الرهنة على ان المسيحيين هم اكثر كرماً ورحمة بالاسلام من هؤلاء باولئك . ان البابا اوريان الثاني لدى اثاره اتباعه على خوض المعارك ضد الاسلام كان يقول لهم : « اذا كان لكم ان تريقوا الدماء فاعسلوا ايديكم في دماء الكفار ، اني مكلمكم بشدة لأن مركزي يرغمي على ذلك . أي جنود جهنم كونوا جنود الله احي . » تلك هي التماثيل العسكرية المسيحية ازاء رسالة محمد التي تنطوي على وحبو مراعاة الرفق في القتال حتى مع عبدة الاصنام . ولا أدري كيف تعلل اعداء الاسلام ادعاءاتهم الباطلة ومفترياتهم السخيفة حينما بقرون العنف والقوة الفاشمة الى الدين الاسلامي وكان الأخرى بهم ان يراجعوا ما صرح به مؤسس المسيحية حيث قال :-

« ما جئت لألقي سلاماً على الارض بل سيفاً » (عاشر متي ٢٤)
« وهل توقف موسى من وضع السلاح بأيدي قومه ؟ فقد صادق المشرع الاسرائيلي الكبير على اراقة دم النساء والاطفال من اليسرى حدرا ، وحتى الملوك بترت رؤوسهم جهاراً . ان هذه الفظائع كلها حرمها محمد بكل صرامة ولم يكتف بذلك بل حرم حتى استعمال الارغام ولشدة في سبيل الهداية الى الدين الاسلامي وقد كان الدين تحت سطوته وحمايته في غير المسلسلي

يدفعون جزية ضئيلة فيسمح لهم بحرية العبادة كما تنص عليه شريعتهم .
فضلا عن ذلك فلو كان السي قد اسكر هذا النظام احدى لشر دعايته بعد
السيف لما ترك وراءه تلك الاسفار الحادة التي كان من السهل ان تصبح
طماشا للشار بعد موته . كلا ! لقد كان ابرحل كموسى يعتقد بكل صمد
وابمان بانه يطفى بوحى من الله . » (كتاب اليهود والاسلام لمؤلفه اسير
ريچارد برتون ص ٣٣٢)

ولا بد ان نقول بهذا الصدد بانه لو كان الاسلام دين سيف وقوة لأباح
مؤسسه ذبح اليهود والصارى الذين كانوا يمشون في دائرة نفوذه . بيد
ان التاريخ يشهد انه في الوقت الذي كان المسيحيون آخذين بحقائهم بعضهم
البعض مصرفين الى اضطهاد احوالهم المسيحيين وبينما كان اليهود مصطهدين
في المجتمع النصراني كان محمد نبي الاسلام يبيع لمير المسلمين حرية العبادة
في وقت كانت له فيه من القوة والسطا ما يمكنه من ارفعهم على التصل
من عقيدتهم واعتناق دينه . فهل يمكن ان يعد مثل هذا التسامح جورا ؟
الم يكن في وسع محمد ان يعمل السيف في رقاب اليهود الذين قاوموه مادي
ومعنويا ؟ الم يكن قادرا على اضطهاد اليهود والصارى وحريض اتباعه
ضدهم ؟ نرانا في عني عن ان يجيب على هذا السؤال اذ معا لا ريب فيه على
الاطلاق انه كان في وسع محمد ان يضع مثل هذا العمل موضع التنفيذ بكل
سهولة بيد ان شهادته وكرم اخلاقه وعلو نفسه وتسامحه - كل هذه العوامل
كانت من القوة بحيث تكفي للتحكم من تصرفاته .

ويسود المستر كوبر فيحاول في مقاله « حياة محمد » الملصع عنه آفعا
اقناع قرائه في كون الاسلام دين سيف بقوله : «

« ان الوعاظ المسلمين ما زالوا معنادين على القاء مواعظهم على الناس
وعلى يمينهم سيف لا لكي يكون رمزا للكيفية التي نشر فيها ذلك الدين
فحسب بل لكي يكون نذيرا بما سيتوقعه كل من تحدته نفسه في الارتداد
عن دين محمد او النكول عن الدفاع دونه وان لمثل هذا التهديد يعود افضل
في انتشار الدين الاسلامي المرامي الاطراف وبفائه الطويل الأمد اذ لا يجرا
احد على التبرا منه دون ان يصح نصب عيني الموت في افطح صوره . »

والظاهر ان المستر كوبر يجهل كون الاسلام كالعقيدة البروتستانية ليس
له وعاظ بالمعنى الذي يعرفه المسيحيون ، وان المسلمين في علاقاتهم مع بعضهم
البعض ليسوا متساوين دون ان يمتاز احدى عن الآخر بشي فحسب بل انهم
يمشون كاخوان في شكل خاص من الحياة الديمقراطية بحيث ليس لهذه الحياة
مثيل في اي نظام ديني آخر ، ومن الأمور الطبيعية ان يذهب المسلم او
المسيحي الى الحرب حاملا سيفه الى جنبه ولا سيما في ذلك العهد العصيب

الذي كانت الحياة فيه مهددة من كل النواحي فقد كان على المسلم ان يحصل سيفه دوماً ، وعلى قدر ما نستطيع ان نراه نقول ان رعم المستر كوبر لا ثبتت الا كون المسلمين لم ينسوا إلههم حتى في حروبهم مما يدل على تعلقهم في دينهم وإيمانهم به إيماناً لا يزغزعه غير الموت ، وعليه فقد اثبت المستر كوبر في زعمه هذا عصيئة للإسلام الا وهي ادله العبادة الى الله حتى في وقت القتال ، ومن الواضح ان المستر كوبر هذا يجهل انه لم يسبق ان اقبل قوم على عقيدته ما شغف شديد كما اقبل المسلمون على الدين الاسلامي اذ لا شيء سوى الموت في وسعه جعل المسلم على هجر عقيدته ، وسو كان المسلمون قد اسلموا بحكم السيف فلم لم ينفلبوا نصارى حينما غزا هؤلاء بلادهم ولم لم يعضوا ايديهم عن الاسلامية ولم آثروا الموت على الارتداد عنها حينما ابحت لهم فرص كثيرة هذا فيما اذا صدق قول المستر كوبر بانهم اعتنوا الدين الاسلامي على حد السيف . كلا ! ان اتباع محمد قد اعتنوا الدين الاسلامي عن طيبة خاطر وهم أشد اخلاصاً وبقاياً وحصوعاً لعقيدة نبيهم العربي من اتباع أي دين آخر ، وهذا امر يمكن تحقيقه بسهولة من قبل من احكوا بالحياة الاسلامية . ان في الاسلام قوة وهذه القوة ليست السيف بل انها صدق لعقيدة وشدة الايمان بها واحال انه ليس ثمة من قسم جواباً عن هذه النقطة اقرب الى الحقيقة من توماس كارلايل حيث قال :-

« ما اكثر ما قيل في شأن نشر محمد دينه بالسيف غير ان اذا جعل الناس ذلك دليلاً على صدق دين ما او بطلانه عشد ما اخطاروا وثاروا بهم يقولون ما كان الدين الاسلامي لينشر لولا السيف ولكن ما هو الذي اوجد السيف ؟ هو قوة ذلك الدين وانه حق ، والرأي لجديده اول ما ينشأ يكون في رأس رجل واحد فالذي يعتقده هو فرد - فرد ضد العالم اجمع فاداً تناول هذا الفرد سيباً وقام في وجه الدنيا فلا يجديده قليلاً ، وارى على العموم ان الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تفضيه الحال ، او بم ترون ان النصرانية كانت لا تاف ان تستحتم السيف احياناً وحسبكم ما فعل شارلمان يقبائل المكسون وان لا احفل اكان انتشار الحق بالسيف او باللسان أم بأية آلة اخرى فلندع الحقائق نشر سلطانها بالحطابة او بالصحافة او بالسار لدعها تكافح وتجاهد بايديها وارجلها واطامرها فانها لن تطرح بشيء لا يستحق الطمر به وليس في طاقاتها قط ان تقني ما هو خير منها بل ما هو اخط وادنى فقط والصبيحة في هذا الكفاح الأعظم تكون الحكم والقول الفصل دون ان نخطئ ، او تنحرف الى المحاباة والممرك ان المذهب الذي تتأصل جذوره وبورق مروع في الطبيعة ذلك الذي نسميه الحقيقة انما هو وهو وحده الذي يبقى نامياً ذاكياً . »

وحتماً نورد بهذا الصدد حادثة تاريخية تعود بنا الى تاريخ عهد

النهضة الاسلاميه فتوضح لنا شهامة المسلمين وما انصف به الاسلام من الفضائل وحسن الية في فتوحاته وذلك انه حينما فتح الحليقة عمر القدس عام ٦٣٧ بعد الميلاد لم يحدث ان دمرت اية املاك او اموال ولا اريق دماء خارج مساحة المعركة والحركات العسكرية خلال الحصار فمي ابا الفتح وبمعن كان السلم ناشرا رواقه على المدينة المقدسه ولقد شوهدت مظاهر اواصر الصداقة والتفاهم بين المسلمين والمسيحيين خلال المحادثات اودية بين الخليفة الظاهر والبطريرق حول تاريخ المدينة حينما كان الاثنان يتجهان نحوها ، ولقول ان البطريرق دعى عمرا ابي الصلاة في كنيسة القيامة بيد ان هذا رفض هذه الدعوة خشية ان يتخذ احلافه هذا الامر حقا مكتسبا وبذلك يكون قد هددوا حرية العبادة التي كان يحرس على صمدتها للسكان . هكذا كانت العلاقات بين المسيحيين والاسلام حينما سقطت الارض المقدسة لأول مرة بيد المسلمين اعانحين . ومن المهم ان يلاحظ المرء بهذه المناسبة ان لغاليد التي تفضي بان يكون حارس باب كنيسة اعيانة محمديا يعود الى ايام فتح المدينة المقدسة على يد عمر وذلك تذكارا لشهامته وفيل غايته حينما ابقي على حياة السكان وصان كنيسة القيامة من العطب والدمار ، ولما ان استسلمت القدس عام ١٩١٧ الى الجنرال الالبي بعد مضي ١٢ قرنا اصاب الجنرال الظاهر الى منشوره فقرة تتضمن تخويل المسلمين الدين توارثوا حراسة الكنيسة ابا عن جد حق الاستمرار على مزاولة هذه الحرامه وذلك اعترافا منه بشهامة عمر .

ومما يبرهن على كون المسيحيين اقل مراعاة للواجب الانساني هو ابحاثهم كل منكر في المدينة المقدسة حينما انصروا على المسلمين وانتزعوا سلطتهم منها وذلك انه عندما هاجم الصليبيون تلك المدينة عام (١٠٩٩) واحتلوها اباحوا السلب والنهب والقتل بما في ذلك قتل النساء واطفال الملة ثلاثة ايام بلياليها ودبح ٧٠٠٠٠ من المسلمين اسشهد عشرة آلاف منهم في جامع عمر نفسه ، وما هو الا زمن قصير حتى دار العلك دوره وقلب للصليبيين ظهر الحق وفادرو القدس واصبحت تحت رحمة صلاح الدين عام (١١٨٧) . فهل عند الظاهر الى الانتقام لا كلا ل قد كانت شهامة عمر سراسا لاعماله فقد اناح الحرية للاسرى بعد ان استوفى منهم اجزية وسمح للصاري الامرنسج بمعادرة المدينة دون ان يلحق بهم ضررا كما سمح للصاري الشرفيين بالبقاء والسكنى فيها بسلام وطمانية فساد في لمدينة جو السلام والصفاء (٥) هذه هي

(٥) وما يجدر بالذكر بهذا الصدد انه بعد فزوة خير طلب اليهود من النبي محمد (ص) ارجاع صصالهم المقدسة فامر بتسليمها لهم وذلك لما لهذه الصلح من الكانة العالية في نفس الرسول بخلاف ما حدث في عهد الرومان حين فتحوا بيت المقدس سنة ٧٠م ففقد

حقيقة لا يمكن نكرانها ولكن العربي المتعصب يسجّل شهامة الاسلام وسموه
ونضائله . ان الاسلام ارفع من أن يمت من قبل المتعصبين المعرّضين بالقسوة
والصف منه بالعكس نصير الضعيف والري، وقد أوصى القرآن بوجوب لرفق
بغير المحاربين اذ قال :

« لا ينهاكم الله من الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم
ان تسروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » (سورة المتحنة) .
فك هو روح هذا الدين ان الذي كثيرا ما روح عنه العص انه دس السيف .
والى صميرك ووجدانك ايها القاري، يرجع الحكم وحكم نفسك وانصف وان
الله يحب المتصفين . »

الاسلام والتقدم

ما اكثر ما قيل وكذب حول تعاليم الاسلام وكونها تعرض أي تطمور أو
تقدم وكون الاسلام دس ركود وحمود . هكذا كان رأي معظم حصوم الاسلام
وما زال كذلك ، ولو كانت الفكرة صادقة لما شاهد العالم بفساد معكرو
الاسلام الى شيع عديدة كل بها رايها الخاص كما لا شك ان العالم لم يكن
لينساعد الاصلاحات اجاروه التي ادخلت في العالم الاسلامي خلال العشرين
سنة الماضية واما لنجد معايير شائعة « كالعالم الاسلامي الحديد » « والعالم
الاسلامي اليوم » والى ما هالك من العناوين المشابهة كلها تؤيد وجود التقدم
والتطور في دائرة الادب الاسلامي ، فاذا كانت الحال كذلك فهل يمكن أن
يكون الاسلام منافيا أو معاكسا لمجرى التقدم ؟

ومن الكتاب من يذهب الى أحد من هذا فيدعون ان الاسلام والجهل على
صعيد واحد والاثني صلة وثيقة ويقول الدكتور بارتون بعليقا على هذا الزعم:
« لو كان هذا حقا اذن لوجب علينا ان لا نتوقع غير تأثير نافع على المسالم
الاسلامي من جراء حدوث الاحتكاك مع المدنية الغربية وان الحقيقة الواقعة هي
ان ثمة اصلاح وتطور بارزين قد طرا في العالم الاسلامي لا يمكن نكرانها سيما
في هذا العصر . »

ان ما الصق بمبي الاسلام بانه بشر بركود الفكر ولم يقلل التطور والرفق
حجة مردودة تنقصها احاديثه اثاثورة عنه واليك بعضها ادناه :-
« من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة »
« اطلبوا العلم من المهد الى المجد . »

احرفوا الكتب المقدسة وداسوها بارجلهم وقد حذا حيلهم التصاري في الاندلس حيث
انقلوا صحت النوراء ايها ولا ريب في ان القاريء ليقدر اليون بين سلك الداهيين
من التصاري وسيرة رسول الاسلام .

« طلب العلم لريضة على كل مسلم ومسلمة »

« اطلبوا العلم ولو بالصين »

« الحكمة ضالة المؤمن يضلها أينما وجدها »

هذا وإن القرآن الكريم قد ايد ذلك اد جاء بعوله تعالى : « وما اولتم من العلم الا قليلا » « وقل رب زدني علما » . وادل على ذلك قول الامم علي بن ابي طالب « علموا اولادكم علوما غير علومكم فانهم خلقوا برمان غير زمانكم » .

فهل يمكن ان يكون دين يادي لرفقانه ورسوله بمثل هذا البلاغ دين جهل وجمود ؟ وان ثمة احاديث اخرى كثيرة تعزى الى محمد وكلها بوضوح صجة وسندا للحسم البازع الى التقدم . ان اللفة التي يديرها اسلم العصري بحر العلوم والثورة الهائجة صد محمود واجهل والخراوات واطما لى الصوم العصرية ان هذه الظواهر التي تبدو لبعين ابوم في طول العالم لاسلامي وعرضه ليست سوى دليل واضح على ان الاسلام يفضل الاصلاح وانتقم بل انه يميل الى الانحراط والسرد في مجال الهوس وانسوير .

لقد جاء الاسلام بنربة خصصة للاصلاح وانسمع وكما قال حودا بوحش « ان المسلم غير معيد في اتحاد كلما هو مسجس من اية مدية وان كفة الاديان متماثلة في مبادئها الاساسية ويس في تعاليم محمد ما سامى مع اتحد والسدن الحديث » . وختاما يحس في هذا المقام ان بورد ملاحظات اندكور بارتون الذي يقول :-

« ان الاسلام الجيل الاخير يدخل حياة جديدة وثمة ثورات اجتماعية ودينية وثقافية قائمة على قدم وساق في العالم لاسلامي وهذه الحركة اوسع مدى وارصى اساسا من اي حركة دينية ماثلة منذ حركة الاصلاح الديني في اوروبا » .

ملاحظات وخلاصة

وقصارى الكلام لنا ان نقول انه لا يوجد دليل على ان العالم الاسلامي يكافح المبادئ المسيحية الجوهرية او انه يحقت العقيدة لمسيحية بل انه بالعكس يحرمها احتراما وقبرا ، وقد برهن الاسلام على سامع وتسامح ديني بجاء لمسيحية واليهودية لم يسن لها مثل في تاريخ الديانات اشربية وذلك بالرغم من الموقف العدائي الذي اتخذته الديانتان المذكورتان بجه الاسلام . ان ما يستنكره الاسلام هو غير المسيحية وفي الحقيقة انه يناوى الشكل الجديد للمسيحية - تلك المسيحية التي تطورت للائمة رغبة الغربي في ممارسة مختلف شروء المجتمع الحديث ، لقد خابت اوروبا المسيحية في اظهار دليل يبرهن على كونها راعت حور المبادئ المسيحية في معامتها للمسلم

الاسلامي ونزانا في عنى عن ان نستعرض ذكريات الحوادث التاريخية بين المسلم والمسيحي وانا لنشير الى الادوار التي لعبتها الدول الغربية على مسرح السياسة اذ ليس قليلا هو عدد المرات التي سارت فيها قوات المسلمين والمسيحيين جنبا الى جنب كحلفاء أمناء ضد جيوش مسيحية معادية ، ولقد استعمل الدين آلة للدعابة واثارة الرأي العام ضد المسلمين حينما كانت الضرورة تتطلب تغيير سياسة انتقامهم أو التحالف مع الدول المسلمة .

وفي اواقع ان المسألة ليست مسألة دين .. ان ما يحاربه الاسلام هو الروح الاستعمارية الفاشية وليست المسيحية . ان المسيحية دين شرقي وان الاسلام يعترف بهذه المسيحية الاصلية كما ورد وصفها في القرآن الكريم واما المسيحية التي حورت وادخل عليها كثير من التحريف والتعاليم لكي تلائم الارضاع السياسية والنفسية الغربية فهي هذه التي لا يفر بها الاسلام . ويجدر بنا ان نشير بهذا الصدد الى ما ذكره (المعمر له) جلالة الملك فيصل حينما سئل عن رايه في رجال السياسة المصريين فقال :-

« انهم كالصود الزيتية المصرية يجب ان يعلقوا في القاعات ويحرقوا بهم من بعيد . » (١) ذلك هو راي مسلم عربي قح - مسلم مؤمن لكن لكي يكون مخلصا لليهود وصادقا للمواثيق - في المخالفة المسيحية المصرية .

وعلى كل فان المسيحية قد حرقت للائمة الاطماع الاستعمارية وتبرير الادعاءات كادعاء (الحق للقوة) و (اخضاع الضعيف من عمل الطبيعة) و (الابيض النورديك هو السيد السامي) الخ .. ان الألوان كالانفس والاصود والاصفر والاسمر لم تكن معروفة لانواع المسيح الاولين ومع ذلك فانك تراها في انجيل المسيحية الحالية . ولنا ان نقول بهذا الصدد بان مبادئ الحب والأخوة التي تنادي بها المسيحية في بعض تعاليمها والتي لم تعتمد حدود النظريات ينفذها الاسلام بالفعل وبكل دقة . ان الاسلام لا يعرف جنسا أو لونا وكل المسلمين سواء غنيهم وفقيرهم ابيضهم واسودهم كلهم متساوون نظريا وعمليا . ان الروح الديمقراطية الحقبة التي حاول العالم المتقدمين تقريرها فحساب داخلية في صلب الاسلام ومرعية من قبل المسلمين . ونورد فيما يلي انتقادا لقاضي مسلم في بنغال بشأن المسيحية المصرية لد قال :-

« نحن لا نعترف بان المسيحية المصرية المطلاة بفلسفة اليونان تمثل الدين الذي بشر به المسيح ونرى ان الاسلام يمثل المسيحية العمة ، انا لا اعتقد

أن المسيح الذي عاش مع الملاحين وصيادي الأسماك جاء بأي تلميح يرد اتباع التعريف والريثة المحمّية في العبادة المسيحية العصرية بما يتبعها من ديول خداعه تحير العقول وتحول القلب عن عبادة الله لا كبر - (٧٥)

لقد أساء معظم علماء اللاهوت الغربيين تعريف الإسلام وهذا ما يؤسف له لأن ذات الرجال الذين تقع على عاتقهم مسؤولية نقل الصدق قد انحسروا في توجيه الرأي العام شطر وجهة نظر خيالية خداعة غير حقيقية عن الإسلام . ولقد نسبت إلى بعثات التبشير اقتراف أخطاء عديدة أصابها جهلها الأديان الشرقية والظهور بمظهر التفوق والكبرياء وفي الواقع قليلون هم الغربيون الذين عاشوا عيشة شرعية ودرسوا الحياة الإسلامية درساً واقعياً ولم يهرسوا عن تقديرهم وتعظيمهم للمبادئ الإسلامية .

أن ما يحتاجه العالم هو ذلك الصنف من الرجال ذوو الفكر الواسع وبعد نظر الدين يحملون استعداداً لمعالجة الموضوع بروح غير معجزة أو مفرضة ونكريس حياتهم من أجل خدمة الإنسانية - تلكم الخدمة الصادقة التي تنطوي على التفاهم المبادل والتعاون الأخوي في سبيل إظهار الحق والجميلة . فلنكن يسود السلام والتفاهم بين الناس يجب أن يفهموا بعضهم بعضاً . أن العالم لينادي رافعاً صوته من أجل لسلام ولكننا نفض النظر مهملين أفضل طريقة للتقارب أن لم تكن الطريقة المرصية الوحيدة ، فما أكبر الخدمة التي لي وسع كبار الوعاظ استدأها إلى البشرية لو أنهم استغلوا نشاطهم رفصاحتهم في بث أنجيل التفاهم والأخوة وإظهار فضائل الديانات الأخرى بدلا من أن يوجهوا عنايتهم ويبدلوا كل ما في استطاعتهم من الجهود في محاولة التأثير على عقول السذج وتهويل أخطاء المذاهب غير المسيحية أمامهم !

لا يمكن إخضاع الإسلام بالقوة لأن للمسلم حياة معصية بالآباء والمتمسك وله ماضٍ مجيد يجعله يفضل الموت على حياة الدل والهوان . وفي الوسع إخضاع المسلم وقهر قوته أما روحه الصميمية وأمانه اثابت وبقيه الصادق فلا تخضع ولا تقهر ، وإن الطريقة الوحيدة للنفاذ إلى روحه واكتساب قلبه هي الثقة والصدق والصراحة . لقد ارتضى المسلم بالإسلام به ديناً وقبل عقيدته الروحية ، فاقبل عليه بصميمية نادرة وشطف نفسي بلغ درجة جعله يصبح مثالا ياهرا للصدق والصميمية والإخلاص . والقليل من الدول من

(٧) ومن الغريب أن بعض الكتاب الغربيين لا ينكرون بأن المسيحية الغربية التي يدن بها الغرب هي غير المسيحية السامية التي يعرفها الشرقي وإن كانت مشتقة منها ويؤمنون هذه الفكرة كتبرير لمزاعمهم وظلومهم في تلويق العناصر الأري وانقطاع صلته بالثرة مع مذهب السامية .

حاول التقرب من المسلمين من هذه التاحية ، فقد فرض الغرب على العربي الأبي وضعا مزرعيا ، فضربوا عاصمة الأمويين التاريخية بالعابل ودمروا عوطتها وحدائقها الذائعة الصيت وقتلوا الأبرياء وأعملوا السلب والنهب في دورها غير المحصنة كما أنهم أدخلوا شرادم اليهود من الصهاينة الى البلاد العربية تحت تهديد الحراب ، وقد استعملوا القوة ضد الفلاح الاناصولي في محاولتهم تجريدته من أرض آباته واعتصابها منه وحرضوا جيرانه المسيحيين ضده لكي يضمتوا مصالحهم ويشجعوا شهواتهم ومطامعهم ، وعلى ذلك فلا مجال للاستخراب اذا رايما الشعوب المسلمة تنضم الى الصفوف المعادية والقائصة بوجه أساليب الدول المسيحية .

وارد ان أعيد ما صرح به المستر ٢٠٠٢ ربي . سميت الذي يقول : « في الحق انه اذا كان للمبشرين المسيحيين أن يفلحوا في كسب المسلمين الى صفوف المسيحية فان عليهم أن يغيروا أساليبهم وذلك لا يكون عن طريق الحط من شأن النبي العربي العظيم ولا باللقاء بنور الشكوك والريبة في رسالته بل عن طريق اداء الاكرام الذي هو به جدير وبيان كيفية تماثل المسيحية والاسلامية لا احتلاهما ... بهذه الطريقة وبها دون سواها تستطيع المسيحية أن تكسب ود الاسلام وليس بمحاولة اكتساحه لان لصدق الذي يحمله في رسالته - وهو كثير - لا يمكن أن يمحي أو يندثر » .

علينا أن نلاحظ في هذه المناسبة ان العالم المسيحي اخذ يدرك أهمية روح التسامح المثرة بالتآزر وبسير البعض من مبشري الاميريكان في حلقة هؤلاء الغربيين لأنهم باتخاذهم سياسة التفاهم والاحترام ازاء الدين الاسلامي قد افلحوا في كسب ثقة العالم الاسلامي ووده . وقد لا يكون ثمة دليل او مثال اصح بيانا لخطة مثل هذه الارساليات الاميريكية من الجامعة الاميريكية في بيروت . وللمرء أن يقول دون ما تردد انه لم يسبق لاية مؤسسة مسيحية ان اكتسبت المودة وحسن الثقة التي تتمتع بها هذه الجامعة في العالم الاسلامي ، علقد كانت منذ نصف قرن مضي منارا لمسلمي آسية الغربية ، سورية والعراق ومصر وفلسطين وايران كانت وما تزال تمتع طلابها الى هذا المعهد وقد تخرج منه معظم الزعماء المنورين الوطنيين . فاية خدمة في وسع العالم المسيحي اسداءها الى المسلم يمكن أن تكون اشد فائدة واقرب الى الانسانية من المهمة التي اخذتها هذه المؤسسة على عاتقها في السنين ١٠

احل . ولكن ماذا عسى ان يفعله التبشير بالمسيحية لشعوب تحاول خلق بر الصبودية المسيحية عن كاهلها ؟ وماذا عسى أن تكون نتائج الجهود شصير شعوب قد لاقت الويلات من هؤلاء الغربيين انذين يسمون أنفسهم مسيحيين في الحقيقة ان المسلم لا يرى في هذه المحاولة - محاولة الشمر بالبدن

المسيحي - الا وسينة لتعليم الحر كيفية الحضور والامتثال ، ومن يؤكد انه لا يفهم منها سوى ان البشرين يحاربون امتنع من يطبع بازجاء مجسمه الامر يقول الذل والوصاعة . هذه امور ادركها الاميريكي الشاب افكر .
لذلك علا غراية اذا كانت رغبته في خدمة البشرية قد دفعته الى اتخاذ سياسة المطف والتفاهم . وارى ان الرحال الذين كرتسوا حياتهم في تنفيذ هذه السياسة منتظرين ما تاتي به الايام من مصير جديرون بشكر عميم من الشربة اذ لا جرم ان ما أدوه من خدمات لبشرية انهم من ان يقارن بأعمال معظم الواعظين الذين يحرقون الأزم والأرم سعيا منهم وراء المناداة بنقائص الإنسان غير المسيحية فاشريين جرائم التحامل والتمصب والمخاطة .

ان جامعة بيروت الاميريكية تحاول - على عكس المؤسسات الاخرى - ان تحصل من الحدث المسلم مسلما صالحا ومن الشبب المحمدي رجلا محلصا لوطنه بصورة خاصة وللانسانية بصورة عامة ، وهي مع بعدها عن أي غرض او نية تطوي على فرض التقاليد او اللغة الاميريكية على تلامذتها ومع بعدها عن التحسس بأي تمصب او تحامل ديني فقد استطاعت ان تنجز في نصف القرن المنصرم المقاصد والغايات الكبرى التي كان في عزم المستر اندرو كارنيجي واضرابه من محبي الخير لبشرية تحقيقها بواسطة الملايين من الدراهم التي اراقوها في مجرى الانسانية .

ومما يبشر بالنفاؤل ان عدة مؤسسات اميريكية في العالم الاسلامي قد احتلت بخطة الجامعة البيروتية واما لنامل من اعماق القلب ان تتخذ الارساليات الغربية الاخرى هذه السياسة في البلاد الاسلامية الشرقية .

وحتاما أقول انني اود ان لا يبرح عن ذهن القارئ ان الاسلام هو آخر دين عالمي عظيم وانه يكون جسر المثل الاعلى للنهضة اروحية يوصل بين العقيدتين الأساسيتين ، اي اليهودية والمسيحية ، فلما كان كذلك فانه يجب ان يعطى للمركز الذي هو به جدير في تاريخ الجنس البشري . ان الاسلام ليدعو الى التسامح والتفاهم ولقد حان الوقت الذي يجب على العالم المسيحي ان يجيب على هذه الدعوة بروح التعاون وحسن الفية . وليس الا بعد ان يتفق المريقان ويلقن المسيحيون المسلمين ان يحيوا كمسلمين صادقين مقدرين للدين الاسلامي حق قدره ويلهم المسلمين المسيحيين لكي يعيشوا كمسيحيين حقيقيين حتى يمكن ان يسود التفاهم والتضامن بين هذين الدينين الرئيسيين .

ان الاسلام بالرغم من اهتمامه القليل بأعمال البشير فانه مع ذلك قد عاش وظل حيا ولن يموت . اما محاولات بعض المسيحيين الرامية الى ستنصاه والقضاء عليه فقد بامت بالفشل والحدلان وان مجرى الحوادث تدل بكل جلاء ان العالم المسيحي يجب ان يقلع عن حصومة الاسلام وان يستبدلها بالصداقة

والتفاهم لكي يتصنى وصنع الحبر الاساسي للعلاقات الودية والوفاق بين الشرق والغرب ، يحمل الاسلام بلاغا ساميا ورسالة مقدسة الى الصراية كما ان هذه تحمل رسالة معترف بها ، فهي طريق التسامح والتفاهم المتبادل وبهذه الطريقة فقط يمكن ان نحل روح الاخوة محل خصومة العقيدة والمذهب .

الملحق الثاني

فلسطين بين العرب والصهاينة

فلسطين بين العرب والصهيويين مقال للمؤلف نشر في جريدة الاحرار البيروتية

بتاريخ ٢٨ آب ١٩٢٠

ما عرف التاريخ في حزيمة العرب ضد ظهور بني الاسلام (ص) مسورا شديدا الاثر كالمشور الوحيد (مشور بغير) ومن عكسه حكومة انكلترا حبا باليهود او مقنا للعرب ، او دوما عما للامبراطورية البريطانية من العرب والاعراض في شرقنا العربي ؟

لا وربي . فما الشعب باليهود ولا الفت للعرب ما دمع انكلترا لاعلان عهد بلفور ؟!

فمن ان انقب صفحات اسديج افول . ان عزم انكلترا لا ان هو حص على ابواب النحور ولا غرو فحياء انكلترا قائمة لي سلطانها على صهر مباء . اذا فمن واجب كل انكليزي وطني ان يصحح نفسه في سبل حفظ سلطانها هذا . واهم ميدانه في النحور المتوسط ، فهو الوحدة العربية في جميع انكلترا بالهند .

وهذا جبل طاري يجمع لارادة انكلترا ، وهكذا قناة السويس . وبعد التعكير نجد ان حفظ قناة السويس يستوجب المص على صاحب من جهة مصر ومن جهة فلسطين وهذا يفسر لنا سبب اندمخ حكومة انكلترا في رسال القوات وانفاق الاموال لانشاء القطار بين مصر وفلسطين والتبص على الاحيرة . فضلا عن ان مباء حيفا مركز حيوي من اهم افلاخ على ساحل بحر المتوسط . فانقبض عليه لا يستهان به سيما وقد كان في بال الانكليز ان مصر هاشبه بسرعة نحو استقلالها .

بالي الآن للجواب عما يتساءل القاريء اراء نمر من انكلترا من اعلان منشور بلفور ، وما أبسط جوابه ! ان انكلترا بحكم الهند الواسعة دور قوات جسيمة ، بحكمها بجرائم المشاحات الطائفية التي سبغ عداء الحمر من ذهب انكلترا ، وهكذا اراد دهاء بريطانيا اعطي ان يعضو على فلسطين بجرائم المشاحنة والقتال بين أبناء العرب والصهيويين وما احدها من فكرة ؟ فان كانت جرائم المشاحات الطائفية في الهند تستند بموها من ذهب انكلترا فجرائم القتال بين اليهود والعرب تستند عداها من ذهب يهود المسالم ، والنتيجة المطلوبة ان يبقى الانكليزي حاكما ما دام هناك مشاحنة واضطراب . اذا فالحركة الصهيونية آلة احدث الانكليز لاعداد منيئتهم ومازهم في شرقنا العربي لا حبا باليهود ولا مقنا للعرب . وكل صهيوي بعد اليوم حديا بريطانيا ، وبه قد صممت انكلترا سلطانها في فلسطين بلا ذهب

ولا جود ، وما أعلنه السير هارود مبعوث بريطانيا في امريكا ايام الاضطرابات في فلسطين السنة الفائتة يؤيد قولي ، فقد أعلن قبول حكومة انكلترا انضمام متطوعين اميركيين من الصهيونيين الى جيش انكلترا لاعادة السلم في فلسطين .

الاحتجاج العربي

يقول العربي « الحق يعلو ولا يعلى عليه » فهذا اس حصاره الأعراب ووحى شعرائهم ! اما مدينة الغرب ويا للأسف فاقول انها قائمة على مبدأ مادي ، مبدأ القوة والمدفع ، « اقوي يعلو ولا يعلى عليه » هذا اس حصاره الغرب التي اضطررنا الظروف ان نحني الرأس امامها ، لما قدم الغربي على العالم الحديد اغتصب أرض الهندي الاميركي ، واستعبد سكان الارض ، ثم اخذ باستئصال نسلهم شيئا فشيئا ، وحجته بصله هذا ان الهندي وحشي والحق للغربي « المتمدن » بأن يستثمر الارض ويستعبد الضعيف وهكذا جاء لانكليزي يريد أرض فلسطين بحجة ادخل مدينة الغرب على سكانها الذين يلقبون بالمناخريين ، وبعد دخوله معروفا يجب ان يشكره عليه ابتداء الغرب قاطبة ، ويا له من معروف جليل !

والاحتجاج العربي اليوم ، لا سيما ايام الاضطراب الفائت اثار الغضب في العرب على بني العرب عامة لما كان من الاذاعات الموهجة ضدهم ، فلا يسمني وانا اكتب هذه السطور الا ان اتقل الى العربية ما نشرته إحدى صحف اميركا في هذا الباب ، قالت :-

« ان واجب الأمة الاميركية ان تعلم بان القتال في جزيرة العرب لم يكن قتالا بين عربي وصهيوني فهو قتال بين همجية ومدنية ، هذا وقد مضى مئات السنين وفلسطين خاضعة الى العربي فلم يكن في خلالها تقدم او حضارة ، ولم نشاهد فلسطين طرائق المدنية الحديثة الا بعد ان دخلها الانكليز وبنو صهيون^(١) من منا انباء اميركا اليوم يؤيد القول بان الغربي استملك أرض الهندي الاميركي بلا حق ولا عدل ؟ »

وهكذا فقد اصبح العربي بين الغرب همجيا يشبه بالهندي الاميركي ، وباسم الخدمة والانسانية امست بلاده الحرة العريقة البيئة المشحونة قيد لرق والاستعباد . الا لقد دنا الاوان لأن يتنهض بنو العرب عامة من سباتهم

(١) يظهر ان كاتب هذه السطور لم ينتبه الى الحقيقة التاريخية بان وجود وتأخر فلسطين وجزيرة العرب كلها لم يكن خضوع هذه البلاد الى العربي ولكن من خضوعها الى الاجنبي فقد كانت خاصة الى الارام الذين اخمدوا فيها روح المدنية العربية وقتلوا نفوس الاعراب العالية .

سرمون للسلا ان اكثر ما للعرب من مدنية وعلوم مسند من منعمل الحضارة العربية الذي اثار الغرب باصواته يوم كان الغربي يتمرع في حبله المظس . ولكن كيف يبرهن على ذلك ؟ نبرهن عليه بتوطيد عرى الاتحاد بين الاعراب على مختلف مذاهبهم باحكام التفاهم بينهم .

حقوق فلسطين ركن من اركان النهضة العربية لهم كل عربي حر . بقطع النظر عن الدين ، قاتل بسو العرب في سبيل تحرير الامة العربية عامة . ولم غاثلوا مقتلاً بالاتراك بل قاتلوا حباً بالاستقلال العربي وارجاع مجد غابر كان اثره المحيد ورنه مردد صداها في العالم بأسره ، قاتل الاعراب في سبيل مبدأ شريف كنهه روح عربية حقة واساسه استقلال عربي نام ، موعده سطور اعتداء على مبدأ الحق والعدل ، اعتداء على الانسانية ، يعاقب اسل المطالب ، هذه اميركا المتعددة تقاوم دحول الاحسي داخل حدودها ، وتطرد الياباني والصيني ، وبحمر اشرفي والهندي ، ورحتها انها امة مستقلة تعمل ضمن حقوقها قبلي حق يربد الغرب اعصاب ارض فلسطين ودحال انقريب اليها ؟ يقولون ان لهم مدينة عظي وهم يقبلون مبدأ الهجي القائم على قدرة اقوي . لا رربي فلا يحق لهم ان يرفعو رؤوسهم فخراً بمدنيتهم الا بعد ان يحترموا حق الضعيف ويكفوا عن اعمال نهمل مبدأ الانسانية والعدل . الحق يعلم ولا يعلى عليه . هذا مبدأ المدينة الحقة ، وما لنا بني اسرب عامة الا ان نرفع رؤوسنا فخراً بأس حضارتنا .

بنو اسرائيل

لبعد الآن الى بني اسرائيل وما ادل من التاريخ ، فلم يلم فيه دليل واضح على ان الاسرائيلي يقبل المعيشة في وطن واحد بين بني جنسه ليؤلف منهم امة قوية متحدة . فهو يشترك بالعواطف والشعور مع بني جنسه ما دام بعيداً عنهم ولكنه لا يكاد يقرب منهم ليعيش واياهم في موطن واحد حتى يفتح الاحتكاك باب مشاحرة موضوعها ملك وثوراء تؤدي الى عدم الوحدة اذا كان هناك وحدة .

اجمع بنو اسرائيل في الازمنة الغابرة فيما مصرى الا القليل بعد انشاء ملكتهم حتى هدمتها الضغينة والشقاق بينهم .

ان الاشتراك في العواطف مبني على الحقن على بني جنسهم وهم محرومو الحرية لا على روح قومية مراحمها انشاء مملكة اسرائيلية متحدة . لم توجد ولن توجد قومية اسرائيلية ليتسنى للمسيحيين احياءها . يوحد الدين الاسرائيلي ، والفرق ولا ريب بين القومية والدين . وادا بحثنا في امر الاسرائيلي العربي منلا فانما نجد انه ولا شك بعيد بعد الثريا عن الثرى من اسرائيل الغرب كما انه قريب من الاعراب بقدر قرب الدار .

اليكم ايها الباطقون بالصناد من اسرائيلي الشرق العربي اوجه الان كلامي
ولست بحاجة الى القول بان الفكرة الصهيونية المشؤومة عدوة لدودة بلهفة
العربية ولاأماي الدول العربية .

وما كان ورثي لأي شخص ولد وترعرع ، عاش وسعد ، تحت سماء العالم
العربي الصافي اجميل مهما كان قد ورثه عن دين آبائه ، ان يحاري القمه
التي تصم رعات آبائه واحداده سطوعه اني حسب اعدائها ، واسا سطر بعين
الامل الى ذلك النهار اندي يقوم فيه اسرائيليو الشرق العربي محشين امام
سطوة انكلترا طالبي تمزيق منشور بدمور والرجوع الى صراط العدل والحق
يرجع السلم والهدوء الى جزيرة العرب .

فلسطين لأهلها تعود ولهم تكون !! قد حول الفريب اليها سجنها تحت
تهديد الحراب وطبا قوميا له يكون كمن يحل على رب الدار يريد اعتصاب
بيته أو مشاركنه في سكنه ، وليت شعري هل من يسم داره دور الدود
والدفاع عنها ؟ هذه حقيقة راحة يجب ان يصادق عليها دور العقول مهما
كانت رعايتهم .

إذا حق للصهيويين ان يطالبوا في فلسطين كوطن قومي ليهود العالم
فالعرب احق بالأندلس وما يتبعها من البلدان التي كانت تحت سلطان العرب
قبل امد طويل .

كل صهيوني يرى موطنه الجديد في فلسطين لا يكون به الا مسكنا مؤقتا
لا وطننا دائما ، وما بنو صهيون سوى مرقاة بريطايا يصعدا الانكليز لبيل
مأربهم في الشرق العربي !

وكلمتي الأخيرة : يا اسرائيلي الشرق العربي : لقد ولتكم بلاد عربية
ثراء طائلا وعيشا هنيئا فاهتفوا بصوت واحد :

« اننا اسرائيليو المولد ولكننا اعراب قبل كل شيء » . قوموا الصهوب
بكل ما وهبتم من نفوذ ، فهي عدوة لدودة لدين الحق والعدل ، واجب على
كل شخص حر عادل ، موسويا كان أو مسيحيًا أو مسلماً ، أن ينطوع
لنكافحتها ، وان الله نصير محبي الحق والعدل .
رحلة (لبنان) في ٢٠ آب سنة ١٩٣٠

ن . ص

الملحق الثالث

القضية الصهيونية والروح العربية

القضية الصهيونية والروح العربية (١) بعث طريف شبق بقلم الدكتور نسيم صوصه

كاتب هذا المقال صاحب منصف ولد من أبوين
يهوديين في بغداد وبعد ما درس العلوم الثانوية فيها
انتقل الى جامعة بيروت فحصل على البكالوريا ودرس
الهندسة ثم سافر بعد ذلك الى الولايات المتحدة
فدرس العلوم القانونية وتخرج من جامعة بكتون بولاية
« دكتور » في علم القانون .

وعاد الى وطنه بغداد بعد اتمام دراسته فعمل
مهندسا في دي العلكة فعكف على دراسة الشريعة
الاسلامية فمال الى الاسلام وما لبث ان استقال
وجاء الى القاهرة للدخول في الدين الاسلامي ودراسة
الشريعة الاسلامية واللغة العربية وديعا اعلن اسلامه
قريبا بعد استبعاد الاجراءات القانونية ، وهذه اولي
مقالاته للرابطة العربية في القضية الصهيونية وقد
درسها دراسة وافية قال :

لولا قضية فلسطين وسياسة بريطانيا الهوجاء اخرقاء فيها صبح لقول
بان صلة العرب ببريطانيا على ما يرام وان البلاد العربية حمقاء نصر في
الطنشان بخطوات واسعة في سبيل تحقيق رعباتها ووضع الاساس لوحدها
النشودة . . ولكن قضية فلسطين شوكة في سبيل هذا التقم وعثرة في طريق
هوض البلاد . . وهنا يساورنا شيء من العجب : « لماذا انكثروا تصبر على
حظها الموجه هذه ؟ » والتفسير لهذا ان السلطات المستعمرة تدرس قس كل
شيء مواطن الصنف في البلاد التي ترغب في بسط نفوذها عليها لاغراض
ميسانية او اقتصادية او عسكرية ثم تبحث عن ضمن لها تشييت سلطاتها في
البلاد وذلك باستغلال المواضع الضعيفة ، ومن سوء حظ فلسطين ان يكون
بسط هذا النموذج مرغوبا فيه من الوجهات الثلاث .

وعند المستعمرين ما يسمونه (رجل الساعة) فان ارادوا ان يحدثوا نزاعا
عمدوا الى المحث عن (رجل الساعة) الذي تتوفر فيه الشروط المطلوبة لتحقيق
ذلك بواسطته ، وان ارادوا ان يحدثوا انحلالا واضطرابا في ادارة البلاد

(١) مقال للمؤلف نشر في مجلة الرابطة العربية لامين سعيد - العدد ٢٥ لسنة ١٩٣٦ ١١ نوفمبر

(تشرين الثاني) ١٩٣٦ ص ٢٠-٢١ والعدد ٢٧ لسنة ١٩٣٦ ٢٥ نوفمبر ١٩٣٦ ص ٢٥-٢٧

(انظر الفقرة ٨ من القسم الاول)

المستوى عليها حاروا (رجال الساعة) الرجال الحرة من أهل البلاد
فولونهم معاليد الحكم لقوة وسفد حططهم الجهلية . وهكذا سسر
تستعمرون أمورهم في البلاد التي برعون في سطر بقودهم فيها على حسب
الاصول (المكيفيه) في الحكم الاستعماري . واني أرى ان انكسرا استعبد
عصبة اليهود ورات في هؤلاء الصهاينة الدس كانوا برعون وهرحون اشد
'وطن القسطنطيني (المرة المطلوبة) وهم عزة ساعة حاربهم بسفد من
أمرائهم ولحقوا عاياتها الاستعمارية في فلسطين بواسطة من ألحقه لأخرى .
سيما وهي تعلم موطن ضعف هذا الشعب وواقعة تمام انقذت على عصبة
العدوية اذنه . فما كان بها الا ان أغلب موافقها على سريخ العبر
الصهيوية في حذنه فلسطين المقدسة ولا حاجة هنا لبيان نتائج ذلك . فالك
علم ما كان وما سيكون حتى يخرج العترة من الحديقة .

وهل يحتاج هذا الدور الذي يلعبه انكسرا على مسرح فلسطين الى حشر؟
فلو لم تكن العبر - وقد أصبحت عراب في حذنه فلسطين - فما هي كن
يبحث انكسرا على اتفاق الملايين على صماء وحما وانفاق انه بين الآخرين على
اشياء التكتات التي سوي اشياءها . وكيف كان يسر لها ما سوية من حصص
فلسطين واشياء المعسكرات الوسعة والمطارات المسيحية واليهودية . فما
العزات الصهيوية في فلسطين!

ان لا اعد ولا يمكن ان يدخل في عقل اي فرد له الملم في شئون السياسة
البرطانية بان الانكسرا يدلو ما يدلوهم من الامس والمال حيا بالصهيود او
بمخاطبة عندهم من الحرب كما يزعمون لان ذلك يخالف الحقيقه ولكن يعلم ان
لانكسرا مصالحها الامبراطورية وهي عندها فوق كل شيء وبصحي كل شيء
في سبيلها .

غير ان ذلك لا يعني ان الانكليز وحدهم هم الذين يلامون على هذه الحقبة
احرقاء والسياسة العوجاء في فلسطين فعلى الصهيويين تقع الموم تكبير وذلك
لصومهم بان يكونوا (عبره الساعة) في تحقيق الغاية الانكسرية الاستعمارية .
وعندي ان هؤلاء يعملهم هذا واصرارهم على ان تكون فلسطين وطنا قوميا لهم
حانوا مادي الاساسية وناغوا صحائرهم ولم يأنهوا لصوت الحق والعدل .

وكثيرا ما انظر بعين الاستفزاز الى اعمال هؤلاء الرعماء الذين انقادوا
لسار المواطنين عرصوا على ذوق الاستعمار البريطاني وهم سكارى بنائير
رحيق ذاك اندماء (دماء جون بول) فحادوا بانفسهم وحرروا وراهم الحشود
والكل يرقصون وراء الزمار مازلين الى جنب المدمرات الانكليزية يقانون العرب
ومن هم العرب! هم اولئك الذين من دون كل الامم اعدوا على بني اسرائيل
الاحسان المرير واكثرنا من تكريم حوارهم فعاثوا تحت ظل الحماية الاسلامية

احبالا وفرونا عديدة في بحبوحة الرغد والشراب .

فباي وجه ايها الصهيوني تقابل العربي صانع الحيل ؟ وكيف تطاوعك
بمسك على الادفاع في علوانك وعروورك لمفاته اصحاب الفصل والحر على سي
جلدتك ١٩

ومن المريب اما نجد الصهاينة ينفون حريا لحطة الاستعمارية الانكليزية
اتى اخطاهم سياسة الانكثير لهم في فلسطين وپرسون بها ويكسون عنها كانهم
يثلون جريدة لسان حال السياسة الانكليزية الاستعمارية - الا وهي توطيد
دعامة الاستعمار البريطاني في فلسطين وفصل هذا البلد العربي المقدس عن
شقيقاته البلدان العربية فضلا عما بحيث يصبح للانكثير وعماهم الصهاينة
اشان في هذا البلد العربي .

ومن ينظر باعماق في نصريح لذكور وبزمن دعيم الصهيونية يوضح له
كيف ان هؤلاء هم الاله الماطقة بلسان انكلترا فقد اعتقت عنهم لعصية
العنصرية الدينية باب التبصر والتروي .

ن ما يراء هذا الزعيم الحق اوحيد لقضية فلسطين هو الناعم بين العرب
واليهود والتعاون للهرض بعسطين فيعيش لمريدين كما يعيش اصنام
المحتلة في بلد واحد كما هو الحال في سويسرا مثلا (كدا) وما اخره من
تنبيه ١٨- ثم يقول : « وهنالك حاة واحدة لحل هذه اسالة وهي شمل
العرب واليهود على السواء - الا وهي ان لا يحكم لا هؤلاء ولا هؤلاء ، وان
لا يحكم احدهما الآخر وذلك بعض اسطر عن عدد الافراد في اي من العريقين »
ويستمر بقوله : « ان العرب اليوم يؤلفون الاكثرية في البلاد ، اما عدا فقد
يكون اليهود الاكثرية » .

والقصد من ذلك طبعا كما لا يخفى على العاري ان يكون العرب واليهود
بح حكم بريطانيا وهذا هو الذي يريده بريطانيا يعمن على لسان موايها .
وما يجدر بالذكر ان ابعض من هؤلاء الصهاينة بل معظم كانهم
واصنامهم يحددون بعض البسطة من اليهود نزعمهم انه ليس بين العرب من
حشكر الصهيونية سوى طبقة (الافندة) وان عامة الشعب العربي موالية هم
واما قد نشور عواطفهم بحربص الافندية (كدا) مع ان الحال هو عكسي ما
بصوره هؤلاء فعامة الشعب وهم الحصر بصورة عامة واما الارباف بصوره
حاسة هم اندين يعاملون هذه الحركة عن عقيده راسحة وامن قوي وهم الذي
يرغبون اشد الرغبة في التصحية في سببين ادفاع عن حق العرب وكسان
فلسطين العربية ، وان الثورات العديدة التي حدثت في فلسطين وما بدله العرب
غير الافندية) من التصحيات بانفس والمال خير دليل على ذلك .

ويستدل من هذا ان هؤلاء الصهاينة لا يزولون مصريين على مواصلة الهجرة الصهيونية ووصل فلسطين من الوحدة العربية .. ولكن هناك ما نسبوه (روح عربية) تستقي ايمانها وقونها وثباتها من منهل دينها الحبيب ومن مآثر ماضيها المجيد قد كان الله عوناً لها فيما مضى وسيمد لها عطفه الالهي في كماحها الحالي كنيل امينها ، وان سيف الله هو امضى من سيف بريطانيا . واداً ما اختفى نور الحق فلا يلبث حتى تظهر اشعته الساطعة فتصر العدل على الباطل .

ان ذلك الايمان القوي ادي يفيس في قلب كل مسلم وكل عربي والذي بدلت ولا يزال تبدل من اجله نفوس بحسنة رحيمة بدون وجل ولا تردد هو الذي يضمن لعرب فلسطين نصرهم وفلاحهم ، وان الفوز لنشأت فهما اراد سيف بريطانيا ان يفرض غايته لا يتعدى قتل الانفس اما الروح فتبقى وتبقى حية لا يميتها لا السيف ولا المدفع ولا ولا ولا ...

نعم انه ليحقق لكل عربي صميم ان يثور بوجه هذا الاغتصاب والطمع والباطل وان يستعاض لهذه المأساة المؤلمة التي تمثل على مسرح فلسطين ، ولكن في الوقت نفسه يحب ان لا يضرب عن البال بان الصهيونية كانت خير حافز لنهوض الشعب العربي من سباته العميق واصيقت اروح الاسلامية التي تنبه وتنشط فيه الانسان لارجاع مجد الاسلام والعرب واعادته سرؤدهم الفابر ، وينتظري ان الفسفة الصهيونية لعبت دوراً مهماً في اعطى الشعور العربي وشغلت العاملين في سبيل الوحدة العربية اذ لا يخفى بان الحركة الصهيونية جعلت البلاد العربية تشعر بان الاعتداء على أي بلد عربي هو اعتداء على لبلاد العربية جمعاء وهذا ما كان له التأثير العظيم في ايقاظ العالم العربي من رومح العميق وفي اجراء هذا الاتحاد والتعاون بين البلاد العربية .

اجل ، ان على العرب ان يفتبطوا لهذه الحال .. فان لحركة الصهيونية بعض في النفوس قوة واملًا ونشاطاً وايماناً ، ووجدت الصفوف في سبيل تكوين القومية والمناذاة بالوحدة العربية التي لا بجاح للعالم العربي الاسلامي بدونها .

ولا مشاحة ان هذه النهضة قد تكلف البلاد العربية نصحيات دماء غزيرة ، ولكن اي عمل عظيم تم بسهولة وبلا عناء .. ان نهضات الأمم لم تقم على غير جثث الابطال ولا توجد نهضة سامية الا امتلات بعظام الالهوال لجأت بكباتر الأعمال .

ويا حبذا لو افاق الانكليز ونزلوا عن تطبيق فئهم الاستعماري المبني على سياسة احداث الاضطراب لتوطيد قدم الاستعمار وواجهوا الحقيقة الراحنة وكتبوا العرب بلسان الصراحة والتفاهم وهو اللسان الذي يفهم العرب ما

حلوا عليه من حب الصراحة وكره الخبل والحداع ، وأما ما لهم من مصانع عسكرية واقتصادية كاشفا ، ثمر حصص والمحافظة على منتهى خط أسقط وعبر ذلك فيمكنهم أن يضموها بمعاهدة تحالف وصدقة يعقدونها مع فلسطين كما فعلوا في العراق ومصر . وبذلك يمكن لاكتسار أن يفوز يود العرب وصدقاتهم ولا تطل أن رؤوس الأموال التي قد يأتي بها اليهود إلى فلسطين وما يبذلونه من المال لأشياء وطبهم الخيالي تفوق ما تحسبه الكثير من صدقة العرب وولانهم لها إذا عاملتهم باحسان .

وأما اليهود فإذا أرادوا الاستمرار على اعتزالهم والمحافظة على تعاليدهم والاستمرار في عصيتهم العنصرية الدينية فما لهم إلا أن يختاروا بسدا من بلاد الله الواسعة غير المأهولة في أفرعية أو في فارة أخرى ليحققوا أمييتهم المشوذة ، على أن لا يكون هذا لوطن فلسطين مهد حمون وجيون وجيون . لا بل خروج عن حد الدائرة الإنسانية وعن منطقة العدل والشرف .

لقد سبق أن شرحت في مقال عن فلسطين نشر في جريدة الاحرار اليروثيه بعدها المؤرخ في ٢٨ أغسطس ١٩٣٠ بأنه ليس في ليهود مزية الاتحاد القومي السياسي لأشياء دولة يهودية مستقلة ، وإن احادهم الذي سمع عنه لا يتعدى الماطفه العنصرية الدينية التي تهيج وقت اليأس والاضطهاد وتخمد متى انطفئ لهيب الضغط .

وفي الحق أنه ما عرف التاريخ في أي زمن من الأزمنة دولة لبني اسرائيل نيكمت من توطيد قديمها في الأرض التي حلت بها . وفصلا عن ذلك فإن الوحدة اليهودية التي تشكلت في فلسطين في قديم الأزمنة قد ينغذر اعتبارها (دولة سياسية) بما في هذه الكلمة من معنى ، فإنها لم تتأسس كقبة الدول السياسية الكبرى التي تطمح إلى توسيع سلطانها وفتح البلدان واحضام الشعوب وإنما تشكلت بصفة دينية وكان عنها الاساسي المحافظة على الكيان لديني والدليل على ذلك أن ملوكها كانوا أنبياء وأنبياءها ملوكا ، وإذا ما اضطرت للدخول في معارك والقتال فما كان ذلك إلا للدفاع عن كيان هذا الشعب الذي كان ولا يزال يسير بتأثير عاطفته الدينية . وبناء على هذا يمكن القول بأن اليهود ما سبق لهم أن عرّفوا دولة ذات نزعة سياسية قومية وذات سيادة وسلطان تطمح إلى التوسع والفتوحات والاحتلال غير عنصر ليهود أو نشر تعاليمها ونظامها كما هو شأن الدول الكبرى التي يحدثنا عنها التاريخ بما فيها الامبراطورية العربية الاسلامية ، وقد كان الدافع لهم لتسلطهم وفتحهم هو المحافظة على كيانهم كامة ذات عنصر ودين وصد لغارات الدول المجاورة ولا يحفى بأنه لو كان لليهود التسامح وبعد النظر اللذين انصف بهما الاسلام لكان تاريخ الديانات والفتوحات غير التاريخ الذي بين ايدينا .

وعندي أن الله تعالى قد شاء أن يحصر السيادة السياسية باتساع ابدانتي
المسيحية والاسلام فجعل منهم دولا كبرى ورحدات سياسية عطفي وقيمت
اليهودية هيئة ديسية محصنة ذات تقاليد وعادات واحلاق سحابة القرون الماضية
بعد أن انقرضت سيادتها المحلية القصيرة العهد .

أن ايهودية بعيدة في امكان تحولها الى قومية سييسة ذات سيادة مستقلة
فان علماء اليهود الذين يأمون الرجوع الى فلسطين لاعادة هكل سليمان الى
ما كان عليه قبل آلاف السنين لا شك سيعيشون حياة معدة واقول معدة
لا من نفور من تمسكهم بفكرتهم لواهة هذه بل هي العذاب النفسي لانهم يؤمنون
بالخيال والاحلام الوهمية كمن يؤمن بإمكان تحقيق الحوادث في اقصيص
الف ليلة وليلة .

وعلى ذكر وعد بلفور أقول أن الانكليز هم اليوم اقل مبالا الى هذا الوعد
من قبل . وما هو وعد بلفور ؟ هل يعقل أن يكون هذا الوعد ارفع مقامها من
الوعود التي قطعتها انكلترا للعرب ، وهي وعود صريحة عطفي لصاحب الحق
حقه ؟ هل يعقل أن تنكث انكلترا بوعودها للعرب وتلتزم من دون كل الوعود
وعد بلفور ؟ كان وعد بلفور احدى مقصيات السياسة في الحرب العامة وقد
دلت التجارب بأن الوعود التي تعطى في مثل هذه الظروف لا قصة بها فهي حبر
على ورق كما أثبتت الحوادث . ويحب أن لا يغرب عن اسأل بأن فلسطين
بلاد عربية محاطة بعناصر عربية فلا تستطيع أن تنسج عن البلاد العرسية
المتاخمة لها مهما حاول الانكليز أو الصهيونيون ، وعندى أن الصهيونيين الذين
ينفقون الاموال الطائلة في فلسطين لانشاء مستعمراتهم وتشديد انتهم العجة
وتصورهم النيفة يسلمون لغيرهم ، وقد يأتي يوم تسمى فيه هذه المستعمرات
والمانى مواطن للعرب اصحاب البلاد ، ولا بد أن يرجع الحق الى أهله .

ولا بد أن نشير بهذا الصدد الى أن النزاع في فلسطين بين اليهود والعرب
إذا نظرنا اليه من الوجهة العربية هو نزاع سياسي محض وقد يدخل فيه العامل
الاقتصادي ، غير أن عصبية اليهود وعاداتهم وتقاليدهم وبالأحمال حياتهم
الاقتصادية والاجتماعية اصبحت مندمجة بمقدتهم الدينية بحيث كوت ما يعرفه
الناس باليهودية ما يدعونا الى القول بأن النزاع من الوجهة ليهودية هو
سياسي ديني اجتماعي اقتصادي وإذا قلنا اليهودية باننا لا نعني لدانة اليهودية
فقط بل نعني التقاليد والعادات والعصبية اليهودية بكل ما يتبعها من الصفات
التي اتصف بها اليهود والتي اصبحت جزءا من اليهودية وقد تكون الصهيونية
بها . واما من الوجهة العرسية الاسلامية فالنزاع كما قلنا هو سياسي وكل شيء
خلا أن يكون دينيا لأن المسلمين قد اشتهروا في علاقتهم مع غير المسلمين بنزعة
التسلح الذي لا يعرف حدا ولا نهاية ، ومع ذلك أن العاطفة الدينية تلمص

دورا مهما على مسرح القضية الفلسطينية *

والرأع اذا اصطبغ بصفته الدينية بصير أشد هولاً ولا يقتصر على الساحة السياسية فقط ، ولذلك لا يستبعد حدوث ما لا يحسد عقلاء من حراء الحصومة الصهيونية العربية فيما اذا استمر الإنكليز في ماصرة الصهاينة وتشجيعهم في الاستمرار على حشعهم الاستعماري وإطعامهم في أرض فلسطين .

ان الصهيونيين في موقفهم اليوم بفلسطين أعادوا نفس الظاهرة التاريخية في المناوئة للإسلام ، وقد تذكرنا هذه الظاهرة بالحروب التي حدثت بين اليهود والمسلمين على الرغم من التسامح الذي أظهره المسلمون .

كثيرا ما يدعي الصهيونيون بان يهود العالم باجمعهم يدينون بدين الصهيونية ولا يترددون في تضحية كل شيء في سبيل تأييدها لان الصهيونية هي جزء من الديانة اليهودية ولا يمكن فصلها عنها وكل من لا يدين بها فهو بريء من ملتهم وشعبهم ودينهم ، ومن الجهة الاخرى يجد بعض اليهود وفي مقدمتهم بعض يهود الشرق الوطنيين وعددهم قليل يدعون بانهم لا يؤمنون بالحركة الصهيونية . أجل فليكن ذلك ! ولكن ما هي الاعمال التي قام بها هذا الفريق ليسرهن على انه لا يؤمن بالفكرة الصهيونية ! لقد اعتصم بالسكوت وتغافل عما يقوم به صمامة الصهاينة من حملات حائرة على العرب وتصريحهم باحلامهم الاستعمارية ونياتهم السيئة نحو سكان فلسطين وما يجاورها من البلاد العربية والسكوت رضاً ، والراضي بعمل قوم شريك لهم .

أين هم اليهود الذين يدعون معارضتهم للصهيونية هل انهم وحدهم وحدهم في سلك العرب لمناوئة الصهيونية ؟ انني لا أعرف أحدا من اليهود عمل عملا كهذا . . . ويظهر لي بأنه أصبح من الصعب اقتناع العرب بأنه يمكن ان يكون المرء يهوديا ومخلصا للقضية العربية في آن واحد .

لقد حاولت ان أشارك فعلا بالاعمال التي كان يقوم بها اخواني العراقيون في سبيل القضية العربية بصورة عامة ومسألة فلسطين بصورة خاصة كما تعلم ذلك حلاتي ومعارفي من العرب فلم افلح في اوصول الى الحد الذي اتساءل وانا على يهوديتي الموروثة . ويجب ان لا نلام العرب على ذلك لان الصهيونية أصبحت تعتر من قبل الكثير جزءا من اليهودية ومن كان يهوديا قحاً فسنتر عليه فصل الصهيونية عن اليهودية ، فعلى اليهودي المخلص الصادق في حبه للعرب والقضية العربية ان يبرهن على ذلك بغير هجران اليهودية بما في ذلك من دس وعادات وتقاليد وعصية ، لان الصهيونية هي ولادة هذا الدس ون هذه العادات والتقاليد وبالأخص العصية العنصرية التي تعتر حراً من اليهودية هي التي ولدت الصهيونية .

نشر أحد اسرالييلي العراقي المثقفين تصريحه التالي بصدد الاضطرابات الاخيرة في فلسطين فقال : « واعتقادنا أن الوضع الاخير يتزع من ادعة الساسة الصهيونيين الامل الخادع في امكان تحقيق احلامهم وخيالاتهم التي لا يقرهم عليها كثير من يهود العالم انفسهم وفي مقدمة هؤلاء اليهود العرب قاطبة » ولا يسعني الا أن اسأل هذا الكاتب : ما هي الاعمال التي قام بها اليهود العرب ليرهنوا على عدم اقرارهم احلام الصهيونيين وخيالاتهم ؟ ما هي التبرعات التي قام بها اغنياء اليهود العرب للاشتراك فعلا في قمع الحركة الصهيونية ؟ واين الاحتجاجات التي دفعوها وهل اشتركوا بآية حركة ضد الصهيونية ؟ وماذا الذي يبرهن على حسن نيتهم ما لم يعملوا عملا يوضح استنكارهم للخطة الصهيونية الجهنمية ؟ اليس سكوتهم دليلا على الرضا ؟ ولا ادري كيف يعلل كاتبنا هجرة البعض من يهود العراق الى فلسطين وهم يتمتعون بانعم الخيرات في ظل الشعب العراقي النبيل .

وكم من مرة رست الباخرة في ميناء يافا وانا على متنها فلم تطاوعني نفسي ان اطا ارض فلسطين وهي على حالتها من الخضوع لنير الاستعمار الانكليزي الصهيوني يؤمها بعض شذاذ من انحاء المعمورة ، واني لم اطا ارض فلسطين الا في المرة الاخيرة اثناء رحلتي الى امريكا وذلك في شهر مارس سنة ١٩٣٦ اي قبل الثورة الاخيرة بقليل وكان ذلك بنتيجة الحاح رفيق غرقتي في السفر وهو احد شبان دمشق المعروفين غلبت الطلب ولكن دون أن اتمدى حدود بلدة يافا اذ كان يؤلمني منظر (تل أبيب) تلك البلدة اليهودية التي أصبحت مصدر فخر ليهود العالم وقاعدة لبث القومية العبرانية الوهمية .

اني لم ازر تل أبيب إذ كرهت منظرها على بعد بالرغم من أضوائها المنيرة وقصورها الشامخة وكان لسان حالي يقول : أنها تمثل الفرور والظلم ، تحلل باجلى بيان نكران المعروف وجشع الاستعمار الجائر والاعتصاب القاهر ، فلن اطاعا حتى ينتصر الحق على الظلم والعدل على الباطل فيرجع أهل البلاد الى مواطنهم يهزجون أناشيد النصر رافعين علم المروية على السواحل موطنين دعامة الوحدة العربية ببهائها المجيد وجلالها المنيف .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
٩٠ لسنة ١٩٨٦

طبع في دار الشؤون الثقافية العامة

تصميم الغلاف زهير النعيمي

طبع دار الشؤون الثقافية العامة

السن